مذكرات مجاهد من القاعدة الشرقية

عبد القادر قارة

مذكرات مجاهد من القاعدة الشرقية

منشورات الشهاب

© منشورات الشهاب، 2019.
10، نهج إبراهيم غرافة، باب الواد، الجزائر.
www.chihab.com
الهاتف: 97 54 53 021 / الفاكس: 91 51 97 021
ردمك: 978-9947-39-352-9
الإيداع القانوني: أكتوبر 2019.

إهـــــداء

بـــسم اللـــه الرحــمن الرحــيم

إلى صانعي ثورة أول نوفمبر الخالدة وكل المجاهدين الاحرار

إلى شهداء ثورة أول نوفمبر الأبرار الذين صادقوا على ما عاهدوا عليه

إلى كل فرد من أفراد الشعب الجزائري مازال مؤمنا ومتمسكا
بمبادئ أول نوفمبر 1954 نصا وروحا

إلى روح المرحومة زوجتي الكريمة الفاضلة التي عانت الأمرّين برفقتي بعد الثورة، والتي ساندتني في جميع مراحل حياتي الصعبة التي مررت بها، فقد كانت نِعم الزوجة والرفيق، أتمنى من كل قارئة وقارئ لهذا الكتاب الدعاء لها بالرحمة والمغفرة وجنة الخلد.

توفيت المرحومة وأنا على وشك الانتهاء من انجاز هذا الكتاب وقد كانت دائما تؤكد وتصرّ على انجازه وإتمامه في اقرب الآجال فرحمها الله واسكنها فسيح جنانه وجميع أموات المسلمين.

إليهم واليكم اهدي هذا الكتاب

الفهرس

مقـــدمـة 11

1 - الأصول، النشأة والدراسة 15

2 - اندلاع ثورة نوفمبر 19

3 - الالتحاق بصفوف الثورة 24

4 - تاريخ القاعدة الشرقية 31

5 - المعارك والكمائن مختلفة الأشكال بعد تكوين فوج الكومندوس 34

6 - المعارك والاشتباكات والهجومات المنفذة بعد تكوين الفيلق الأول 43

7 - المؤسسات السياسية والعسكرية للثورة 61

8 - تشكيل قيادات العمليات العسكرية بالشرق والغرب 75

9 - صراع إخوة السلاح حول تولي مناصب القيادة 77

10 - تشييد الخطين المكهربين موريس وشال 79

11 - عمليات عبور الخطين المكهربين موريس وشال 85

12 - تأسيس هيئة الأركان العامة لجيش التحرير الوطني 93

13 - عملية إعادة هيكلة الوحدات القتالية بالشرق وأسماء قادتها العسكريين 95

14 - العمليات العسكرية المنفذة بعد إنشاء هيئة الأركان العامة 98

15 - المفاوضات الجزائرية الفرنسية 105

16 - أزمة الحكومة المؤقتة مع قيادة الأركان العامة 111

17 - الخلافات بين إخوة السلاح بعد توقيف القتال 116

18 - قرار زيارة الأهل بعد الوضع الجديد 125

19 - التكوين الأكاديمي الحربي..... 128

20 - محاولة انقلاب الطاهر الزبيري على هواري بومدين ونظامه..... 134

21 - الأحداث التي مررت بها بعد الانقلاب 140

خـاتـمــة..... 147

فهرس الأسماء 151

مقـــدمـة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيد الأولين والآخرين، الرحمة المرسلة إلى العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه وسار على هديه إلى يوم الدين.

وبعـد:

بعد إعلان الثورة في أول نوفمبر 1954 من طرف جماعة 22 وتحرير بيانها التاريخي المعلن عن ولادتها من طرف القادة الستة، وتكليف أعضاء الوفد الخارجي المقيم بالقاهرة بتمثيل الثورة في المحافل الدولية بعد اندلاعها.

كُلّف محمد خيضر بالشؤون السياسية، وحسين آيت أحمد بالمجال الدبلوماسي، وأحمد بن بلة بجمع الأسلحة وتزويد الثوار الناشطين بالمناطق الخمس ثم الولايات الست عبر الحدود الشرقية والغربية للجزائر.

كان اشتعال لهيب الثورة المسلحة يمثل إعلانا مدويا للقطيعة مع الاحتلال الفرنسي ومع الأحزاب السياسية الوطنية المهتلكة الأفكار، ومع نهج النضال السياسي السلمي المعتمد كأداة وحيدة للحصول على الحقوق.

ومع التردد والخضوع للأمر الواقع الذي فرضته فرنسا على الجزائريين، وأرغمتهم على الاقتناع به كقضاء وقدر.

تُعتبر الكتابة عن معطيات التاريخ العسكري لثورة أول نوفمبر 1954 المجيدة، من طرف مجاهد عاش مراحلها في ساحات القتال بكل جوارحه وجميع إمكانياته المادية والمعنوية والأخلاقية، تُعتبر من أصعب القضايا تعقيدا لأنها مرتبطة أشد الارتباط بعواطفه ووجدانه بأحداثها وتقلباتها وتطوراتها.

كتبت شهادتي هذه حول تجربتي في صفوف الوحدات القتالية لجيش التحرير، التي كانت تكافح القوات الفرنسية بالقاعدة الشرقية، ذات الموقع الجغرافي والاستراتيجي المتحكم في حركة المرور من الجزائر إلى تونس ذهابا وإيابا، منذ أن كانت

حلما وفكرة في رأس قادتها حتى تبلورت وتجسدت على الأرض كواقع معترف به في ديسمبر 1956، وتطورت تنظيماتها وتقسيماتها الجغرافية ومهامها القتالية والإسنادية كمسلك عبور وجسر تمرّ عبره الإمدادات المختلفة للمجاهدين الناشطين بالمناطق الخمس، ثم الولايات الأولى والثانية والثالثة والرابعة بداخل التراب الوطني، بالأسلحة والذخائر خلال الفترة الممتدة من سنة 1954 إلى 1962.

وقد تطرّقتُ في مذكرتي هذه إلى المراحل التاريخية التي عرفتها القاعدة الشرقية منذ اندلاع الثورة في أول نوفمبر 1954 وإلى غاية 20 جانفي 1956، وحدّدتُ موقعها الجغرافي وحدودها وقادتها الذين تداولوا على قيادتها فيما بين 1954 و 1960، وهم: باجي مختار، جبار عمر، الوردي قتّال، عمار العسكري، عواشرية محمد، محمدي سعيد، وأدرجتُ المؤسسات السياسية والعسكرية التي سيّرت الحرب التحريرية: المجلس الوطني للثورة الجزائرية، لجنة التنسيق والتنفيذ، والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

ثم تعرّضتُ إلى تكوين القاعدة الشرقية واستمرار نشاطها، بالإضافة إلى دورها كهمزة وصل بين الخارج والداخل وجسر لتمويل المناطق بالأسلحة، ثم ولايات الداخل لأكثر من سنتين من ديسمبر 1956 إلى 1958، وحددت التنظيمات العسكرية التي أنشأتها وفقا لما نصّت عليه قرارات مؤتمر الصومام الصادرة في 20 أوت 1956، والوحدات التي شكلتها، والقادة الذين تداولوا على قيادتها أثناء تنفيذ العمليات العسكرية ضد مواقع القوات الفرنسية المتمركزة على جانبَي خط موريس المكهرب وخط شال المدعِّم له، ومهام حماية القوافل المحملة بالأسلحة والذخائر أثناء عبورها الخطين، في رحلتها الطويلة نحو ولايات الداخل، بفتح الثغرات وتغطية عمليات تسللها عبر الأسلاك، وكذا الإشراف على تأمين القادة ومن معهم من مجاهدين أثناء عبورهم، والتوجه إلى ولاياتهم الأصلية الداخلية.

كما عددت أرقام الفيالق التي تشكلت خلال وجود القاعدة الشرقية، والوحدات التي تكونت بعد إلغائها في 20 جانفي 1960 من طرف قيادة الأركان العامة لجيش التحرير الوطني العامل بالداخل والناشط على الحدود الشرقية والغربية والجنوب الأقصى، وإعادة تقسيم رقعتها الجغرافية إلى منطقتين عمليتين شمالية وجنوبية، وإعادة تنظيم الوحدات التي كانت ناشطة بالقاعدة الشرقية الملغاة قبيل إعادة هيكلتها بالحل والدمج واستحداث وحدات قتالية ولوجيستيكية وتدريبية جديدة.

وقد بلغ عدد مجموع الوحدات بالشرق 25 فيلقا، تشمل فيالق المشاة، وكتائب ثقيلة، وبطاريات للمدفعية، وبطاريات للهاون، وعشت عملية إعادة التنظيم للقوات المقاتلة، وتطوير تكوينها العسكري تكتيكيا، وعلى الاستعمال الفعال للأسلحة الجديدة

التي استُقدمت من الخارج، وشاركت في تكثيف العمليات العسكرية المختلفة ضد القوات الفرنسية، واستدراج قيادة العدوّ إلى استقدام قوات ضخمة جديدة لدعم وإسناد قواتها التي كانت مرابطة على الحدود الشرقية ضد عمليات وحدات المجاهدين حتى وصل عددها 250 ألف مقاتل.

كما استفضتُ في سرد ووصف المهام القتالية التي أنجزَتها الوحدات الفرعية والرئيسية، وذكرت أسماء القادة الذين عملتُ تحت قيادتهم، والعمليات المنفذة ضد المواقع المعادية المتواجدة على حواف الخطين المكهربين موريس وشال، وكانت ذات تكتيكات مختلفة تشمل: الكمائن، الغارات، المعارك، الاشتباكات، قطع الأسلاك الشائكة أو تخريبها، التسلل أسفل الأسلاك، الإلهاء والإزعاج وصرف انتباه العدو في اتجاهات وهمية للعبور، وتظليل قواته بتشتيت أنظاره البرية والجوية وحرمانه من معرفة الأماكن الحقيقية التي تتسلل منها كتائب نقل الأسلحة نحو ولايات الداخل الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

أما الحوافز التي دفعتني إلى تدوين شهادة مشاركتي كمجاهد وقائد لوحدات عسكرية فرعية ورئيسية في الثورة منذ سنة 1955 إلى 19 مارس 1962، فهي المساهمة في المجهودات المشكورة التي بذلها ويبذلها الكثيرون من الإخوة، قادة الثورة السياسيين والعسكريين، فيما يتعلق بكتابة وتحرير مذكراتهم، تطبيقا للمقولة القائلة: إن التاريخ يكتبه صناع أحداثه والحائزون على وثائقه والمطّلعون على حقائقه من مصادرها ومراجعها، بالإضافة إلى تخوّفي من ضياع التفاصيل التي وقعت خلال مراحل الثورة المختلفة بعد الرحيل إلى عالم الخلود، وأنا من الذين يعتقدون أن الشياطين لا تتواجد في حنايا التفاصيل كما يقال، بل بالعكس، أن الحقائق تختفي في تفاصيل الأحداث وتحوز على قوة إقناع ذاتية عالية.

من أجل ذلك عملت على الغوص في تفاصيل بعض العمليات العسكرية اللامتماثلة التي أنجزتها خلال مساري الجهادي بجبهة القتال، بمختلف نواحي القاعدة الشرقية منذ سنة 1955 إلى 1962، كقائد لوحدات فرعية ووحدات كبرى أولا، ثم عملت بمسارح العمليات لمنطقة العمليات الشمالية في ناحيتها الشمالية والجنوبية من 1960 إلى 1962 كقائد للفيلق العاشر ثانيا. الحقيقة لا يمكن حرقها بألسنة اللهب كما يقال.

وقد ركّزت، أثناء تحرير مواضيع هذه المذكرة، على بعث الحرارة والحياة في الأحداث التي شاركتُ في صناعتها بأمانة وصدق، وهدفي الأول والأخير هو إطلاع الجيل الحاضر من الشباب الجزائري والأجيال القادمة المتتابعة على تضحيات أسلافهم واتخاذهم قدوة ومرجعا في الدفاع عن وطنهم بكل ما يملكون من إمكانيات مادية ومعنوية وأخلاقية عندما تتعرض للمخاطر الداخلية والخارجية في الحاضر والمستقبل.

وخلاصة القول: لقد عزمت على تدوين المادة الأولية والخام التي يصنع من معطياتها الباحثون والمؤرخون وطلبة الجامعات التاريخ الأكاديمي ليكون مادة غذائية فعالة، التي يستهلكها الطلبة في مختلف مراحل التعليم، وينهل من معرفتها الشباب الحالي والأجيال المتعاقبة مستقبلا، ويستخلصون منها الدروس والعِبر الإيجابية ويوظفونها في مساراتهم المهنية،ويتجنبون سلبياتها حتى لا يسقطوا تحت طائلة قانون التاريخ الذي لا يجامل ولا يداهن أيّا كان ومهما كان في أحكامه الصارمة.

1 - الأصول، النشأة والدراسة

العبد للّه المدعو عبد القادر قارة المولود سنة 1934 بعين الحمراء، بقعة بني بوجمعة، دوار بني هندل المحاط بجبال الونشريس الأشمّ، بلدية برج بونعامة حاليا وموليار سابقا في العهد الاستعماري، ولاية تيسمسيلت.

دراسة القرآن الكريم والتسجيل بالمدرسة المسائية باللغة الفرنسية

وُلدتُ وترعرعت بهذه الولاية المتميزة بتضاريسها الجبلية، وعندما وصلت سن الدراسة قام والدي بتسجيلي في جامع سيدي ميمون (زاوية سيدي ميمون) لتعلّم القرآن الكريم، حيث كانت الزوايا آنذاك تلعب دورا هاما في تعليم القرآن واللغة العربية لأبناء الشعب، وكان لها الفضل الكبير في حفظي لعدة أحزاب من القرآن الكريم.

سجلت بالمدرسة المسائية التي فتحتها السلطة الفرنسية لتعليم اللغة الفرنسية ودرست بها عدة سنوات واستفدت من ذلك حيث أصبحت أدركها لفظا وكتابة، واستمريت في الدراسة لغاية بلوغي سن السادسة عشر. وبفضل إتقاني للغة الفرنسية أصبحت أقرأ الكتب والجرائد الفرنسية التي كانت تصدر آنذاك، ومنها جريدة برقية قسنطينة وجريدة صدى الجزائر، ومن خلالهما أصبحت مُلمّا بجميع الأحداث المحلية والدولية، وبالأخص تفاصيل أحداث الحرب العالمية الثانية من بدايتها إلى نهايتها سنة 1945.

والجدير بالذكر أنه لا يمكننا تجاهل هذا التاريخ نظرا لأهميته في تاريخ الجزائر، فانتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار قوات الحلفاء على النازية كان بمثابة أمل للشعب الجزائري في استعادة حريته واستقلاله، على غرار شعوب العالم الأخرى، إيمانا منه بأن الاستعمار الفرنسي سيفي بوعده بمنح الاستقلال لمستعمراته، وفي الثامن ماي من عام 1945 خرج الجزائريون على غرار باقي سكان المعمورة للاحتفال من جهة ولتذكير فرنسا بالتزاماتها من جهة ثانية، مطالبا بحقه في تقرير مصيره، لكن في ذلك اليوم ظهر الوجه الحقيقي للاستعمار الذي كان لا يعرف لغة غير لغة السلاح والقتل، وارتكب مجازر في مدينة سطيف وخراطة وقالمة راح ضحيتها 45 ألف جزائري – رحمهم الله – مع اعتقال آلاف المواطنين.

هذه المجزرة عمّقت الهوّة بين الشعب الجزائري والإدارة الفرنسية، وأصبح واعيا بأنه ما أُخذ بالقوة لا يُسترجع إلّا بالقوة.

العمل ببلدية موليار سابقا

بعد انتهاء مرحلة الدراسة في المدرسة المسائية الفرنسية، انتقلت إلى بلدية موليار سابقا (برج بونعامة حاليا) باحثا عن منصب عمل، ووفّقني اللّه في ذلك وحصلت على وظيفة في نفس البلدية التي كان يرأسها بيار نيكول، والذي يُعتبر من المتطرفين المتشددين، جاءت به السلطة الفرنسية لغرض قمع واضطهاد الجزائريين وتزوير الانتخابات المحلية والجهوية لصالح السلطة الفرنسية.

التسجيل في جمعية الدرّاجات الهوائية

سجلت في جمعية الدراجات الهوائية بهذه البلدية، وأصبحت أمارس رياضة الدراجات وأقوم بتمارين متواصلة، مما جعلني أشارك في عدة مسابقات محلية وجهوية، وحصلت على عدة جوائز نتيجة تفوقي في هذه المسابقات.

بعد حصولي على الوظيفة (كان عمري لا يتجاوز 16 سنة آنذاك)، انخرطت في الجمعية الرياضية التي كنت من دراجيها الماهرين، الأمر الذي جعلني معروفا في هذه البلدية من طرف المواطنين والمجتمع المدني وحتى السلطات المحلية آنذاك، مما ساعدني على إقامة علاقات ممتازة مع عدة أشخاص مهمّين.

الانخراط في صفوف حزب الشعب

وفي هذه الفترة كنت أتردد كثيرا على المحل التجاري التابع لوالد بونعامة الجيلالي رحمه الله، والذي كان حينذاك مسؤولا عن فرع حزب الشعب الجزائري بهذه المنطقة، وذلك لغرض شراء احتياجاتي الضرورية من المواد الغذائية، أين توطّدت بيني وبينه علاقات طيّبة، وقد كان يكنّ لي التقدير والاحترام، خاصة بعد نجاحي في المجال الرياضي.

كما ذكرت سابقا ونظرا للعلاقات الطيبة التي كانت بيني وبين بونعامة الجيلالي رحمه الله، طلب مني الانخراط في الحزب فاستجبت لطلبه وانخرطت كمُحبّ أو متعاطف مع الحزب حينذاك.

بعد قبولي الانخراط في صفوف حزب الشعب الجزائري، بدأ يكلفني بمهام تخدم مصلحة الحزب، ومن ضمن هذه المهام بيع جريدة الحزب وجمع الاشتراكات من المناضلين، وباعتباري درّاجا ماهرا وقتها كان يكلفني بجلب بريد الحزب من مدينة الشلف من عند المدعو عابد الذي كان يملك محلا تجاريا بالمدينة، وكنت أسافر للمدينة

مرة في الأسبوع برفقة زملائي: قابور محمد و ميقال أحمد و سرباح محمد، وكنا نحمل البريد ونوصله في أمان، خاصة وأن السلطات الفرنسية لا تشك فينا وكانت تُعفينا من عملية التفتيش بصفتنا شبابًا رياضيين. كان يكلفني أيضا بتوزيع ولصق منشورات الحزب في المرافق الحيوية للسلطة الفرنسية والتي تندد بالقمع الاستعماري وشرح أهداف الحزب.

وقبل اندلاع الثورة، وبالتحديد بين سنتي 1952 و1953 أدركت السلطة الفرنسية الخطر الداهم على وجودها بالجزائر وحتى القارة الإفريقية، فكثّفَت من الحراسة المشددة على مراكزها ومنشآتها، وكثفت من عمليات القمع والاضطهاد، كما كانت تقوم بالمداهمات والعمليات التفتيشية في منازل مناضلي حزب الشعب الجزائري وبالأخص على المجاهد بونعامة الجيلالي رحمه الله، حيث شكلت مجموعة من المخبرين متكونة من حراس البلدية (المخازنية) التي كان يترأسها كحلول محمد بالإضافة إلى وعزان عدة و باشا قدور، الذين كُلفوا بتشديد الرقابة والحراسة والتبليغ عن تحركات بونعامة والمناضلين، وأصبح مسؤول الحراسة (المخازنية) كحلول محمد يقوم بدوريات ذهابا وإيابا وفي كل الأوقات أمام المحل التجاري لوالد بونعامة الجيلالي مرورا على الرصيف الموجود أمام المحل أين يجلس بونعامة الجيلالي هو وبعض أصدقائه والمناضلين، وكان يلاحظ ويتصنت ويتجسس على بونعامة رحمه الله.

ونظرا لهذه الاستفزازات التي قام بها كحلول محمد، أصبح بونعامة لا يطيق هذا التصرف واعتبره تعدّيًا مباشرا على حريته، مما جعله في أحد الأيام يطلب منه الابتعاد عن محيطه وعدم العودة والمرور على هذا الرصيف، وهدّده بأنه سيتحمل مسؤولية أعماله في حالة معاودة الكَرّة، لكنّ المخازني عاد من جديد متجاهلا هذا الإنذار وتحدّى بونعامة بلباسه الرسمي الأزرق حاملا سلاحه، وجاء مارا على هذا الرصيف كالعادة فقام بونعامة بتوجيه صفعة قوية على خدّه الأيمن وأضاف له لكمة أخرى على الخد الأيسر فأسقطه أرضا وداس على رقبته وشتمه، إلى أن أتى بعض المارين حولهم وأسرعوا لفك الاشتباك ؛ وعلى إثرها سارعت السلطة الفرنسية لتوقيف بونعامة وقيادته عن طريق الجندرمة وبالتالي قدموه لوكيل الجمهورية وزجوا به في السجن وقُدّم للعدالة فيما بعد أين قاضته السلطة الفرنسية واتهمته بالتعدي على أحد أعوانها الرسميين.

وتم تعيين عدة محامين للدفاع عن بونعامة من طرف الحزب، ودعموا هذا الدفاع بالشهود حيث برر بونعامة أن هذا الرجل كان ينطق كلاما مخلا بالحياء بحضور والده، وقد كرر عدة مرات هذا السلوك المشين، وبرر بونعامة ذلك بالدفاع عن شرفه وكرامته ضد هذا العميل المجرم، وفي النهاية برّأته المحكمة.

وبمناسبة اندلاع ثورة نوفمبر 1954 المباركة، قامت السلطة الفرنسية بإلقاء القبض على بونعامة الجيلالي وكل العناصر البارزة في الحزب، وزجت بهم في السجون، وما بقي منهم إلا بعض العناصر. وبرغم إلقاء القبض على المسؤول الأول للحزب بالمنطقة إلا أننا استمرينا في النضال ضد الاستعمار.

التكوين الجامعي بعد الاستقلال

قررت مواصلة الدراسة وكانت لي إرادة قوية للتكوين والمعرفة تحضيرا للمرحلة القادمة.

في سنة 1961 بدأت اشتري بعض الكتب باللغة العربية بواسطة بعض الأصدقاء الذين كانوا يجلبونها لي من تونس لتعلّم اللغة العربية والنحو والصرف، وفعلا ساعدني الأصدقاء للحصول عليها.

في نفس الآونة قررت وزارة الدفاع فرض التجنيد الإجباري على الجزائريين المقيمين في الخارج من أبناء اللاجئين الموجودين بالتراب التونسي والمقيمين والمتراوح سنهم بين 18 و 40 سنة، فالتحقَت دفعات من الجزائريين المقيمين بالتراب التونسي لتعويض الأفراد المتوفين بالوحدات والذين أصيبوا بجراح، فكان من ضمن المجموعات المجندة نخبة من المثقفين في جميع المستويات من الابتدائي، المتوسط، الثانوي إلى الجامعي، فاغتنمت فرصة وجودهم وقمت بإنشاء خلية بالفيلق لتعلّم اللغة العربية، وعرضت الفكرة على الذين يريدون التعليم في أوقات الراحة، فرحب عدد من الذين يرغبون في التكوين وكانت النتيجة إيجابية واستمرينا في هذا المنوال لغاية الاستقلال وكنت من ضمنهم.

وبعد الاستقلال توجّهت للقاهرة على رأس البعثة العسكرية الثانية بالكلية الحربية للقيام بدورة تدريبية هناك أين أدرجت قيادة الكلية الحربية ساعات في الأسبوع ضمن برنامج التكوين العسكري لتعليم اللّغة العربية للضباط، وعيّنت دكاترة من جامعة عين شمس خصيصا لتعليمنا. في نهاية الدورة تحصّلنا على نتائج مُرضية واستفدنا جدا من هذا التكوين ومنحتنا الكلية الحربية شهادة البكالوريوس وذلك للسماح لنا بالتسجيل في الجامعات الجزائرية بعد عودتنا للجزائر. قمت بالتسجيل في جامعة قسنطينة لمدة سنتين وتحصلت على شهادة المعادلة.

قدّمت استقالتي من الجيش سنة 1977 وسجلت بجامعة الجزائر في كلية الحقوق بن عكنون لمواصلة تعليمي، وانتهى المشوار بحصولي على شهادة جامعية.

2 - اندلاع ثورة نوفمبر

اجتماع القادة 22 لتقرير إعلان الثورة المسلحة وتعيين المنسق العام

في يوم 25 جوان 1954 اجتمع الأعضاء 22 الذين قرروا الانتقال إلى العمل المسلح بحي المدنية بالجزائر العاصمة، وهم على التوالي:

- مصطفى بن بولعيد المولود بأريس
- احمد بوشعيب المولود بعين تيموشنت
- محمد مرزوفي المولود بالجزائر
- عثمان بلوزداد المولود بالجزائر
- سليمان ملاح المولود بالميلية
- مراد ديدوش المولود بالجزائر
- محمد بوضياف المولود بالمسيلة
- العربي بن مهيدي المولود بعين مليلة
- لخضر بن طوبال المولود بقسنطينة
- عبد الحفيظ بوصوف المولود بميلة
- رابح بيطاط المولود بالوادي
- عبد القادر العمودي المولود بالوادي
- بوجمعة سويداني المولود بقالمة
- زبير بوعجاج المولود بالجزائر
- محمد مشاطي المولود بالجزائر
- عبد السلام حباشي المولود بعنابة
- السعيد بوعلي المولود بالميلية

- يوسف زيغود المولود بسمندو
- رمضان بن عبد الملك المولود بقسنطينة
- مختار باجي المولود بسوق اهراس
- بن مصطفى بن عودة المولود بعنابة
- إلياس دريش المولود بالجزائر وهو صاحب المنزل

وقد ترأس الاجتماع المناضل مصطفى بن بولعيد، بينما قام محمد بوضياف والعربي بن مهيدي و ديدوش مراد بتقديم تقارير مختلفة عما يجري في الساحة السياسة آنذاك، وقد تناول الاجتماع بعض النقاط أهمها:

نقطة الثورة إن حان وقتها أم لا، وهي التي أثارت نقاشا حادا، فظهر موقفان: الأول مقدم من طرف العناصر الملاحقة من طرف الإدارة الاستعمارية، والتي اقترحت الانتقال حينا إلى العمل كوسيلة وحيدة لتجاوز الوضعية المأساوية، والموقف الثاني يرى أن وقت تفجير الثورة لم يحن بعد، وكان تبادل الحجج بين الموقفين حادا جدا، وأخيرا اتخذوا القرار بعد تدخل سويداني بوجمعة موبخا المترددين بضرورة تفجير الثورة وانتهي النقاش، وانتقل الجمع إلى انتخاب شخص تُعهد إليه مهمة تشكيل لجنة تتولى الإعداد للثورة.

تشكيل لجنة القادة الـ 6

قام أعضاء مجموعة 22، بعد الموافقة على العمل على تفجير الثورة، بانتخاب محمد بوضياف كمسؤول وطني،حيث كلف بتشكيل أمانة تنفيذية تتولى قيادة الحركة الثورية، وتطبيق قرارات وتوصيات اللائحة التي صادق عليها المؤتمرون، وقد تكونت هذه الأمانة من محمد بوضياف رئيسا، وأربعة أعضاء هم: العربي بن مهيدي، مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، رابح بيطاط، واجتمعت الأمانة المرة الأولى بحي القصبة بالجزائر العاصمة، حيث تمت مناقشة قرارات مؤتمر22، وكيفية تطبيقها، ووضع نظام داخلي للّجنة، والتعهد بمواصلة العمل كقيادة جماعية.

وقد انضم كريم بلقاسم و عمر أوعمران إلى مجموعة 22، كما تم انضمام كريم بلقاسم إلى اللجنة ليصبح العضو السادس فيها، وقد اتخذت هذه اللجنة منذ ذلك الحين اسم لجنة الستة، والتي عُرفت فيما بعد بلجنة التسعة على إثر اتصال بعض أعضاء الستة بالوفد الخارجي المتواجد في القاهرة (محمد خيضر، بن بلة، آيت أحمد)، ويُعرف أعضاء لجنة التسعة التاريخيين بمفجري الثورة، وهي النواة الأساسية لجبهة التحرير الوطني، وفي شهر أكتوبر 1954، وقع اجتماع بحي رايس حميدو حاليا، وقد ضم

الأعضاء الستة: مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، كريم بلقاسم، رابح بيطاط، العربي بن مهيدي، محمد بوضياف، وقد تم الاتفاق على:

- تقسيم التراب الوطني في المرحلة الأولى إلى خمسة مناطق، وتعيين مسؤوليها على النحو التالي:

المنطقة01 الأوراس النمامشة، بقيادة مصطفى بن بولعيد.

المنطقة 02 الشمال القسنطيني، بقيادة مراد ديدوش.

المنطقة 03 القبائل الكبرى، بقيادة كريم بلقاسم.

المنطقة 04 الجزائر وضواحيها، بقيادة رابح بيطاط.

المنطقة 05 قطاع وهران، بقيادة العربي بن مهيدي.

- إعطاء اسم جبهة التحرير الوطني للحركة الجديدة.
- تحديد يوم بدء العمل المسلح وهو أول نوفمبر 1954، مع الإبقاء على سرية موعده.
- تحديد كلمة السر بـ: خالد وعقبة والله أكبر.
- كُلّف محمد بوضياف بتبليغ هذه القرارات للأعضاء الثلاثة الموجودين في القاهرة بعد اكتشاف نشاطهم المعادي للسلطات الفرنسية، وهم أحمد بن بلة، محمد خيضر، حسين آيت أحمد.
- إصدار بيان، موجَّه للرأي العام الجزائري والعالمي يخبره باندلاع الثورة وبتحديد هدفها، وهو نداء الفاتح نوفمبر.

تفجير الثورة وصدور بيان أول نوفمبر 1954

افترق القادة الستة في الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر 1954، والتحق كل واحد من الزعماء الخمسة بالمنطقة التي يرأسها لغرض تفجير الثورة في ليلة اليوم الأول من شهر نوفمبر 1954، أما رئيس اللجنة الثورية لجبهة التحرير الوطني، السيد محمد بوضياف فقد سافر إلى سويسرا ثم إلى القاهرة، كي يذيع بيان أول نوفمبر 1954. وفي ليلة الفاتح من نوفمبر 1954، عند الساعة الصفر كما وقع الاتفاق عليه، قام المناضلون بعمليات مختلفة بتنسيق محكم، من تنفيذ الإعدام على بعض الخونة، ونصب الكمائن لقوات العدوّ من شرطة ودرك وجيش، وهجمات على ثكنات العدوّ وبعض مصالحه الإدارية والتقنية، وعلى مزارع المعمرين، وقد بلغت هذه العمليات كلها حوالي 100 عملية في أكثر من ثلاثين موقعا في المناطق الخمسة.

وقد كانت لاندلاع حرب التحرير ظروف جعلتها تقوم، وأصبحت ضرورة مُلِحّة لا بديل عنها، ونذكر منها:

على المستوى الداخلي

- الاقتناع بضرورة العمل المسلح
- فشل النضال السياسي
- تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري
- أزمة حزب الشعب وحركة انتصار الحريات.

على المستوى الإقليمي

- اندلاع العمل المسلح في كل من تونس والمغرب الأقصى
- نجاح الثورة المصرية
- انتشار حركات التحرر في الوطن العربي.

على المستوى الدولي

- تصاعد المد التحرري في العالم الثالث
- انهزام فرنسا في معركة ديان بيان فو (1954/05/07) بالفيتنام وتراجع مكانتها ومصداقيتها في المحافل الدولية.

التحضير للثورة بمختلف مناطق الوطن

نظرا لموقع الأوراس الجغرافي والقريب من الحدود التونسية الليبية، تمكنت هذه الناحية من جمع كمية من الأسلحة والذخيرة المتبقية من مخلفات الحرب العالمية الثانية التي دارت رحاها بتونس وليبيا، والتي اشتراها المرحوم بن بولعيد من البلدين، مما ساعد المنطقة الأولى على استخدامها والصمود في مواجهة العدوّ لمدة سنة كاملة دون توقف، وهذا الصمود وضع العدوّ في حالة رعب وارتباك شديدين، مما جعله يجند كل إمكانياته العسكرية لمحاصرة هذه الأخيرة قبل امتدادها في الجهات الأخرى، وعيّن على رأس قوّاته بالأوراس أحد الجنرالات المحترفين المدعو برلايف، والذي عمل كل ما في وسعه للقضاء عليها.

انتشار الثورة عبر مختلف مناطق الوطن

بعد محاصرة المنطقة الأولى (الأوراس) وصمودها، فوجئ العدو مفاجأة لم يكن ينتظرها بانطلاق هجوم الشمال القسنطيني (الولاية الثانية) بقيادة زيغود يوسف

رحمه الله، بعد حصول هذه المنطقة على كمية من الأسلحة التي قدمتها لها منطقة الأوراس، وقامت هذه الولاية بعملية بُطولية رائعة في 1955/08/20، حيث نظمت عملية هجوم عام على كل المرافق الحيوية للعدوّ، منها العسكرية والأمنية والاقتصادية، والمدنية والتجارية التي كانت ملكا للمعمرين. وقد تمت هذه العمليات الهجومية من طرف مواطنين كانوا مجهَّزين ببنادق صيد وأسلحة بيضاء وقنابل وبعض الأسلحة النارية القديمة...إلخ. هذه العمليات جعلت العالم يندهش من العمل البطولي، والشجاعة الكبيرة التي تحلى بها المواطنون وجنود جيش التحرير رغم محدودية إمكانياتهم في التسليح والتجهيز لمواجهة أكبر قوة آنذاك.

هجوم الشمال القسنطيني هو مِن بين استراتيجيات الثورة على المستوى الداخلي، فكان هدفه فك الحصار عن منطقة الأوراس والتأكيد على شعبية الثورة، وهو دعوة للأحزاب المترددة للانضمام للثورة، وتحطيم فكرة أن فرنسا لا تُقهر. أما على المستوى الخارجي فهو العمل على تدويل القضية الجزائرية، وتكذيب ادعاءات فرنسا بتبعية الثورة للخارج. ونتيجةً لما تحقق من نجاح وانتصار للثورة في هذا الهجوم، اشتد عودها وتوجت هذه الثورة بانعقاد مؤتمر الصومام 1956.

3 - الالتحاق بصفوف الثورة

التجنيد الإجباري العسكري في الصفوف الفرنسية بالتلاغمة

في ظل هذه الأجواء، وتحديدا في نهاية ماي سنة 1955، قامت السلطة الفرنسية بإرسالٍ مضمونُه: استدعاء لغرض الالتحاق بمركز التدريب العسكري بالتلاغمة لتأدية الخدمة العسكرية الإجبارية ؛ وما كان عليّ إلا استشارة بقية مناضلي حزب الشعب، والذين أيدوا فكرة التحاقي بالتجنيد، واعتبروها فرصة لاكتساب الخبرة في المجال العسكري، وبالتالي تسهّل لي الالتحاق بصفوف الثورة.

تم تجنيدي بالمركز العسكري للتدريب بالتلاغمة (ولاية ميلة حاليا) مدة ثلاثة أشهر، وبعد انتهاء الفترة التدريبية منحت لنا السلطة العسكرية الفرنسية إجازة، فاتجهت إلى أهلي ومكثت هناك ثلاثة أيام، وعمّت الفرحة بوجودي في وسط العائلة.

بعد انتهاء الإجازة وقرب وقت مغادرتي لأهلي، تجمعت كل العائلة والأقارب والأصدقاء وبدأت تطغى عليهم علامات الحزن والأسى لفراقي، وبدأت النساء بالنواح والبكاء وندب الخد حتى سيلان الدماء حزنا على وجودي بصفوف السلطة العسكرية الفرنسية.

اتجهت من مسقط رأسي عين الحمرا إلى بوقايد لركوب الحافلة المتجهة لمدينة الشلف برفقة والدي. وفي الطريق فاتحت والدي بنيّتي بالفرار من الجيش الفرنسي والالتحاق بالثورة.

في بداية الأمر رفض الموضوع بشدة، وبعد محاولتي إقناعه مرة أخرى قال لي: « لو كنت ملتحقا بالثورة في منطقتك بين أهلك لوافقت على ذلك، لكن بما أنك ستكون في مكان آخر ولا يمكننا التواصل معك سأرفض طلبك ».

بعد وصولنا إلى الحافلة في بوقايد أصرّ على مرافقتي إلى مدينة الشلف فكان له ذلك، وتحدثنا مرة أخرى عن الموضوع محاولا أخذ موافقته وكسب رضاه، لكنه لم يجبني. بعد وصولنا إلى محطة المسافرين بمدينة الشلف اتجهنا إلى محطة القطار سيرا على الأقدام، وعندما حان وقت ركوبي متجها للعاصمة قبّلني وذرفت عيناه دموعا

فأبكاني وقال لي: « أنا موافق على طلبك » وأخذت مباركته وقال لي بالحرف الواحد: « وراك خضرا وقدامك خضرا » (بالعامية) وودّعنا بعضنا.

سافرت على متن القطار إلى العاصمة ووصلت إلى محطة المحطات فنزلت وصعدت في المصعد إلى ساحة بور سعيد، أين كنت مكلفا بمهمة من طرف مناضلي حزب برج بونعامة، لكي أتصل بسعادات أحمد، وهو مناضل في الحزب، وقد كان ينتظرني بالمقهى الموجود مقابل السوق المغطاة « روت دو شارت » المحادية لباب عزون بالعاصمة، بغرض تزويدي بمعلومات وعناوين في عدة جهات من الشرق الجزائري لمناضلين لكي يسهلوا لي مهمة الالتحاق بالثورة، غير أن الحظ لم يسعفني للقائه بسبب وقوع انفجارات في وسط ساحة بور سعيد، ومن بين هذه الانفجارات واحدة أمام مقهى تونتون فيل، وعلى إثر هذه الانفجارات قامت السلطة الفرنسية بإعلان حالة استنفار بهذه الجهة، وكثّفت من الدوريات العسكرية والأمنية ؛ ولذلك لم استطع الاتصال بسعادات، بل رجعت لمحطة القطار واتّجهت إلى التلاغمة.

التحقت بمركز التدريب العسكري حيث تمت التعيينات أثناء فترة إجازتي أين اطلعت على تعييني الذي كان بنفس المركز بنادي الضباط بالتلاغمة، أما البقية فتم تعيينهم في مختلف المناطق من الجزائر. اعترضت على هذا القرار وطلبت مقابلة قائد الكتيبة الذي استقبلني وحاول إقناعي بالبقاء بهذا النادي غير أنني رفضت، وفي نهاية الأمر صادق على طلب إعادة تعييني، وبعد أيام أُبلغت بقرار تعييني بمدينة عنابة، ثم التحقت بها والتقيت برفقائي الذين تم تعيينهم سابقا في وحدة المشاة القتالية الخاصة بقمع الثورة، فمكثنا هناك حوالي شهر. كلّفتنا السلطة الفرنسية العسكرية بتحضير الأسلحة والذخيرة والملابس للعملية الكبرى، حيث قامت باستدعاء الاحتياط العام ليشكلوا من خلالها وحدات قتالية توزَّع على الجبال والمدن الداخلية لمواجهة الثوار.

بعد هيكلة وحدة فرقة المشاة وتنظيمها تم توزيع هذه القوات في شرق ولاية عنابة من القالة للعيون، رمل السوق، عين عسل، الطارف، عين الكرمة، بوحجار، البسباس، بوثلجة، بن مهيدي، أما عن كتيبة فرقة المشاة التي كنت بها فقد تم تعيينها في مدينة بلاندة (بوثلجة) ولاية الطارف حاليا، وهي متكونة من 135 فردا من ضمنهم 17 فردا جزائريا والبقية فرنسيون بهذه الكتيبة المتواجدة ببلوندة، ومن ضمن 17 جزائريا كان هناك عسكريّ يسمى سالم جوليانو من أب إيطالي وأم جزائرية.

وُزِّعت كتيبتنا على ثلاثة فصائل: الفصيلة الأولى كانت ببلدية بلاندة، والثانية كانت بفيلا أحد المعمرين، والثالثة كانت بالريغية خارج بلاندة نسبيا.

عندما استقرينا هناك ازدادت رغبتي الـمُلِحّة على الفرار والالتحاق بصفوف الثورة، فراودتني فكرة الاتصال وربط العلاقات ببعض المواطنين، بغرض تزويدي بمعلومات عن الثورة.

بعد فترة جاءت مجموعة من الثوار بهذه المنطقة وأطلقوا بعض الطلقات النارية بواسطة بنادق صيد على مركز الجندرمة الفرنسية ليلا وانسحبوا. نتيجة لهذه الطلقات النارية جمعنا قائد الكتيبة برتبة نقيب، ووزعنا في وسط البلدة للقيام بدويات تفتيشية في مختلف الشوارع، فكنت برفقة عميرات رحمه الله و سلمون محمد و سعيداني موجودين في الدورية فاتفقنا أنّنا إذا اشتبكنا بالثوار فما علينا إلا قتل قائد الكتيبة والفرنسيين الموجودين معنا، لكن سرعان ما عاد الهدوء للمنطقة بدون حدوث أيّ شيء.

بدأتُ التخطيط في تنظيم عملية الفرار من صفوف القوات الفرنسية والالتحاق بالثورة محاولا القيام بعملية الإقناع والتوعية والتنسيق مع رفقائي الجزائريين، خاصة بعد المحاولة الهجومية الثانية التي قامت فيها مجموعة من المجاهدين على مركز ثكنة الجندرمة الفرنسية بإطلاق عدة طلقات والانسحاب راجعة إلى مراكزها مرورا بحي سكني يقطن به مواطنون جزائريون في ضواحي بلاندة. وحسب شهادة بعض المقيمين بهذا الحي فإنه أثناء انسحاب المجاهدين قام أحد حراس الغابات القاطن بنفس الحي المدعو ألبير أندريا بتوجيه سلاحه لهذه المجموعة المنسحبة وإطلاق النار عشوائيا فأصيب العاتي بوثلجة رحمه الله بطلقة نارية واستشهد في عين المكان المسمى برقوقة، ويُعتبر العاتي بوثلجة من المجاهدين الأوائل بالمنطقة وهو من دوار بوبكر.

وفي الصباح اكتُشفت جثة الشهيد المرحوم بوثلجة من طرف هؤلاء السكان وسارعوا لإبلاغ الجندرمة الفرنسية عن ذلك، فسارعت مجموعة من قوات الجندرمة بالقيام بعملية تفتيشية بواسطة الكلاب إلى المكان، أين تأكدوا من قتل هذا المجاهد فقاموا بتشويه الجثة والتنكيل بها وربطها في مركبة « جيب » وبدؤوا يجولون بها في وسط البلدية على مرأى من الجميع في الشوارع ليكون عبرة لمن يعتبر، وبهدف تخويف المواطنين والتأثير على معنوياتهم لكي يحدّوا من مساعدة جبهة وجيش التحرير والتعاطف معهما.

وبعد الاستقلال تم تغيير اسم البلدية من بلاندة إلى بلدية بوثلجة نسبة لهذا الشهيد الأول بالمنطقة رحمه الله. هذه الحادثة أثّرت في نفسي وحمّستني، بل زادتني إيمانا في تحقيق الهدف المنشود وهو الفرار، وزادت من كرهي لهذا الاستعمار الفرنسي الغاشم فعقدت العزم على مواصلة المسيرة برفقة كل الرفقاء والإخوة الذين زاد إيمانهم وحماسهم وتضامنهم ورغبتهم للالتحاق بالثورة.

كمين بقوس (07 ديسمبر 1955)

كان حينها المسؤول عن هذا القسم المدعو بشايرية علاوة، والذي التحق بجيش التحرير في أول وهلة من الثورة وبالضبط في نوفمبر 1954، فقد كان على رأس قيادة

القسم العسكري بنواحي القالة، وكانت تقيم حينها وحدة من الجيش الفرنسي بالمكان المسمى « الفدان » الذي تحيط به غابات مكثفة وتضاريس متنوعة، وكانت هذه الوحدة تتنقل من حين لآخر بين القالة والفدان ذهابا وإيابا مرّتين في الأسبوع، حيث كانت تعبر من القالة، عين عسل، ماكسة، بقوس، الفدان، فقرر قائد هذا القسم تنظيم كمين لهذه القافلة، وفعلا في هذا التاريخ المذكور أعلاه تم تنظيم هذا الكمين على مستوى المكان المسمى بقوس وكانت الساعة تشير إلى الثالثة بعد الظهر، فعندما وصلت هذه القافلة المتكونة من ثلاثة شاحنات من نوع « جيمسي » وسيارة من نوع « جيب » أمطرتها هذه الوحدة بوابل كثيف من الرصاص بكل الاتجاهات مستعملة أسلحة حربية وبنادق صيد.

اختلت موازين هذه الوحدة ولم تستطع الصمود نظرا لكثافة النيران، فما كان عليها إلا الاستسلام، فمنهم من قُتل ومنهم من بقي حيا واستسلم.

غنمت قواتنا من هذا الهجوم كمية معتبرة من الأسلحة وأسرت الأحياء منهم، كما تم حرق ثلاث شاحنات من نوع « جيمسي » وسيارة من نوع « جيب »، بينما كانت خسائرنا استشهاد جندي واحد. وهذه العملية أربكت وحيرت العدوّ بكل الشرق الجزائري لأنها كانت في السنوات الأولى للثورة ولم يعرف العدوّ عملية من هذا النوع، ويعود الفضل في نجاح العملية إلى حكمة وشجاعة القائد بشايرية علاوة من تنظيم وتسيير الكمين وتحقيق النصر المحقق.

الفرار من الجيش الفرنسي والالتحاق بصفوف الثورة

بحكم معرفتي بصالح الجيجلي (الذي كان يملك محلا تجاريا يتكون من بقالة ومخبزة)، وبحكم العلاقات المتوطدة بيننا، صارحته بنيّتي في الفرار وتصفية العساكر الفرنسيين والاستيلاء على سلاحهم وذخيرتهم لتزويد المجاهدين والثورة بها، فطلبت منه بأن يوجهني لأتصل بالمجاهدين كي يفتحوا لنا الطريق للالتحاق بهم، غير أنه اعترض ورفض وقال لي بالحرف الواحد: « أنا تاجر ولست سياسيا، ولا أتدخل في الأمور التي لا تهمني » فعدت أدراجي... لكن الأمر لم يمر مرور الكرام عندي، فقد فكرت طيلة الليلة في اتخاذ القرار المناسب نظرا لخطورة الأمر... وخوفا من تسريب قرار الفرار للسلطة الفرنسية، قررت إشهار السلاح في صدره لتخويفه.

وفي اليوم التالي اتجهت للمخبزة كالعادة وطلبت منه فطور الصباح، فبدا على محيّاه أنه غير راض عن وجودي بمحله، بعدها اتجهت إلى خارج المحل لأراقب المارة وذلك حفاظا على كتمان سرية العملية ورجعت بسرعة إلى داخل المحل وأشهرت

سلاحي في صدره وهددته إما بمساعدتي أو قتله (للعلم لم تكن لي النية في ذلك بل الغرض من ذلك تخويفه فقط)، فطلب مني إعطاءه فرصة للتفاهم والعرق يتصبب على كامل وجهه، وقال لي: « بعّد عليا سلاحك ونتفاهمو » فقام بفتح الدّرج الذي بجانبه وأخرج وصلا مدوّن عليه العلم الجزائري ومبلغ الاشتراك الذي كان آنذاك ألف فرنك، وهذا دليل على مشاركته كمناضل في حزب جبهة التحرير، ومن هذا المنطلق اتفقنا على مواصلة العمل للوصول للهدف المنشود، فاقترحت عليه الآتي:

قلت له أننا 16 عسكريا بهذه الكتيبة، ولنا رغبة مُلِحّة للالتحاق بالثورة في أقرب الآجال، وقد قررنا عملية الفرار واقترحنا عليه تبليغ المجاهدين أننا سنكون جاهزين على الساعة السادسة مساءً وما عليه إلا الاتصال بالإخوة وإعلامهم بخطتنا ونحن مستعدون لقتل العساكر الفرنسيين المتواجدين معنا، والمطلوب من المجاهدين هو الحضور والقيام بإطلاق النار على الثكنتين أين توجد الفصيلتان من القوات الفرنسية كالعادة، وعلينا نحن في ذلك الوقت القيام بقتل الفرنسيين الموجودين معنا. وبالإضافة لذلك، إعلامهم بوجود كميات من السلاح والذخيرة، وما عليهم إلا إحضار حيوانات من بغال وحمير لحملها على الساعة السادسة. هكذا كانت الخطة وما على صالح الجيجلي إلا إبلاغ الإخوة المجاهدين والمصادقة على خطتنا، ويتم إبلاغنا على الساعة الواحدة.

اتصل الأخ صالح الجيجلي بالإخوة وعرض عليهم الخطة، وعند حلول الساعة الواحدة التقيت به للتأكد من مسار الخطة فقال لي أن مباركي الجيلالي (الذي كان مسؤولا عن أربعة مجاهدين بالمنطقة) قد رفض هذه الخطة وقال له « الثورة محتاجة للرجال لا للسلاح مرحبا بيكم حتى بدون سلاح ونحن على استعداد لتسليحكم »، وقرر تأجيل العملية لليوم التالي على الساعة السادسة مساءً، والملتقى يكون بجامع عمر نوارة حيث نجد مرشدا وهو عبارة عن جندي يدلنا على المسلك الذي يمكننا العبور من خلاله للوصول إلى المكان المعيّـن.

اتفقنا على الخطة مع صالح الجيجلي والقرار الذي أتى به من طرف المجاهدين، وأجلت العملية لليوم الموالي في نفس التوقيت، فنبّهت المجندين الجزائريين الـ 16 بالقرار وحمل السلاح وأغراضهم والحضور على السادسة في المكان المعيّـن.

ملاحظة: استمر صالح الجيجلي في ممارسة تجارته في بوثلجة كعادته، غير أن السلطة الفرنسية اكتشفت ميوله بالتعاطف وتقديم المساعدة للمجاهدين بهذه البلدة فشرعت في مضايقته والضغط عليه بالاستدعاءات من طرف الجندرمة وإيقافه بمراكز التحقيق، فقرر الالتحاق بالثورة وترك تجارته، وفي النهاية استشهد كبطل ومجاهد عظيم رحمه الله.

عند اقتراب الساعة السادسة خرجت بصحبة سلمون محمد و عميرات بغدادي و سعيداني متجهين إلى مكان الموعد جامع عمر نوارة حيث كان في انتظارنا الجندي بن صغير أحمد الحامل لبندقية صيد والمسبل الكبلوتي حمايدية الذي كلفه صالح الجيجلي ليكون في انتظارنا، غير أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فقد تراجع السعيداني وتردد في موقفه ورجع أدراجه واشيا للعساكر الفرنسيين خبر فرارنا والتحاقنا بالثورة مما جعل العساكر الفرنسيين يعلنون حالة الطوارئ ويطلقون النيران عشوائيا في كل الاتجاهات، فقمنا بالدفاع عن أنفسنا بإطلاق نيران صوبهم.

فررنا برفقة الدليل (المرشد) الجندي بن صغير أحمد واتجهنا إلى دوار أولاد غياث، أما الكبلوتي فبقي هناك وانتهت مهمته في جامع نوارة. ولسوء الحظ اعترض طريقنا وادٍ عميق موجود بين منطقة بوثلجة ودوار أولاد غياث الفاصل بينهما والمسمى الواد الكبير، وبما أننا لا نحسن السباحة دلّنا المرشد على مكان تتواجد به مياه منخفضة والمسمى « المزاز » لكي نستطيع العبور بسهولة، لكن لسوء حظي وعميرات فقد جرنا الوادي إلى بعد 150م، أين فقدت سلاحي في عمق الوادي، حتى وصولنا إلى منعرج مملوء بأشجار الصفصاف التي ساعدتنا على النجاة بأعجوبة وخرجنا للضفة الأخرى أين التقينا المرشد أحمد بن سغير وسلمون محمد اللذان غيّرا الاتجاه من ممر آخر متفاديان الوقوع في الوادي واتجهنا مع بعض إلى دوار أولاد غياث أين التقينا مع ثلاثة جنود والجيلالي مباركي وبقينا معا حتى الفجر.

بعد يومين من سقوط السلاح، توجه بعض المواطنين الذين يحسنون السباحة من أبناء المنطقة إلى الوادي بحثا عنه، فغطسوا ووجدوه واسترجعوه وسلموه لنا. عند وصولنا لدوار أولاد غياث وجهنا الجيلالي مباركي إلى جبل حلوفة على بعد 5 كلم من دوار أولاد غياث برفقة المرشد، أما هو ومجموعته فاتجهوا إلى الطريق الوطني الرابط بين الطارف وعنابة، لتنصيب كمين لصياد سمك مدني فرنسي كان يتجه يوميا من القالة لعنابة لبيع سمكه الذي كان يصطاده من القالة، غير أن هذا الكمين باء بالفشل. بعدها، التحقوا بنا إلى الجبل ومكثنا معا 15 يوما، وكانت الظروف جد سيئة حيث لم نكن نتناول إلا خمس حبات من التمر الجاف وقليلا من الروينة.

أما فيما يخص المجموعة المتكونة من 12 جنديا جزائريا المتواجدة بالبلدية فقد تراجعت عن قرار الفرار بسبب اكتشاف العملية من طرف العساكر الفرنسيين، ولم تستطع الالتحاق بمكان الموعد.

ومن هذا المكان قررت مراسلة الأخ سالم جوليانو الذي كان من أعز أصدقائي، تعرفت عليه في مدينة عنابة وقبل التحاقنا ببوثلجة، وقد كان من قوات الاحتياط العام الفرنسية، واستدعي لتأدية الخدمة الإجبارية للمرة الثانية، وبالمناسبة توطدت علاقاتنا

وأصبحت علاقات شخصية، فقد كان يستضيفني عدة مرات في بيته وعرّفني بعائلته، واستمرت هذه الصداقة بيننا بعد التحاقنا ببوثلجة، وقد كان مسؤولا عن مطبخ الكتيبة وكان يكرمني بالمأكولات الممتازة. رغم علاقتنا الطيّبة غير أنني لم أستطع مصارحته بفكرة الفرار بسب أصوله الإيطالية، فقد كنت متحفظا عن كشف الأسرار.

ولكن بعد فراري ووصولي إلى جبل حلوفة راسلته وشرحت له عملية الفرار واعتذرت منه عن عدم إبلاغه بالحدث، وقلت له: « إن طالت الأعمار والتقينا سأوضح لك الأمر » بالإضافة لذلك أبلغته أننا في صفوف جيش التحرير، فإن كانت له الرغبة والاستعداد للالتحاق بالثورة فما عليه إلا التعامل مع صاحب الرسالة وهذا الأخير بدوره سيزوده بكل المعلومات التي يستطيع بها الفرار والالتحاق بالثورة بأمان. هكذا كان الأمر، فسالم جوليانو لم يتأخر في اتخاذ القرار، بل أسرع والتحق بالثورة بسلاحه بوحدة أخرى غير التي كنت متواجدا بها، وبعد أشهر التقينا وشكرته على بطولته وشجاعته ووطنيته فقد كان أكثر وطنية من بعض الجنود في المجموعة.

معاناة العائلة بعد التحاقي بصفوف الثورة المجيدة

بعد فراري من صفوف الجيش الفرنسي والتحاقي بالثورة أصبح والدي عرضة للسلطة الفرنسية التي كانت تقوم بمضايقته واستدعائه من حين لآخر إلى مراكز الجندرمة والشرطة وتوقيفه لعدة أيام ومساومته والضغط عليه للإدلاء لهم بمكان وجودي، وفي اعتقادهم أنني عدت من المنطقة الشرقية وأنني بمنطقة الونشريس.

في سنة 1956 امتدّت الثورة وتوسّعت في كل التراب الجزائري بما في ذلك منطقة الونشريس، وبهذه المناسبة انخرط أخوالي لعبوب الزبير و لعبوب عبد الرحمان و لعبوب محمد وتجندوا في صفوف الثورة من الأوائل، وقد كانوا قبل التحاقهم بالثورة مناضلين في حزب الشعب الجزائري. وبمناسبة انخراط أخوالي في جبهة التحرير قرروا فتح مركز استقبال وإيواء المجاهدين بمنطقة الونشريس وكان الاختيار على مزرعتنا بعين الحمرا أين كان والدي مسؤولا عن المركز، أما والدتي فكانت تقوم بتقديم الخدمات للمجاهدين. في سنة 1958، وبالضبط في شهر أوت، قامت القوات الفرنسية بعملية تفتيش كبرى بهذه المنطقة، وداهمت مزرعتنا أين وجدت والدي داخل منزله فأهانته وكبّلته ثم قتلته داخل منزله، ولم تكتف بذلك بل أحرقت المنزل عن آخره وأصبح رمادا، وفي تلك الأثناء لم تكن والدتي موجودة فبحثوا عنها ولاحقوها وألقوا عليها القبض وقادوها لسجن مجاجة بجوار مدينة شلف وقضت 25 شهرا، وبعد ذلك تم إطلاق سراحها وواصلت نضالها لغاية الاستقلال.

4 - تاريخ القاعدة الشرقية

تعتبر ناحية سوق اهراس – ذات الموقع الاستراتجي – مركز القاعدة الشرقية وكانت مع اندلاع الثورة جزءا من المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني)، وبعد استشهاد باجي مختار واضطراب الأحوال تحولت لتصبح جزءا من المنطقة الأولى أوراس النمامشة منذ أكتوبر 1955، وتأسست القاعدة الشرقية سنة 1956 لتمثل بعدا استراتيجيا للثورة أعطاها نفسا جديدا لا سيما في التمويل والتموين والتصدي لمراكز العدوّ، خاصة خطّي شال وموريس.

وقد انفردت القاعدة الشرقية بموقع استراتيجي واحتلت أهمية بارزة من خلال المقومات والمؤهلات التالية:

– انفتاح الجبهة الشرقية على الحدود البرية لدول شقيقة كتونس.

– شساعة مساحتها من القالة شمالا إلى الوادي جنوبا.

– الطابع الجغرافي المتميز بخصائص تضاريسية معقدة مثل المناطق الجبلية الوعرة والأراضي الصحراوية الجافة.

بعد فرارنا ومكوثنا بجبل حلوفة فترة من الزمن، وجّه لنا العقيد عمار العسكري المدعو عمارة بوغلاز قائد القاعدة الشرقية، وجّه لنا دعوة للاتجاه بصحبة الجيلالي مباركي إلى دوار الفحيص لمقابلته. انتقلنا من المكان الذي كنا به متوجهين إلى المطروحة بضواحي مدينة الطارف أين تم تحضير مأدبة عشاء ممتازة من طرف المواطن سعيد الذي كان مسؤولا عن مركز المطروحة لإيواء وتحضير المأكولات للمجاهدين.

بعد العشاء انقسمنا إلى مجموعتين للقيام بعمليتين:

المجموعة الأولى مهمتها التوجه إلى دار حارس الغابات الموجود بجوار مدينة الطارف للاستيلاء على السلاح الذي كان بحوزته وأخذ حصانيه وحرق المركز.

أما المجموعة الثانية فمهمتها التوجه لبلدية الزيتونة للاستحواذ على أسلحة الصيد الموجودة لدى المواطنين، وقد استحوذنا على كمية معتبرة منها.

كللت العمليتان بنجاح، وفي اليوم الموالي التقت المجموعتان بدوار المرادية بضواحي عين الكرمة.

بعد ذلك واصلنا المشوار للقاء قائد القاعدة الشرقية بالفحيص أين استُقبلنا بالترحاب والاحترام والتقدير وقال لنا بالحرف الواحد: « أنتم المجاهدون الحقيقيون والوطنيون الأصليون ولنا ثقة كاملة فيكم لتكونوا سندا كبيرا لثورة التحرير ونعاهدكم على أننا سنساعدكم ونواصل معا هذه المسيرة الكبرى ».

تكوين فوج التصادم أو الكومندوس

مكثنا بالفحيص يومين، وهناك استدعى قائد القاعدة الشرقية عمارة بوغلاز كل الوحدات الموجودة للاجتماع بالفحيص، ومضمون الاجتماع هو تشكيل فوج كومندوس أو فوج التصادم المكوّن من العسكريين الفارين من صفوف القوات الفرنسية والمجندين الذين كانوا في إجازة عند ذويهم الذين شاركوا في حرب الفيتنام وقرروا عدم الرجوع للجيش الفرنسي والتحقوا بالثورة.

هذا الفوج متكوّن من حوالي 13 جنديا وكلهم مسلحون بسلاح حربي، ويعتبر قائد القاعدة الشرقية هذا الفوج كنواة أولية في القاعدة الشرقية ليواجه به القوات الفرنسية ويرعبها.

يتكون هذا الفوج من الآتية أسماؤهم:

- قائد الفوج: نوار، عائد من الحرب الفيتنامية
- نائب الفوج: عمورة بلقاسم، عائد من حرب الفيتنام
- زواغي عمار، عائد من حرب الفيتنام
- كلبي حسين، عائد من حرب الفيتنام
- محمد الفرملي، عائد من حرب الفيتنام
- حامد الموسطاش، من المشاركين في الحرب العالمية الثانية
- علي بوعشة، من المشاركين في الحرب العالمية الثانية
- سراي أحمد، من الفارين بسلاحهم من صفوف الجيش الفرنسي
- هلال محمد، من الفارين بسلاحهم من الجيش الفرنسي
- سلمون محمد، من الفارين بسلاحهم من الجيش الفرنسي
- عميرات، من الفارين بسلاحهم من الجيش الفرنسي
- قارة عبد القادر، من الفارين بسلاحهم من الجيش الفرنسي
- سالم جوليانو، من الفارين بسلاحهم من الجيش الفرنسي

بعد تكوين الفوج قال لنا قائد القاعدة الشرقية عمارة العسكري المدعو بوغلاز بأنه المسؤول الأول عن تسيير وتوجيه الفوج، وأن مهمتنا الأساسية تكمن في القيام بالعمليات القتالية ضد القوات الفرنسية فقط، واستثنى هذا الفوج من العمليات الأخرى التخريبية ضد المصالح الفرنسية الاقتصادية والاجتماعية.

5 - المعارك والكمائن مختلفة الأشكال بعد تكوين فوج الكومندوس

في هذه الفترة، شهدت القاعدة الشرقية عمليات عسكرية متعددة ومتنوعة و قامت بعدة كمائن مدروسة بحكمة وإتقان، قدّم فيها المجاهدون أروع البطولات وأضخم التضحيات التي تخلّد على صفحات التاريخ مآثر هذه المنطقة التي لم تعرف الراحة والاطمئنان خلال مراحل الكفاح، نذكر منها:

كمين الداموس ضد الإخوة أولاد وهاب - 1956

بعد الانتهاء من تنظيم الفوج قرر عمارة بوغلاز اختبار الفوج تحت إشرافه، وذلك بتنظيم كمين في شهر فيفري 1956 بالداموس شرق بلدية بوحجار، الطريق الوطني الرابط بين عنابة وبوحجار وسوق اهراس، والغرض من هذا الكمين هو تصفية الخونة الجزائريين المدعوين أولاد وهاب وعددهم سبعة إخوة، كانوا في البداية إلى جانب الثورة، وبعد فترة تخلوا عنها وانظموا لصفوف القوات الفرنسية. وفعلا اتجهنا من الفحيص لدوار أولاد مسعود وقضينا ليلة هناك، كان خاليًا من أهله بعد العمليات التي قامت بها القوات الفرنسية وأخذت السكان إلى محتشد بوحجار وأحرقت جميع بيوتهم، فقضينا الليلة هناك، وفي الصباح الباكر اتجهنا إلى جانب الطريق الرابط بين عنابة وبوحجار وانتشرنا في انتظار القافلة التي تأتي من عنابة إلى بوحجار مرة في الأسبوع، والغرض من مجيء القافلة هو تموين القوات الفرنسية الموجودة ببوحجار تحت حراسة مشددة من طائرات استطلاع ومن حين لآخر قنابل مدفعية تتساقط على جانبي الطريق.

فرغم طائرات الاستطلاع والمدفعية التي كانت توجه القنابل على جانبي الطريق إلا أننا صمدنا إلى غاية وصول القافلة على مستوى المكان الذي كنا متواجدين به عند الساعة 11 صباحا. بادرنا بإطلاق النيران على الإخوة أولاد وهاب المتكونة من سبعة أشخاص كانت مهمتهم تأمين الطريق للقافلة الفرنسية، ودام الاشتباك حوالي ساعة من الزمن. النتيجة قتل أحد الإخوة من أولاد وهاب وجرح اثنين، والقافلة منيت بخسائر فادحة

في الأرواح والعتاد، وهكذا انتهت العملية بجرح شخصين في صفوفنا، وانسحبنا نحو دوار الشافية لقضاء فترة من الراحة.

وبعد مرور يوم من العملية اغتنمت القوات الفرنسية فرصة وجود مواطنين أبرياء في السوق الأسبوعية الموجودة ببلدية بوحجار والتي يقصدها جميع المواطنين بداخل بوحجار وضواحيها لاقتناء احتياجاتهم المختلفة والضرورية، فسطرت خطة بالتنسيق بين العملاء الباقين من ولاد وهاب وعددهم أربعة والسلطات العسكرية الفرنسية للقيام بعملية انتقام بشعة تقشعر لها الأبدان، حيث تم التخطيط لهذه العملية وتنفيذها بإمكانيات بشرية ومادية معتبرة.

فعَلى الساعة العاشرة صباحا أقفلت القوات العسكرية الفرنسية مخارج هذه السوق المحاطة بالأسلاك الشائكة وارتكبت هذه المجزرة الشنعاء بإطلاق النيران في كل الاتجاهات على المواطنين ومنعهم من الخروج والهروب. أسفرت هذه العملية النكراء على قتل أكثر من ثمانين مواطنا جزائريا – رحمهم الله – وجرح بعضهم، كما كلفت السلطة الهندسة العسكرية بجمع أشلائهم ورميهم بالشاحنات أين دفنوا جماعيا، أما الجرحى فمنهم من قضى نحبه متأثرا بجراحه والباقي تم إسعافه تقليديا من طرف مواطنين جزائريين.

كمين خنقة عرجون ومقتل الطبيب اليهودي (1956)

أصدر لنا قائد القاعدة الشرقية أمرا بالتوجه إلى خنقة عرجون الموجودة بين بلدية الطارف وبلدية بوثلجة في منعرج تحذوه غابات كثيفة. الغرض من توجهنا هناك هو إقامة كمين لقتل طبيب يهودي يُدعى براهم، وكانت له عيادتان، واحدة ببوثلجة يتجه إليها صباحا والثانية بالطارف يتجه إليها مساءً. هذا الطبيب من المتطرفين والمجرمين الكبار، كان مزودا بسلاح حربي من طرف القوات الفرنسية من نوع مات 49، وكان يقتل كل جزائري يشك بانتمائه للثورة أو تعاطفه معها، كما كان يقوم بحقن الأبرياء بالسموم بدل الدواء.

انتشرنا على جانب الطريق فجرا، ونظمنا كمينا محكما في انتظار وصول هذا المجرم الذي تحرسه القوات الفرنسية، ممتطيا سيارته الخاصة من نوع فولسفاڤن كوكسينال برفقة سائقه. وصل هذا الموكب على الساعة التاسعة على مستوانا، وكُلفت من طرف العقيد عمارة بوغلاز بحمل الرشاش 24-29، وحمّلني مسؤولية قتل الطبيب، فعند وصوله بالضبط عند جسر خنقة عرجون بادرت بالرمي بالرشاش فانقلبت سيارته في الوادي واستمرينا في الاشتباك مع القوات الفرنسية التي كانت تحرسه. علمنا فيما

بعد أن الطبيب أصيب إصابات خطيرة ونُقل في حالة مستعجلة إلى فرنسا للعلاج، ومنذ ذلك الوقت اختفى عن الأنظار.

انتهى الاشتباك بدون خسائر من جانبنا وعدنا إلى منطقة الشافية لقضاء فترة الراحة التي دامت سبعة أيام.

اشتباك خنقة عون (مارس 1956)

سطّر العقيد عمارة بوغلاز برنامجا لتنظيم كمين بين القالة وأم الطبول لقافلة تعبر هذا الطريق مرتين في الأسبوع، فأمرنا بالاتجاه إلى دوار خنقة عون التي تبعد حوالي 50 كلم عن الشافية، و حينها كان قائد قسم منطقة القالة هو بشايرية علاوة. قبل الوصول إلى خنقة عون، اعترضنا أحد المواطنين المسمى رامول أحمد والمدعو فرقاني، قبل الوصول بـ 5 كلم، وكان ممتطيا حصانه فساعدنا على نقل جميع الأغراض الزائدة التي كانت تثقلنا وأخذها بالحصان.

وصلنا إلى خنقة عون واستقبلنا المواطنون بالفرح والتهليل، خاصة أنه ولأول مرة بالنسبة إليهم يشاهدون فوجا من المجاهدين مسلحا بأسلحة حربية، ونتيجة هذه الفرحة أراد المواطنون إكرامنا بذبح عجل لتحضير الغداء، كانت الساعة تشير إلى الواحدة عندما أقبل أحد المواطنين مبعوثا إلى أحمد الفرقاني على عجل يعلمه أن القوات العسكرية الفرنسية خرجت من رمل السوق وهي الآن تقوم بتطويق دوار خنقة عون. حضرّنا أنفسنا لمواجهة هذه القوات باشتباك مباشر فقال لنا رامول أحمد المدعو فرقاني رحمه الله: « لا تغادروا واشتبكوا مع القوات الفرنسية لأنها ستأتي إلينا لقتلنا وحرق ممتلكاتنا ». استمر الاشتباك من فترة الظهيرة إلى المغرب حيث قضينا على عدة هجومات فرنسية حاولت الوصول إلينا، غير أننا لم نستطع الاستيلاء على السلاح نظرا للمكان الذي كان غير مغطى ونتيجة النيران الكثيفة التي كانت تطلقها القوات الفرنسية.

وفي هذه العملية كان حاضرا إلى جانبنا رامول أحمد ولم ينقطع عن التكبير وكان واقفا أمام شجرة الفلين وكان يتابع المعركة بحماس وينادي أكثر بكلمة « الله أكبر » وكان يوجد في الصفوف الأولى وبدون سلاح، أما بشايرية بصفته قائد قسم القالة فكان يحمل سلاحا من نوع ستان إيطالية ويوجّه نيرانه للعدوّ مصحوبة بالتكبير أيضا. نظرا لنفاد ذخيرتنا قررنا الانسحاب إلى الخلف داخل دوار خنقة عون، وكانت نتيجة القتال إصابتين خفيفتين في صفوفنا، أما في صفوف العدوّ فقد تكبد خسائر فادحة في الأرواح، وبعد أيام اكتشف المواطنون أسلحة بساحة المعركة وقدموها لنا، وهي التي تركها جنود العدوّ هاربين، وتتمثل في ثلاثة رشاشات من نوع مات 49 وبندقية من نوع مات 49.

وبعد انتهاء العملية وصلت قوات عسكرية فرنسية كبيرة من القالة وعين عسل إلى خنقة عون وقامت بتطويق المنطقة بكاملها لغاية الصباح، فشرعت بعد ذلك في قتل المواطنين وارتكبت مجزرة كبيرة ضد الرجال والنساء والأطفال، وتم قتل 12 نفرا من عائلة الفرقاني بالإضافة إلى الذين قتلوا في هذه القرية، ولم ينجُ إلا اثنان من أبنائه: رامول رمضان و رامول إبراهيم اللذين صمّما على التجنيد في صفوفنا.

وخلاصة القول أن سكان قرية خنقة عون رجالا ونساء كانوا منخرطين في جبهة التحرير الوطني بفضل المدرسة التي كانت تحت إشراف رامول أحمد الذي كان يقوم بتعليم أبنائها مجانا، والفضل الثاني يرجع لمجهودات القائد بوتلة الجبارة في حث سكان القرية على الانتماء إلى جبهة التحرير وتقديم الخدمات اللازمة وبدون تحفظ لجيش التحرير. اتجهنا بعدها من خنقة عون إلى ماكسة جنوب عين عسل ليلا. أطعمنا المواطنون طعاما خفيفا، وبعدها قرر قائد الفوج المبيتَ هناك في كوخين كانا مخصصين لفوج التموين المتكون من أربعة أشخاص. كان من المفروض أن يقضي الفوج الليلة هناك، غير أن عبد القادر ولد الحسين بصفته عميلا أبلغ عن وجود الفوج، لكن، صدفة، لم يأت فوج التموين فقررنا المبيت في هذا المكان.

تطويق فوج الكومندوس بماكسة (1956)

في الصباح الباكر فجرا، داهمت المفرزة الفرنسية المكان فأمرهم حارسنا بالتوقف مرددا كلمة « قف » فلم يتلق الجواب بكلمة السر ؛ فبادر بإطلاق النار – وكان في مقدمة هذه المفرزة عسكري أسود وعلى حسب ما قيل فيما بعد أنه سينغالي – فردت المفرزة الفرنسية بإطلاق النيران والقنابل اليدوية تجاه أكواخنا أين كنا نائمين، فاخترقت هذه الدفعات النارية هذه الأكواخ المبنية بشطب الريحان، ولو كنا واقفين لكانت الخسائر وخيمة. غير أن كلبي حسين – رحمه الله – هو الذي أنقذ الموقف من الكارثة بتصديه بسرعة فائقة لقوات العدوّ بإطلاق النار عليها بواسطة الرشاش 24-29، هذه الطلقات النارية أجبرت العدوّ على التوقف عن إطلاق النيران وأسكتته. وانتهت العملية بإصابة شخصين من فوجنا وهما محمد الباسطي و التاغن من الأوراس. بعد توقف القوات الفرنسية عن إطلاق النيران، انسحبنا واتجهنا إلى ضواحي الشافية أين يوجد المقر المؤقت لقائد القاعدة الشرقية.

كمين قافلة التموين الفرنسية (أفريل 1956)

بعد قضاء فترة وجيزة من الراحة بالشافية، وفي إطار برنامجه العسكري المسطر، قرر قائد القاعدة الشرقية بواسطة فوج الكومندوس تنظيم كمين على الطريق الوطني الرابط بين عنابة والقالة، ومكان الكمين الذي قرر قائد القاعدة الشرقية القيام به

موجود مقابل بحيرة العصافير بين 45 وبلدية بن مهيدي، وهذه القافلة العسكرية تمر يوميا على هذا الطريق وتقوم بتموين الوحدات القتالية الموجودة بالمناطق الداخلية النائية شرق ولاية عنابة بداية من القالة وأم الطبول، العيون، رمل السوق، عين عسل، الطارف، عين الكرمة، ومناطق أخرى جبلية تتواجد بها تلك القوات الفرنسية. أمرنا بتنظيم كمين والاستيلاء – إذا أمكن – على الأسلحة والذخيرة التي بحوزة تلك القوات بعد هزيمتها.

اتجهنا من الشافية ونصبنا الكمين تحت قيادة نوار قائد الفوج بجانب الطريق في المكان الذي تم اختياره، فانتظرنا هذه القافلة وعند وصولها أطلقنا عليها النيران من كل الجهات وقتلنا عدة عساكر كانوا على ظهر مركبات « جيمسي »، وحاولنا الاستيلاء على أسلحتهم غير أننا لم نوفق في ذلك فانسحبنا ورجعنا إلى مكان الانطلاق بدون خسائر، أما خسائر العدوّ فكانت معتبرة من حيث الأرواح والعتاد.

حادثة العلقة

عند رجوعنا إلى الشافية، ومن سوء حظي، تعرضت إلى وعكة صحية بسبب شربي لمياه الآبار المليئة بالعلق، حيث ابتلعت علقة واستقرت في الحلق، وكان ذلك ليلا وبعد 24 ساعة بدأت أشعر بألم في الحلق، وزادني الألم حدة ليلا وأصبحت أتنفس بصعوبة والدم يسيل من فمي وأنفي. أعلمت الزملاء بالأمر فنصحوني بتناول الشمة، فأخذت بنصيحتهم وتناولتها لغاية إصابتي بالدوران، لكن بدون جدوى، فتناولت كذلك التبغ لكن دون جدوى وازداد الأمر صعوبة وتدهورت صحتي. بعد هذه المحاولات التي لم تأت بنفع قرر قائد القاعدة الشرقية تحويلي إلى تونس (كانت تونس في بداية حصولها على الاستقلال).

سافرنا من الشافية إلى الحدود التي تبعد حوالي 50 كلم عن تونس، وعند وصولنا للحدود تحت الحراسة وبحذر – لأن القوات الفرنسية لم تزل موجودة بالتراب التونسي آنذاك – متجهين إلى غارديماو التي تبعد 15 كلم عن الحدود الجزائرية التونسية، فوصلنا هناك إلى مزرعة أحمد القبايلي الذي كان مركزا لجيش التحرير هناك. كنت في حالة يرثى لها، قضيت الليلة بتلك المزرعة وفي اليوم التالي أتت سيارة من نوع « تراكسيو افون » فركبت مع السائق واتجهنا إلى الاربعا-جندوبة داخل التراب التونسي، وأوصلوني إلى مستشفى بهذه المدينة واستقبلني الطبيب المختص في الأذن والحنجرة فحاول نزع هذه الحشرة، غير أن محاولته كانت بدون جدوى ؛ فأمر المسؤولين عن المستشفى بتحويلي إلى العاصمة التونسية على جناح السرعة.

أخذوني بسيارة إسعاف متوجهين إلى مستشفى الصادقية بتونس العاصمة فوصلت للمستشفى وجاءني البروفيسور عبد الوهاب من أصول جزائرية الذي وفق في نزع

الحشرة بعد محاولتين، وكانت الحشرة كبيرة الحجم ومملوءة بالدماء، وحسب رأي الطبيب فقد نجوت بأعجوبة.

كمين الحمرا (أكتوبر 1956)

لقد قرر قائد القسم بشايرية علاوة ونائبه عميرات بغدادي – رحمهما الله – نصب كمين بمنطقة القالة، فرصدوا قافلة عسكرية متكونة من ضباط وضباط صف وعددهم يتراوح من 20 إلى 25 عسكريا، يتجهون كل عطلة أسبوع من القالة إلى عين دراهم لقضاء العطلة الأسبوعية ويعودون يوم الأحد من كل أسبوع إلى القالة.

هذه القافلة تمر بالفرين ورمل السوق والعيون ثم ببوش عين دراهم (منطقة سياحية) الموجودة داخل التراب التونسي، فقرر الرجلان المجاهدان الشجاعان تنظيم كمين لهذه القافلة بالمكان المسمى الحمرا الواقعة على الحدود الجزائرية التونسية وبالضبط بين قرية العيون ورمل السوق، كما تتسم هذه المنطقة بوجود غابات كثيفة ومرتفعة نسبيا عن مستوى سطح البحر وبها تضاريس وموانع تساعد على تنظيم كمين للعدو بهذه المنطقة. وفعلا توجهوا بوحداتهم إلى هذا المكان في الوقت المناسب ونظموا كمينا في انتظار قدوم هذه القافلة، وعندما وصلت القافلة إلى الكمين تلقت وابلا من الرصاص من طرف المجاهدين متبوعا بالهجوم على القافلة حيث أضرموا النيران في الشاحنات وأحرقوها عن آخرها وقتلوا كل ما في هذه القافلة وبدأوا بتصفية الجيوب الباقية.

أما من جهتنا فقد حدث سوء تقدير وتقدم عميرات بغدادي للتفتيش عن البقية من الأحياء من العساكر، فعندما طأطأ رأسه تحت مركبة 6-6 التي كان يوجد بين عجلاتها قائد هذه المجموعة برتبة نقيب كان أصيب إصابة خطيرة فاختبأ بين عجلات المركبة وكان يحمل سلاحه الخاص بيده جاهزا للرمي، وعندما طأطأ رأسه لتفتيش المكان أسفل المركبة أطلق النقيب عليه طلقات عشوائية وقتله على الفور. انتهت هذه العملية بقتل جميع الضباط وضباط الصف وحرق هذه المركبات والاستيلاء على الأسلحة وتم أسر ستة ضباط صف من هذه القافلة واستشهد عميرات في صفوفنا رحمه الله.

انتهاء مهمة فوج الكومندوس أو فوج التصادم

بعدما رجعت للجزائر ونظرا للتطور السريع في المجال العسكري والسياسي والتنظيمي للقاعدة الشرقية – وللقائد الفضل في ذلك فهو كان جديرا بهذه المسؤولية ووطنيا مخلصا لبلاده والتزامه بالنضال المسلح للوصول بالجزائر للانتصار، وكان عمارة بوغلاز – رحمه الله – شخصية مرموقة يفكر تفكيرا على المدى القصير والمتوسط والطويل.

تكوين الإطارات العسكرية

قرر رسكلة وتكوين الإطارات العسكرية لكي تتولى المسؤولية مستقبلا بعد إتمام هيكلة وتنظيم القاعدة الشرقية والتي ستتكون من ثلاثة مناطق: الأولى والثانية والثالثة، ففتح الدورة التدريبية لإطارات في مجال التكوين العسكري، وتم تعيين الحاج خمار كرئيس لهذه الدورة التكوينية و بوبير يوسف كمدير للتدريب وجمع حوالي 30 إطارا من مختلف الوحدات لتكوينها عسكريا وتدريبها على القتال والهجوم على مراكز وثكنات العدوّ وتنظيم الكمائن للعدوّ والتحضير للاشتباكات، فدامت هذه الدورة 45 يوما بين حمام سيدي طراد والقيطون وبالضبط في مزرعة القايد شلوفي، وبعد انتهاء الدورة تم تأطير الفيلق الأول بهذه الإطارات المتكونة من الدفعة المتدربة والتي كان لها الدعم الكبير لجيش التحرير بهذه المنطقة. وهنا انتهت مهمة فوج الكومندوس الذي شكله قائد القاعدة الشرقية ووزع إطاراته لتأطير الفيلق الأول بعد الدورة التدريبية. وبهذه المناسبة ولأول مرة وصلت للقاعدة الشرقية كمية من الأسلحة تم جلبها من دولة مصر العربية، وتتكون من المدفع الرشاش ويلس والرشاشات من نوع بران وبنادق من نوع العشاري ومدافع هاون عيار 82 ملم وعيار 60 ملم.

هيكلة الفيلق الأول وإنشاء فيالق أخرى

الفيلق هو وحدة عسكرية مشكّلة من ثلاث كتائب وتضم حوالي 600 جندي مقسمين إلى وحدات قتالية ووحدات مساعدة، وتنقسم الكتيبة (108 جنود) إلى ثلاثة فصائل، وكل فصيلة (نحو 36 جنديا) تنقسم إلى ثلاثة أفواج، وكل فوج بدوره يتشكل من 12 جنديا، ويقود الفيلق عادة ضابط برتبة نقيب وينوبه ثلاثة ملازمين: عسكري وسياسي ومخابراتي.

في أكتوبر 1956 وقع التجمع الكبير للمنطقة الأولى للفيلق الأول تحت إشراف قائد القاعدة الشرقية عمارة بوغلاز بحمام بورقيبة على الحدود التونسية الجزائرية، وتم تنظيم هيكلة الفيلق.

يتمثل النظام الإداري العسكري للقاعدة الشرقية فيما يلي:

- العقيد : عمارة بوغلاز
- الرائد : محمد عواشرية
- الرائد : الطاهر سعيداني
- الرائد : سليمان بلعشاري

أما الفيلق الأول فتم تنظيمه كالآتي :

الفيلق الأول تم تشكيله في 16 أكتوبر 1956، يمتد قطاع نشاطه من باب شرق أم الطبول إلى الداموس.

المنطقة الأولى

- قائد الفيلق : النقيب العيساني شويشي
- النائب العسكري للفيلق : الملازم الأول علاوة بشايرية
- النائب السياسي للفيلق : الملازم الأول مازوز رساع
- نائب الاستعلامات للفيلق : الملازم الأول الحاج خمار

ضم ثلاث كتائب

- الكتيبة الأولى برئاسة الشاذلي بن جديد
- الكتيبة الثانية برئاسة يوسف بوبير
- الكتيبة الثالثة برئاسة بلقاسم عمورة

بخصوص الكتيبة الثالثة (التي تمتد مساحتها من القالة إلى بوحجار على طول 120 كلم) فقد عين:

- سلمون محمد قائدا للقسم الأول.
- عبد القادر قارة قائدا للقسم الثاني.
- سالم جوليانو قائدا للقسم الثالث.

سنعرض باختصار الفيالق الأخرى التي تلت إنشاء الفيلق الأول:

الفيلق الثاني تم تشكيله في الفاتح نوفمبر 1956، يمتد نشاطه من الداموس إلى شمال سوق أهراس

المنطقة الثانية

- قائد الفيلق : النقيب عبد الرحمن بن سالم
- النائب العسكري للفيلق : الملازم الأول لخضر ورتي
- النائب السياسي للفيلق : الملازم الأول الحفناوي رمضانية
- نائب الاستعلامات للفيلق : الملازم الأول الطيب جبار

تضم ثلاث كتائب: الرابعة والخامسة والسادسة.

الفيلق الثالث تم تشكيله في الفاتح نوفمبر 1956، يمتد نشاطه من جنوب سوق أهراس إلى المريج

المنطقة الثالثة

- قائد الفيلق : النقيب الطاهر زبيري
- النائب العسكري للفيلق : الملازم الأول السبتي بومعراف
- النائب السياسي للفيلق : الملازم الأول الشريف ملاح

بعد استشهاد السبتي بومعراف و الشريف ملاح - رحمهما الله - تم تعويضهما بالملازم الأول محمد لخضر سيرين والملازم الأول موسى حواسنية.

تضم ثلاث كتائب: السابعة والثامنة والتاسعة.

بعد تشكيل هذه الفيالق التي كانت تقوم بمهامها المتمثلة في الكفاح المسلح وتنظيم هجومات وكمائن أضيفت إليها مهام أخرى وهي تزويد الولايات الداخلية بالسلاح وبالأخص الولايات الثانية والثالثة والرابعة، استمر هذا العمل لغاية سنة 1957 ودامت هذه العملية مدة ستة أشهر ذهابا وإيابا، غير أنه بعد إنشاء خط موريس المكهرب الذي أصبح عائقا أمام هذه القوافل وحدّ من أداء مهمتها، ونظرا لهذا الوضع الجديد تم التفكير من طرف قيادات القاعدة الشرقية بموافقة هيئة التنسيق والتنفيذ في إنشاء فيلقين اثنين: الرابع والخامس، لتأمين قوافل العبور الخارجة من الولايات والعائدة لولاياتها.

الفيلق الرابع تم تشكيله سنة 1958، يمتد قطاع نشاطه إلى حمام النبايل

قائد الفيلق : النقيب محمد لخضر سيرين

- النائب العسكري للفيلق : الملازم الأول يوسف لطرش
- النائب السياسي للفيلق : الملازم الأول علي عبود المدعو باباي
- نائب الاستعلامات للفيلق : الملازم الأول أحمد دراية

الفيلق الخامس تم تشكيله سنة 1958، قطاع نشاطه ضواحي بوحجار - بني صالح

قائد الفيلق : النقيب الطيب جبار

- النائب العسكري للفيلق : الملازم الأول محمد الطاهر دوايسية
- النائب السياسي للفيلق : الملازم الأول مبروك جبران

6 - المعارك والاشتباكات والهجومات المنفذة بعد تكوين الفيلق الأول

الهجوم على ثكنة الزيتونة (1956)

تقع ثكنة الزيتونة على الطريق الوطني المار من القالة، الطارف، الزيتونة، عين الكرمة، بوحجار، سوق أهراس، وتحيط بهذه المنطقة سلسلة من الجبال والغابات. تحرك الفيلق الأول بقيادة شويشي العيساني بكل وحداته باتجاه الثكنة على أساس الهجوم عليها واحتلالها ليلا، كانت الساعة تشير إلى التاسعة، وكان كل الجنود على ثقة كاملة باحتلال وتحطيم المركز نظرا للسلاح الذي زودتنا به القيادة. فبدأنا الهجوم بإطلاق مجموعات متتالية من قنابل مدافع الهاون عيار 82 ملم وعيار 60 ملم متبوعة بدفعات مكثفة من الرشاشات الثقيلة على المركز لإرباك العدوّ وفتح المجال لهجوم قواتنا على المركز لاحتلاله ؛ وهكذا كان الأمر، فبعد انتهاء الرمي أسرعت قواتنا بالهجوم ودخلنا للمركز لكن وجدناه فارغا نظرا لهروب العساكر الفرنسية من الجهة الأخرى.

للعِلم، لم تكن لنا الخبرة الكافية للتحكم في تقنيات هذا السلاح الجديد ؛ ولذلك سقطت بعض القنابل على المركز وأخرى علينا، فسببت خسائر للعدوّ من جهة وخسائر أخرى في صفوفنا، حيث استشهد 15 مجاهدا و6 مدنيين كانوا سجناء بالثكنة. كما استشهد المجاهد بوتلة عبد الله – رحمه اللّه – الذي كان متخصصا في تنصيب الألغام المضادة للدبابات، فكان يقوم بتنصيب ألغام في الطريق الذي يمر خلفنا من عين الكرمة للمرادية، فوقعت غلطة تقنية وانفجر عليه لغم فمات على الفور، رحمه الله.

ملاحظة : كان حاضرا في هذا الهجوم مجموعة من الصحفيين الأجانب من جنسيات إيطالية ويوغسلافية وتم تسجيل كل ما دار في المعركة بالصوت والصورة.

استمررنا في الهجومات والكمائن والاشتباكات مع العدوّ على طول الناحية وعرضها وبدون انقطاع، وبعد هذه الفترة جاءت فترة أخرى تولى فيها زواغي عمار قيادة هذه الناحية خلفا لعمورة بلقاسم الذي استُدعي لمهام أخرى، فأصبحت بدوري النائب العسكري له.

اشتباك عين النشمة (الطارف 1956)

توجد عين النشمة في منطقة استراتيجية بها كهوف ومخابئ وأحراش كانت تساعد جيش التحرير على تخبئة المواد الغذائية أو ما يعرف بالمؤونة والأشياء الأخرى الزائدة، وكان جيش التحرير يقيم بها من حين لآخر، وهي تعتبر كمركز للإيواء والتموين. وكانت تتكون قواتنا في هذه العملية من فصيلتين: الثانية والثالثة، بقيادتي أنا و سالم جوليانو.

وفي يوم من الأيام وقعت وشاية من أحد المواطنين الذي اتصل بالقوات الفرنسية وزودهم بمعلومات تفيدهم بتواجد قواتنا بهذا المكان. وعندما أشعرتنا حراستنا بقدوم القوات الفرنسية تجاهنا، جهزت قواتنا نفسها بسرعة ونظمت كمينا في انتظار وصول هذه القوات وانتشرت في الأماكن المناسبة التي تساعدها على التصدي للعدوّ، وفعلا، بعد أخذها لأماكنها وبعد قدوم قوات العدوّ قاصدين المكان بادرت قواتنا بإطلاق النيران من كل الجهات فأصيب عدد منهم وسادهم الخوف واستنجدوا كعادتهم بقوات الطائرات والمدفعية، غير أن هذه الأخيرة أخطأت أهدافها فصوّبت قنابلها ورشاشاتها على قواتها وسقط منهم أكثر من ثلاثين عسكريا من ضمنهم ضابط برتبة نقيب وهو ابن المقيم العام السابق بتونس « اود كلوك »، أما في صفوف جيش التحرير فاستشهد شهيدان وهما الشاب الساسي الصادق وعبد الغني، ومن المدنيين عشرة رحمهم اللّه. انسحبت هذه القوات وسحبت قتلاها وجرحاها، وأرادت إعادة الكرة بالرجوع لهذه الأماكن للانتقام من المواطنين الأبرياء، فرجعت في اليوم التالي وقامت بحرق منازل المواطنين وتصفيتهم تصفية جماعية ؛ توفي إثرهاعدد كبير من المواطنين رحمهم الله.

الهجوم على ثكنة العيون (نوفمبر 1956)

قررت قوات العدوّ القيام بعملية تمشيط واسعة على الحدود الجزائرية التونسية وبالضبط ضواحي قرية العيون والتي تتواجد بين أم الطبول ورمل السوق، والغرض من العملية هو تطهير المنطقة من المجاهدين.

بدأت هذه القوات بالوصول إلى قرية العيون على دفعات متتالية أين نصبت خيما داخل القرية وضواحيها، وكانت على وشك القيام بعملية التمشيط الواسعة، فسارع المواطنون الذين ينتمون لجيش وجبهة التحرير بجمع المعلومات الكافية عن هذه القوات والاتصال بنا وتزويدنا بها، فسارعنا من جهتنا بقيادة زواغي عمار نائب قائد الناحية الثالثة الفيلق الأول، ووحداتنا المتكونة من فصيلتين مجهزتين بأسلحة متنوعة من الرشاشات، الأولى بقيادة سلمون محمد والثانية بقيادتي للقيام بالهجوم ليلا. وشرعنا

بالتقدم تجاه هذه القوات من « مشتة أم السكك » ضواحي العيون، وبعد وصولنا إلى مقربة من ذلك أين تتمركز قوات العدوّ، بدأنا بأخذ الأماكن المناسبة لغرض إنجاح هذه العملية بأقل الخسائر، وأثناء انتشارنا وبعد الوقت المقرر لبداية الهجوم بدأنا بإطلاق النيران على هذه الخيم المنصبة والتي كانت ممتلئة بالعساكر، فأصيب عساكر العدوّ بالرعب والارتباك وكان رد فعلهم ضعيفا جدا ضد قواتنا ؛ فسببت لهم هذه العملية خسائر في الأرواح واستنجدوا كالعادة بالمدفعيات. انتهت العملية وانسحبنا بدون حدوث خسائر في صفوفنا.

ونتيجة للخسائر المعتبرة التي لحقت بهذه القوات، قررت قيادة هذه الوحدات المنهزمة جلب قوات من خارج العيون للقيام بعملية انتقامية داخل التراب الجزائري امتدادا لداخل التراب التونسي، حيث توجد تجمعات سكانية في هذه المناطق النائية والمتكونة من الأشقاء التونسيين بالإضافة إلى اللاجئين الجزائريين الذين استقروا هناك إلى جانب إخوانهم التونسيين. وفعلا، وصلت هذه القوات ليلا قادمة على محورين: محور القالة، أم الطبول، العيون، إلى الحدود التونسية، والمحور الثاني جاء من غرب العيون من الطارف، عين عسل، رمل السوق، إلى الحمرا وقرية ببوش الموجودة بالتراب التونسي وبأسفل عين دراهم.

وفي الصباح الباكر أين كانت قواتنا بهذه النواحي بعد انسحابها من العملية، بدأت هذه القوات التابعة للعدو تنتشر وتقوم بعملية تمشيط واسعة على الحدود الجزائرية التونسية وأنزلت قوات جوية بواسطة طائرات المروحية وراء قواتنا لتطويقها والقضاء عليها. فنظرا للأماكن التي كنا نتواجد بها والتي كانت محصنة تحصينا جيدا، استطعنا مواجهة هذه القوات والتصدي لها، ودخلنا معها في معركة شرسة دامت يوما كاملا بالتقريب، سببت لقوات العدوّ خسائر مادية وبشرية داخل التراب التونسي، أما المواطنون التونسيون واللاجئون الجزائريون فقد قتل عدد منهم وجرح آخرون وتم تدمير بعض السكنات والأكواخ، وفي المساء انسحبت هذه القوات راجعة من حيث أتت، أما قواتنا فأصيب منها أربعة جنود بجروح بليغة وأخرى طفيفة.

وفي اليوم الثالث وبعد انسحاب هذه القوات كان الرئيس بورقيبة الحبيب يقيم بدائرة عين دراهم حيث كان يقضي أيام راحة بهذه المعتمدية، ونظرا لارتفاع المكان الذي يقيم به وسيطرته على المنطقة كلها، فقد كان الرئيس بورقيبة يتابع سماع صوت انفجارات قنابل المدافع التي كانت تتساقط على التراب التونسي كما كان يتابع الغارات التي كان يقوم بها العدوّ على السكان التونسيين واللاجئين الجزائريين، وعند انتهاء العملية طلب من معتمد عين الدراهم الاتصال بنا ودعوتنا لمقابلته، فاستجاب عمار

الزواغي لتلك الدعوة واصطحبني معه وتوجهنا إلى معتمدية عين الدراهم أين كان في انتظارنا المعتمد فتوجه بنا إلى مقر الرئيس بورقيبة رحمه الله، فوصلنا واستقبلنا ورحب بنا وتمنى لنا النجاح وأكد لنا دعمه للقضية الجزائرية لغاية تحقيق النصر.

كمين الافصاح ضد القافلة الفرنسية بين برجيلات وجبل الوسط في خريف 1957

كنت حينها قائد الفصيلة الثانية الكتيبة الثالثة الفيلق الأول بالقاعدة الشرقية، إضافة إلى تكليفي بمهمة قيادة الفصيلة الثالثة مؤقتا بالنيابة بعدما استدعي قائد هذا القسم أو الفصيلة سالم جوليانو ليكون ضمن القوافل التي تم تعيينها من طرف هيئة التنسيق والتنفيذ بموافقة القاعدة الشرقية للقيام بمهمة نقل كمية معتبرة من الأسلحة والذخيرة للولايات الثالثة والرابعة.

وبدوري كلفت بوزينة محمد بالإشراف على الفصيلة الثالثة مؤقتا لغاية تعيين قائد فصيلة بصفة دائمة، ففي خريف 1957 كانت هناك قافلة عسكرية فرنسية تمر مرتين في الأسبوع بين عين الكرمة وبوحجار لتزويد الوحدات العسكرية الفرنسية بالمؤونة والمستلزمات الضرورية، وتتكون القافلة من ثلاثة مركبات من نوع « جيمسي » وسيارة « جيب »، فأصدرت الأمر لمحمد بوزينة لكي ينصب كمينا لها في دوار الافصاح بين برجيلات وجبل الوسط، فتوجه في الوقت المناسب ليلا بفصيلته للمكان الذي تم اختياره لتنصيب الكمين وانتشرت هذه الفصيلة وقامت بأخذ أماكن محصنة وموهت حضورها في هذا المكان.

عند وصول القافلة إلى مكان تنصيب الكمين على الساعة التاسعة، باغتتها الفصيلة الثالثة المزودة بأسلحة أوتوماتيكية ومن بينها رشاشان من نوع فامبار (سلاح أمريكي) وبدأت بإطلاق نيران مركزة وصائبة على القافلة وأحدثت بها خسائر معتبرة في العدة والعتاد، وبسرعة فائقة استنجدت القافلة بوحدات تدخل سريعة نظرا لقربها من مكان المعركة فلحقت بها مما جعل الفصيلة تنسحب بعدما حققت أهدافها.

فيما يخص قواتنا تم جرح ثلاثة جنود بإصابات مختلفة. أثناء هذه المعركة، وبالصدفة، كانت ثلاث كتائب قادمة من الولاية الثانية للحدود الشرقية لغرض تزويدها بالسلاح والرجوع لولايتها، وكانت هذه القوات أغلبها لا تملك سلاحا، رجعت الكتائب من أعالي دوار الافصاح إلى دوار الفحيص وغيرت الاتجاه عابرة منطقة أخرى تسمى الولجة المرادية بالحدود الشرقية.

معركة سوق أهراس أم المعارك (1958/04/26)

تعتبر معركة سوق أهراس من بين المعارك الكبرى التي ميزت السنوات السبع نظرا لشراستها والتي تكتب بدماء الشهداء في السجل الذهبي للثورة الجزائرية وتخلد الملحمة

الكبرى لسوق أهراس. بحكم تواجد الفيلق الرابع بمنطقة مازر قرب ساقية سيدي يوسف وتدريباته بهذه المنطقة المكشوفة، فقد سمح ذلك للعدوّ بمتابعة تحركاته بسهولة.

كان منطلق خط مرور القافلة يبدأ من تمركز الفيلق الرابع بعين مازر قرب ساقية سيدي يوسف نحو قرية جبار عمر ثم وادي الشوك إلى عين سنور فالمشروحة إلى وادي الشحم حتى الهوارة بالولاية الثانية. انطلقت قوات الجنود في طريقها نحو نقطة محل العبور بعد حفر خنادق وخلق ثغرات تحت الأسلاك الشائكة المكهربة، وعند الفجر عبرت كتائب الولاية الثانية ثم تلتها كتائب الفيلق الرابع، لكن سرعان ما اكتشف أمرها ومكان تحركاتها فأعد العدو العدة ووجهها في اتجاهات مختلفة قصد محاصرة المكان، وهكذا بدأت الملحمة في 1958/04/26 على الساعة التاسعة صباحا ودامت أسبوعا كاملا لغاية 1958/05/02 أين حدثت اشتباكات مهولة بين المجاهدين وقوات الاحتلال مع وحدات من الولاية الثانية فنصبت أسرابا من الطائرات العمودية وأنزلت حمولتها من الجنود على قمم الجبال التي شرعت بالقصف المدفعي المركّز والمكثف لمختلف المواقع، لكن فوجئوا بمواجهة من جهات أخرى في مناطق مختلفة مما أدى بالجيش الفرنسي إلى تسخير كامل إمكانياته المادية والبشرية لإضعاف عزيمة جيش الثورة، لكنّ مجاهدينا استبسلوا وألحقوا بالعدوّ الغاشم خسائر في صفوفه وواصلوا ضغطهم لغاية الليل.

دام العراك أسبوعا كاملا بنفس الشراسة، واستشهد عدد كبير من المجاهدين (حوالي 620 مجاهدا) من بينهم نائب قائد الفيلق الرابع الأطرش يوسف، واستشهاد عثمان معنصر قائد الكتيبة الثانية والمجاهد دوايسية محمد الطاهر رحمهم الله، و1260 قتيلا من جنود الاستعمار.

كمين بحيرة قرعة القالة (ماي 1958)

تمتد مساحة بحيرة قرعة القالة من كاف الشهبة، السوارخ، العيون، أم الطبول، القالة، وتحيط بها مجموعة من القرى من جميع الجهات، وتُعتبر من القرى التي لم تكتمل بعد في مجال التنظيم السياسي من طرف جبهة التحرير، فقد كان سكانها مترددين في الانخراط في صفوفها ولم يكن لهم الاستعداد لاستقبال وإيواء المجاهدين لدرجة أنه في بعض الأحيان كان بعضهم يبلّغ عن وجودنا بهذه المنطقة للسلطة الفرنسية.

كانت القوات الفرنسية تقوم يوميا بدوريات عسكرية داخل هذا المحيط للتفتيش واكتشاف وجود المجاهدين ؛ مما جعلنا نتحرك من الفدان مرورا بمجودة، خنقة عون، كاف الشهبة، متجهين إلى مكان مرور هذه القوات، حيث مكثنا هناك مدة أربعة أيام في كاف الشهبة لغرض الرصد والحصول على معلومات كافية عن تحركاتها وموعد عودتهم لأماكنهم، فقررنا بعد الحصول على المعلومات الكافية تنظيم كمين لإحدى

هذه الدوريات، فاتجهنا من كاف الشهبة إلى محيط القرعة حيث تمر هذه الوحدة ووقع اختيارنا على المكان المناسب للقيام بالعملية. وفعلا توجهنا فجرا إلى المكان المقرر لتنظيم الكمين وأخذنا أماكننا في انتظار وصول هذه الوحدة، وفعلا قد جاءت فرقة أو فصيلة من القوات الفرنسية مترجلة لاكتشاف هذه المنطقة وتفتيشها، وبعد وصولها عند مستوانا بادرنا بإطلاق النيران عليهم ودام الاشتباك ساعة ونصف، فمُنِّيَ العدوّ بخسائر معتبرة في الأرواح. وأثناء الاشتباك أصيب قائد الفوج بحري بلقاسم (العائد من حرب الفيتنام) بالرصاص فانسحب إلى الخلف، وقد ضرب الرقم القياسي في الشجاعة والبطولة.

ونظرا لطبيعة الجهة المتكونة من غابات كثيفة وأدغال وعند انتهائنا من العملية قررنا الانسحاب لم نجد بيننا بحري بلقاسم فبدأنا بالبحث عنه في هذه الغابات، غير أننا لم نعثر عليه لا حيا ولا ميتا، فرجعنا إلى الفدان معتقدين أنّه رجع قبلنا إلى هذا المكان فلم نجده ؛ مما اضطرنا للبحث عنه ثانية ودام التفتيش عنه ثمانية أيام، وفي النهاية وجدناه ميتا داخل هذه الغابات وسلاحه على صدره من نوع ستان الإيطالية ورائحة المسك تنبعث من جسمه، ودفنا هذا الرجل العظيم رحمه الله.

معركة بوخندق (1958/10/09)

جرت وقائع معركة بوخندق بجبال بني صالح، بين جنود الفيلق الخامس والكتيبة الخامسة والسادسة وقوات العدوّ، حيث دامت المعركة أكثر من 24 ساعة، وبعد أسبوع من الاشتباكات والمناوشات استُعمل فيها السلاح الأبيض بعد نفاذ الذخيرة من كلا الطرفين، كما استُعملت فيها لأول مرة الأسلحة المضادة للطيران، وكانت النتيجة 73 شهيدا على رأسهم البطل جبار الطيب، أمّا خسائر العدوّ فحوالي 60 قتيلا والعديد من الجرحى، وقد شوهدت طائرات الهيليكوبتر تحط قرب بوحجار لنقل الجثث والجرحى، كما أُسقطت طائرة من نوع ب 26

اشتباك كاف الهواري ببلدية عين الكرمة (الطارف 1958)

خرجت فرقة كومندوس من قوات العدوّ للقيام بعملية استطلاع بغرض الكشف عن تحركات وحداتنا بهذه المنطقة، ومنذ خروجها رصدت هذه الوحدة من طرف وحداتنا اليقظة، حيث تتبعت الفصيلة الثالثة من الكتيبة الثالثة للفيلق الأول من جنود جيش التحرير تحركاتها بدقة ؛ وبالتالي نصبت لها كمينا على ممر عودتها، وعند وصول هذه الفرقة على مستوى الكمين تم إطلاق النيران عليها من كل الجهات ففوجئت وارتبكت، ودام الاشتباك عدة ساعات تكبدت فيها خسائر فادحة مما جعلها تطلب النجدة من القوات الجوية والطائرات التي قامت بتغطية عملية الانسحاب وإخلاء القتلى والجرحى.

بفضل الله لم تقع أية خسائر في صفوفنا، وهذا لأن وحداتنا كانت محصنة تحصينا جيدا.

اشتباك الغرة (ديسمبر 1958)

لقد كان قائد الكتيبة الثالثة، الفيلق الأول، القاعدة الشرقية، المدعو زواغي عمار، رجلا شجاعا وقائدا عظيما، فبعد عودته من حرب الفيتنام والتحقائه بالثورة تدرّج في المسؤوليات، من فوج الكومندوس إلى نائب قائد الناحية، إلى قائد الناحية أين كنت نائبا عسكريا له.

القائد زواغي عمار سبَّب للعدوّ حرجا كبيرا بتخطيطه وتنفيذه لعدة عمليات هجومية ضده من كمائن واشتباكات ؛ فوضعت السلطة الفرنسية مخططا للقبض عليه أو تصفيته، ففي يوم من الأيام حضّرت له فرقة من الكومندوس متدربة تدريبا جيدا وسريعا وهي مؤطرة بعملاء جزائريين نظرا لدراية هؤلاء بالمنطقة جغرافيا كما أنهم على علم دقيق بتحركات هذا القائد في النهار والليل والمكان الذي يتواجد به ليفاجئوا هذا القائد بإلقاء القبض عليه أو قتله، فتسربت هذه الفرقة ليلا من الطارف إلى جبال الغرة واختبأت هناك في مرتفع يسيطر على كل هذه المنطقة التي يوجد داخلها قائد الكتيبة الثالثة وبدأت ترصد كل تحركاته لغرض القيام بعملية الهجوم عليه والقبض عليه حيا أو ميتا، غير أنه بفضل الله سبحانه عز وجل ويقظة قواتنا المستعدة لمواجهة العمليات النكراء التي يسطرها العدو، اكتُشفت هذه الوحدة وطُوّقت مواقعهم بتنظيم محكم، لكن القوات الفرنسية كانت محصنة نسبيا في هذا المرتفع بالغرة مما اضطرنا إلى تدعيم هجومنا بمدافع الهاون ضدهم، فارتبكوا وسادهم الذعر مما أجبرهم على الانسحاب. واستنجدت هذه القوات كالعادة بالطائرات التي كانت تغطي عملية انسحابهم ودام الاشتباك عدة ساعات لغاية الليل وقضوا الليل هناك مطوّقين، وفي الصباح بدأت المدفعية وسرب من الطائرات بتكثيف الاستطلاع والرمي لتغطية انسحابهم، وفي النهاية كانت خسائرهم معتبرة في الأرواح والجرحى. أما في صفوفنا فقد استشهد جنديان تحري عبد الله المدعو حسن ومجاهد آخر – رحمهما الله – وجرح ثلاثة آخرون.

هجوم الفجيج (الطارف) على القوات الفرنسية المنتشرة هناك (ديسمبر 1958)

كانت حينها القوات الفرنسية بصدد إنشاء خط شال المكهرب على الجهة الشرقية من الوطن انطلاقا من أم الطبول بالقالة ولاية الطارف على جانب الطريق الوطني الذي يمر بالعيون، رمل السوق، عين العسل، الطارف، المرادية، الزيتونة، عين الكرمة مرورا ببوحجار، سوق أهراس، الصحراء، وذلك بواسطة الهندسة العسكرية الفرنسية والمساجين الجزائريين في المحتشدات والسجون الفرنسية، وكانت توفر لهم الحماية الأمنية بواسطة طائرات الاستطلاع ووحدات الحراسة الخاصة من قوات المشاة.

ومن ضمن هذه الوحدات كانت وحدة منها تقوم بحراسة العاملين على هذا الخط المكهرب بصفة دائمة في مرتفعات الفجيج على جانب الطريق الموجود بين الطارف والزيتونة، وكانت مهمتها أولا حراسة العاملين على الخط وثانيا تشديد الحراسة والرقابة على المارين من جيش التحرير الوافدين من الولايات الداخلية إلى خارج الوطن والعائدين من خارج الوطن إلى الولايات الداخلية والذين يقومون بجلب السلاح للولايات الداخلية. فهذا المركز سبّب لنا صعوبات كبيرة وإحراجا نظرا للمكان الاستراتيجي المتواجد به أين يستطيع فرض رقابة مكثفة وشديدة على المجاهدين الذين يمرون به.

لكن على الرغم من الصعوبات التي واجهتنا فإننا نظمنا هجوما كاسحا بواسطة الرشاشات ومدافع الهاون والصواريخ المضادة للدبابات والتحصينات، فسببنا لهذه الوحدة خسائر معتبرة في الأرواح والعتاد وانسحبنا إلى مواقعنا ؛ فردّ العدوّ على ذلك بالانتقام لما لحقه من هزيمة نكراء ضد المواطنين الأبرياء من سكان هذه المنطقة، إذ قام بارتكاب مجزرة رهيبة تقشعر منها الأبدان، حيث ذبح النساء والأطفال والشيوخ ولم تنجُ حتى الحيوانات من هذه المجزرة، ومن بين القتلى مسؤول التموين لوحداتنا، كما قام بحرق المنازل بمحتوياتها.

وعندما وصل الخبر لقواتنا عن هذه المجزرة وقتل مواطنينا قمنا بهجوم آخر مضاد انتقاما من العدوّ حيث تمكنّا من ضرب قواته ومحاصرته من كل الجهات فألحقنا بهم خسائر في الأرواح والعتاد، حيث شوهدت الطائرات المروحية تخلي الموتى والجرحى من مكان المعركة. في هذه المرحلة كنت قائدا للكتيبة الثالثة خلَفا لعمار زواغي الذي استدعي من طرف قيادة الفيلق لمهام أخرى.

اشتباك المرادية الثانية بالطارف (1958)

حضّر العدوّ عملية تمشيط واسعة النطاق تطبيقا لسياسة الأرض المحروقة التي أقرّها الجنرال ديغول بعد عودته إلى الحكم في ماي 1958، إذ أخلت قواته المواطنين من أراضيهم وممتلكاتهم وزجت بهم في المحتشدات التي أقيمت خصيصا للمواطنين الجزائريين، وأحاطتهم بالأسلاك الشائكة كما فرضت عليهم الحراسة المشددة.

بعد الانتهاء من عملية التمشيط، وعند استعداد قوات العدوّ للعودة من حيث أتت، اعترضتهم فصيلة من الكتيبة الثالثة وفصيلتان من الكتيبة الأولى الفيلق الأول ودخلت في اشتباك معها لعدة ساعات، واستنجدت كعادتها بالطائرات، فتصدت قواتنا لقوات المشاة الأرضية كما تصدت بالمدافع الرشاشة للطائرات المصفحة من الأسفل من نوع ت 06 المسماة الطائرة الصفراء، فباغتتها قواتنا وصوبت بدقة على الجهة

الأمامية لوجود الطيار فأصيبت إحدى الطائرات إصابة مباشرة وسقطت خلف هذه القوات وهيكل هذه الطائرة حاليا موجود بمتحف عين الكرمة.

الهجوم على ثكنة عين عسل (1958)

توجد عين عسل في مكان استراتيجي هام يوفر الحماية للقوات الفرنسية ويسهّل لهم حرية التحرك في كل الاتجاهات نظرا للطرقات المتفرعة شمالا وجنوبا وغربا، كما أنها تتواجد بسفوح جبال ماكسة وخنقة عون الممتدة باتجاه الطارف، وكما أن هذه الثكنة تتحكم في الرقابة المستمرة على مسالك قوافل جيش التحرير التي تمر خارج الحدود وداخلها.

وبعد حصولنا على كميات معتبرة من السلاح ولا سيما سلاح مدافع الهاون 82 ملم، ونظرا لنقص الخبرة والتدريب لاستعمال هذا السلاح قررت القيادة تنظيم دورة تدريبية لنخبة من جنود جيش التحرير وبالأخص للذين يحسنون القراءة والكتابة، فجمعت هذه النخبة من كل الوحدات والمتكونة من 30 متكون وأحضرتهم في منطقة بقوس جنوب الطارف في منطقة محررة حينذاك من العدوّ والتي كانت تسيطر عليها قواتنا سيطرة كاملة، وتم تعيين النقيب زرغيني محمد، الفارّ من الجيش الفرنسي، لكي يقوم بتدريب هذه الوحدة، ودامت المدة شهرا كاملا، وبعد انتهاء الدورة التدريبية قرر تنظيم عمليتين تجريبيتين لاختبار هؤلاء المتكونين في التحكم في الرمي. تمت هذه التجربة على عدة مرات متتالية وتأكد النقيب زرغيني – رحمه الله – أن هؤلاء قد اكتسبوا خبرة، وانتهى التدريب وانتقل إلى المرحلة الثانية وهي اختيار المكان المناسب للعدوّ للقيام بعمليات هجومية بواسطة مدافع الهاون.

وتم الاختيار على عين عسل للقيام بعملية هجومية، وبالمناسبة أتت قوات فرنسية من عنابة وأقامت بعين عسل في الخيم المؤقتة، والغرض من وصولها إلى هناك هو القيام بعملية تمشيط الجهة الشرقية لعنابة ابتداء من مدينة القالة، رمل السوق، ضواحي عين عسل والطارف. وصل جزء من هذه القوات لعين عسل ونصبت الخيم وكانت تنتظر انطلاق عملية التمشيط، فاتجهنا قبل الليل ووصلنا إلى مرتفعات عين عسل وتم تنصيب وتصويب 8 قطع من مدافع الهاون تجاه الخيم المتواجدة بها وحدات العدوّ، أما قواتنا الأخرى فتوجهت على أطراف عين عسل وطوقت المكان في انتظار إشارة الهجوم لتقوم بدورها بتوجيه نيرانها ضد العدوّ، وعلى الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة أعطيت الإشارة الأولى لبداية الهجوم، وبدأت القنابل تُبعث من هذه المدافع وتتساقط على هذه الخيم التي كانت مملوءة عن آخرها بالعساكر ؛ فأصيب بعضهم وجرح آخرون.

في هذه الأثناء قام عسكريان من اللفيف الأجنبي ومن أصل ألماني بأخذ مركبة من نوع "جيب" واتجها بها من عين عسل وماكسة من طريق غير معبد والذي يشق ماكسة وبقوس إلى الحدود الجزائرية التونسية، وعندما كنا في حالة انسحاب شاهدنا عند رجوعنا عن طريق ماكسة هذه المركبة بأضوائها حيث لم نكن بعيدين عنها، فوجدنا الألمانيين يرفعان العلم الأبيض، وعند وصولنا إليها سلّما أنفسهما وشرحا لنا الموقف على أنهما فرّا من الجيش الفرنسي، فجردناهما من السلاح واتجهنا بهما إلى مقرنا وتركنا هذه المركبة في مكانها على طرف الطريق، ورجعنا في اليوم التالي لهذا المكان لأخذ المركبة فقرر زواغي عمار أن يقوم بإخراج المركبة إلى تونس رغم أن الطريق لم يكن معبدا ومخربا ومملوءا بالأشجار المتساقطة عبر الطريق، فجند المسبلين والجنود وقاموا بتنظيف الطريق ورفع الحواجز عنها، وتوجه بها إلى غاية وصوله للحدود التونسية وسلّمها لقيادة الفيلق، وكانت تستعملها إلى غاية الاستقلال.

أما العسكريان الألمانيان فطلبا منا إرجاعهما إلى بلدهما في أمان، وهكذا كان الأمر حيث سلمناهما إلى قيادة الفيلق ومنها إلى قيادة الأركان وبعدها إلى الحكومة المؤقتة التي أرجعتهما إلى أهلهما. في النهاية كانت العملية ناجحة وكبّدت العدوّ خسائر معتبرة.

اشتباك المطروحة (الطارف 1958)

تقع المطروحة بين الطارف والزيتونة ما بين حوالي 10 و 15 كلم على الطريق الوطني رقم 9، تحدها جبال ومرتفعات على جانبي الطريق، وتعتبر بالنسبة لنا مكانا استراتيجيا هاما، حيث تعتبر منطقة عبور للمجاهدين الوافدين من ولايات الداخل إلى الخارج والقوافل التي تعود من تونس وتتجه للولايات الداخلية. فنظرا لذلك عرف العدوّ أننا نقوم بالتحرك الدائم والمستمر بهذه المنطقة، فقرر القيام بتكثيف الدوريات المستمرة وتنظيم نقاط مراقبة ثابتة من حين لآخر، كما كان يقوم بالاستطلاع الدائم بواسطة الطائرات. وبعد أن ضايقتنا هذه الدوريات على الدوام ونقاط المراقبة للحد من نشاطنا وتحركاتنا، قررنا من جهتنا أن نقوم بكمين مدروس دراسة دقيقة وبعدها نقوم بتنفيذ العملية ؛ فنظمنا دوريات استطلاعية، وكانت تسجل هذه الدوريات كل تحركات العدوّ في الليل والنهار ونقاط المراقبة التي كان يقوم بها.

وبعدما حصلنا على المعطيات الكافية قررنا تنظيم كمين على الطريق المذكور أعلاه على إحدى القوافل العسكرية والتي تنطلق من الطارف اتجاه الزيتونة، عين الكرمة، بوحجار.

تحركت الفصيلة الثانية، الكتيبة الثالثة، الفيلق الأول، من ضواحي النوازي بقيادة عبد الله برجيلات وبحضوري شخصيا بصفتي قائد الكتيبة، ووصلت إلى المكان الذي تم

عليه الاختيار وتم تنصيب الكمين على الساعة الثالثة بعد الظهر في انتظار القافلة التي تصل في ذلك التوقيت.

وصلت القافلة على الساعة الرابعة، ففوجئت بالهجوم المفاجئ والسريع من طرفنا والمصحوب بالنيران المكثفة فارتبكت وسادها الخوف والإحباط، وكان عددهم حوالي 50 عسكريا وعدد المركبات حوالي أربعة. دام الهجوم حوالي ساعة من الزمن تكبد خلالها العدوّ خسائر فادحة في الأرواح والعتاد ؛ فحاولت فصيلتنا الاستيلاء على أسلحتهم وحرق المركبات، غير أنها فوجئت بوصول قوات النجدة من الطارف والزيتونة، فقرت الفصيلة الانسحاب، والحمد لله عادت بسلام.

تمثّلت خسائر العدوّ في 15 قتيلا و 10 جرحى وحرق سيارة مجنزرة. وكردة فعل، فإن العدوّ كعادته قام بالانتقام من المواطنين العُزّل، حيث قتل عددا منهم واعتقل آخرين وزج بهم في السجون والمحتشدات المقامة بضواحي الطارف، وأصبحت هذه المنطقة محرّمة.

الهجوم على مواقع العدوّ بعين الكرمة (1958)

قام العدوّ بتدعيم قواته على الجهة الشرقية من الوطن – نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز على الحدود الشرقية التونسية – بقيامه بدوريات مستمرة، كما كان يقوم من حين لآخر بعمليات مسح القرى ومراقبتها ليتأكد من خلوّها من جنود جيش التحرير بسبب موقعها الجغرافي على الحدود الشرقية الجزائرية التونسية أيضا. وفعلا تم بناء نقاط مراقبة على جانب الطريق وبالمرتفعات بداية من بوحجار، الشابنة، عين الكرمة، الزيتونة، المطروحة، الطارف، عين عسل، فرين، رمل السوق، العيون، أم الطبول، القالة ؛ والغرض من ذلك هو تكثيف الرقابة على تحركات جيش التحرير بهذه المناطق.

فقررنا من جهتنا أن نقوم بردّة فعل قوية ضد قوات العدوّ، المتواجدة بهذه المناطق، والهدف من ذلك هو إفساد برامجه المسطرة، وبالتالي التأثير على معنوياته، وذلك بتكثيف ومواصلة العمليات الهجومية على مراكزه بدون انقطاع، بداية من أم الطبول شمالا إلى غاية بوحجار، مرورا بكل النقاط المذكورة أعلاه. ومن ضمن الخطط المسطرة من جانبنا، تم إصدار أمر للفصيلة الثالثة بالتحرك والقيام بعملية هجومية على عين الكرمة لضرب مواقع العدوّ.

بدأ الهجوم على الساعة 11 ليلا ودام إلى غاية الواحدة صباحا، وتم قصف نقاط مراكز العدوّ بالأسلحة الرشاشة ومدافع الهاون. ومن هذا التاريخ تقرر مواصلة العمليات الهجومية على طول الناحية الثالثة وعلى كل المراكز المذكورة سابقا.

اشتباك مجودة وبقوس وعين كبيرة (1958)

تطبيقا للبرنامج المسطر من طرفنا والذي يتمثل في القيام بعمليات هجومية مكثفة ومتواصلة بدون انقطاع على مراكز العدوّ بالناحية الثالثة الفيلق الأول، ومن شمال الناحية إلى جنوبها، وعلى كلّ المراكز والثكنات بدون استثناء، قمنا بعمليات هجومية كبيرة شملت عين الكرمة، الزيتونة، الطارف وعين العسل التي أثرت على معنويات العدوّ وسادهم اليأس والإحباط بسبب هذه العمليات.

وكانت المساحات الجبلية الشاسعة الموجودة شرق الطريق الوطني المار من القالة إلى بوحجار مناطق محررة من طرف جيش التحرير ومحرمة على العدوّ، وهذه المناطق تبدأ من القالة إلى بوحجار وتحدها من الشرق الحدود التونسية. ومن جهة العدوّ، قرر تحضير قوة برية مدعّمة بطائرات الاستطلاع ومروحيات الإنزال والمدفعية لاختراق هذه المنطقة المحرمة، وتقدم على عدة محاور انطلاقا من عين عسل والمطروحة وكانت الساعة تشير إلى الفجر. وبدأت العملية بالقصف المدفعي المكثف تجاه وحداتنا بالإضافة إلى طائرات الاستطلاع، وكانت كتيبتنا موزعة كالآتي: فصيلة موجودة بمجودة والتي كنت حاضرا بها وفصيلتين موجودتين بعين الكبيرة.

وعند بزوغ الشمس فاجأتنا وحدات العدوّ الأولى بمجودة متقدمة مترجلة ومتكونة من اللفيف الأجنبي والمظليين وتحت تغطية مكثفة بالمدفعية بحثا عن المجاهدين، فتصدت لها فصيلتنا وقامت بتنظيم كمين حيث كانت تنتظر وصولها على مستواها، وعندما وصلت بدأت قواتنا بإطلاق النيران المكثفة على المفرزة الأولى والنسق الأول اللذين يتقدمان باتجاهنا، فأسقطت عددا كبيرا من المفرزة الأولى، ودافعت قوات العدوّ بالنسق الثاني فاستقبلت بنفس النيران المكثفة من طرف الفصيلة، وبعد ذلك ونظرا لقوات العدوّ الكبيرة أعطيت أوامر لفصيلتنا بالانسحاب.

فحاول العدوّ التقدم على محوري بقوس والمطروحة وصولا إلى عين الكبيرة، والغرض من ذلك هو تطويق قواتنا الموجودة بعين الكبيرة أين استعمل الطائرات المروحية وقام بعمليات إنزال خلف قواتنا. غير أن فصيلتنا انسحبت بعين مجودة إلى عين الكبيرة ملتحقة بالفصيلتين الموجودتين هناك في مرتفعات محصنة، فحاول العدوّ أن يطوّق المنطقة، غير أنه فشل نظرا لوجود قواتنا في أماكن جد محصنة.

دارت معركة كبيرة دامت ساعتين وكانت قوات العدوّ مدعّمة بالمدفعية وطائرتي استطلاع و6 طائرات من نوع ت 6 مصفحة من الأسفل والمصنوعة مخصصا لحرب الجزائر.

أثناء هذه المعركة والمواجهة الشديدة تدخلت هذه الطائرات فواجهتها قواتنا بدفعات نارية متتالية من الرشاشات فأصيبت هذه الطائرة على مستوى الطيار

من الأمام مما أدى إلى سقوطها خلف قوات العدوّ، وقد نجا الطيار ونائبه من الموت أما الطائرة فاحترقت عن آخرها وهيكلها موجود اليوم في متحف المجاهد بمدينة الطارف.

انتهت العملية بإفشال المحاولة الهجومية للعدوّ على قواتنا وانهزم هزيمة نكراء وانسحب بفضل شجاعة الأبطال. ومن بين هؤلاء الأبطال الذين برهنوا على شجاعتهم وبطولاتهم: دريس محرز قائد الفصيلة الثالثة، وعبد الله برجيلات، والسراي أحمد، و قدوش أحمد، و بوزينة محمد – رحمهم الله – وبعض المجاهدين الذين لا أتذكر أسماؤهم، رحمهم الله.

الهجوم على القوات الفرنسية المنتشرة بالقيطون (الطارف 1958)

في هذه السنة تخلى جنديان عن جيش التحرير وسلما نفسيهما للعدوّ طواعية، هذان الجنديان هما الحبيب من الناحية الثانية، المنطقة الأولى، القاعدة الشرقية، والجندي الثاني مجيد من الكتيبة الثالثة، الفيلق الأول.

وعلى إثر هذه الخيانة، التي اغتنمها العدوّ كفرصة لاستغلالهما للحصول على معلومات تفيده للقيام بعمليات مباغتة ومفاجئة وسريعة ضد جيش التحرير بالناحية الثانية والثالثة، وبعد حصوله على كل المعلومات المتعلقة بجيش التحرير، ونظرا لكون العميلين من أبناء المنطقة وكونهما منخرطين في صفوف جيش التحرير ويعرفان أسراره وتحركاته بهاتين الناحيتين، قرر العدوّ أن يشكّل وحدة قتالية خاصة وقام بتدريبها وتسليحها وبدأ بالتطبيق العملي والميداني لمباغتة جيشنا ومخادعته، فأصبحوا يخرجون ليلا ويتسترون داخل الجبال ويباغتون وحدتانا، وأصبحوا يستعملون نفس أسلوب جيش التحرير، وكل هذا بمرافقة الجنديين كدليل.

وفي يوم من الأيام خرجت هذه الوحدة ليلا إلى الناحية الثالثة وتسربت في الخفاء والسرية التامة ووصلت إلى مشارف المكان المسمى القيطون أين توجد كهوف وتضاريس صعبة ومغطاة بغابات كثيفة وأحراش. بدأت هذه الوحدة بمراقبة تحركاتنا، ولكن وليقظة جيش التحرير اكتشفنا أسرار هذا العدوّ من خلال آثار الأحذية في المسلك الذي مروا عليه، فتتبعنا الاتجاه الذي سلكوه إلى غاية اكتشافهم مختبئين في كهف من الكهوف المذكورة أعلاه وكانت الساعة تشير إلى حوالي الخامسة بعد الظهر، فتقدمنا لغاية الوصول إليهم فبادروا بالرمي بالرشاشات والقنابل المتفجرة وبدورنا قمنا برد الفعل واشتبكنا معهم.

قتل العدوّ جنديا من المفرزة الأولى لقواتنا وهو المدعو عبد الله من أبناء عين الكبيرة، واستولى على سلاحه، ودام الاشتباك فترة لغاية الليل. قمنا بتطويق هذه

الوحدة وفي الصباح أعدنا الكرة وبادرنا بالهجوم على العدوّ بغرض هزيمتهم أو القضاء عليهم، غير أنهم بادروا بطلب النجدة من المدفعية والطائرات. عرقل وصول النجدة هجومنا ولم نتمكن من مواصلة الهجوم نظرا للمكان المحصن الذي تواجد به العدوّ. في الأخير انسحب العدوّ تحت غطاء المدفعية الكثيف وتغطية الطائرات وعاد من حيث أتى. مع مرور الزمن سبب العميلان مشاكل وعراقيل أمام أهداف وعمليات جيش التحرير في هذه المناطق واستمر هذا الوضع عدة سنوات، وبالتالي أثر على قدراتنا القتالية تأثيرا كبيرا، غير أنه لم يحدّ من إرادتنا وعزيمتنا لتحقيق أهدافنا المسطّرة.

كمين القرعة (بحيرة واد الحوت) بضواحي القالة (1958)

توجد هذه المنطقة على الطريق المار من القالة لأم الطبول، كما توجد طريق أخرى من الفرين تتجه نحو واد الحوت وطريق وطني جنوبي بين رمل السوق والفرين. يوجد بهذه المنطقة كاف الشهبة وهو عبارة عن مرتفع على مستوى سطح البحر تكسوه غابات كثيفة وأحراش وبأسفله توجد هذه البحيرة وأم الطبول والقالة، كما توجد بهذه المنطقة مجمعات سكانية كثيفة، وهم يعتبرون من أغنياء المنطقة لكونهم من مربي الأبقار. وكانوا غير مستعدين للانضمام لجيش وجبهة التحرير، وكان أغلبهم يرى التعاون مع العدوّ أفضل من انتمائه لجيش وجبهة التحرير.

وهذه المنطقة حينذاك كانت عبارة عن قسم تابع للناحية الثالثة بقيادة سلمون محمد، وكانت هذه الفصيلة تقوم بعمليات تفقد من حين لآخر وتنسحب خوفا من الوشاية كون المنطقة رملية ؛ فعند مرور جيش التحرير يترك أثرا وبالتالي يتم التبليغ من طرف المواطنين للعدوّ بوجود قواتنا بهذه المنطقة.

قامت قيادة الفيلق برئاسة النقيب رساع مازوز قائد هذه المنطقة بدرس الوضعية العامة والخاصة للقسم الأول الناحية الثالثة المنطقة الأولى، وقرر قائد المنطقة إمّا تنظيم كمين أو القيام بعملية هجومية على ثكنة من الثكنات، وتم تكليف سلمون محمد قائد القسم بهذه الجهة لاختيار مكان الكمين أو الهجوم وإعطاء ملخص أو عرض حال عن هذا الطلب ؛ فطلب من سلمون الاتجاه لكاف الشهبة نظرا لارتفاعه وسيطرته على المنطقة وتحديد القوافل العسكرية المارة ذهابا وإيابا من القالة لأم الطبول، أو الهجوم على ثكنة خاصة بحراسة الجسر المار فوق بحيرة واد الحوت.

توجّه سلمون للمنطقة ومكث أيّاما وترصّد كل تحركات العدوّ ذهابا وإيابا على هذا الطريق المار من القالة لأم الطبول وعدد المركبات المارة من حين لآخر، وفي الأخير بلّغ مازوز بالأمر لأخذ القرار الذي يراه مناسبا أو ضروريا. وبعد تسليم الملخص لقائد المنطقة، قرر مازوز تنظيم كمين على الطريق المار بين القالة وأم الطبول وعلى الجانب

الشرقي لواد الحوت أين تمر القوافل يوميا ذهابا وإيابا، غير أن هذا الكمين ليس بالسهل تنظيمه والقيام بالعملية بدون أخذ الاحتياطات لغرض تأمين انسحاب الفصيلة بعد العملية من التطويق أو الكمائن المعاكسة ؛ وعليه قررت القيادة إضافة فصيلة لتأمين الانسحاب بعد استشارة مسؤولي القسمين.

وهذه الفصيلة مهمّتها القيام بتأمين الانسحاب للفصيلة التي تنظّم الكمين، وقُسّمت إلى قسمين: قسم يؤمّن طريق الفرين إلى واد الحوت (والغرض من تنظيم الكمين هناك هو التصدي للعدوّ لو أراد غلق الطريق)، والقسم الثاني يؤمّن الطريق من خنقة عون إلى رمل السوق. قرر رساع مازوز شخصيا الإشراف على هذا الكمين، وفعلا اتجهنا قبل العملية بيوم إلى كاف الشهبة وقضينا الليلة هناك، وكعادته، جيش التحرير يقوم بالعمليات الصعبة ابتداءً من الظهيرة.

في وقت الظهيرة، توجّهنا إلى مكان الكمين وتم نشر هذه الفصيلة على جانبَي الطريق، وانتظرنا وصول القافلة المتكوّنة من مركبات مصفّحة ومركبات من نوع جيمسي و4x4 أو 6x6. وصلت القافلة وفاجأناها لأول مرة في المنطقة بالرمي المفاجئ والسريع، وسببنا لهم خسائر معتبرة في الأرواح والعتاد، وتقدمنا إلى غاية المركبات لاغتنام الأسلحة وأخذ الأسرى، غير أننا لم نوفَّق لذلك نظرا لقرب المكان من مدينة القالة وأم الطبول، حيث سارعت قوات العدوّ بالنجدة ووصلت بسرعة فائقة للمكان، وعلى إثر ذلك انسحبنا دون غنائم.

وبعد هذه الفترة، أعطيت أوامر لقائد القسم كي يكون جيش التحرير موجودا بكثافة بالمنطقة، لتوعية المواطنين بضرورة انضمامهم لمساندة جيش التحرير، فأصبحت الفصيلة تقوم بعمليات تفقدية لهذه الجهة، وكثفت الاتصالات بهؤلاء المواطنين لإقناعهم. أصبح المواطنون يساندون أكثر جيش التحرير ويحثون أبناءهم على الانخراط في صفوفه، كما أصبحوا يدفعون الاشتراكات والهبات تلقائيا من أنفسهم. انتهى الأمر بتحقيق خطوات إيجابية لصالح جيش التحرير، حيث استفاد كثيرا من مساندة المواطنين له.

معركة البلوط (1959)

في إطار اللامركزية المطبقة بجيش التحرير الوطني، فإنّ وحداته لها الحرية في تقييم ودراسة الأوضاع العسكرية بالمنطقة واتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب، وبالتالي لها الأولويات في القيام بالعمليات الهجومية على الثكنات وتنظيم الكمائن وحرية القيام بمبادرة الاشتباك مع العدوّ الذي يقوم بعملية تمشيط أو مسح ودوريات ؛ مما جعل الكتيبة الثالثة تقوم بدراسة الوضع العام لأن قطاع عملياتها يمتد على طول 120 كلم.

وبعد الدراسة قررنا القيام بالتصدي لهذا العمل كالآتي: تكوين وحدات كومندوس صغيرة لا تتجاوز ستة مقاتلين، تقوم بغارات خاطفة وسريعة ومفاجئة ضد قوات العدوّ بعد أن تتسرّب داخل الأحراش والغابات، ثم تقوم بالاختفاء لغاية وصولها إلى الوحدات التي تقوم بالحراسة وقتل عدد منها والانسحاب بأقل الخسائر. وكذلك القيام بعمليات هجومية متواصلة وبدون انقطاع على كل مساحة الناحية الثالثة. بدأنا بتنفيذ هاتين العمليتين اللتين أقلقتا العدوّ وأربكتاه وجعلتاه يبحث ويدرس الوضع، وبالتالي رد الفعل.

استمر الوضع عدة شهور، وكانت النتيجة تصب في صالحنا وتتسبب في هزائم متواصلة ضد قوات العدوّ الذي اضطر إلى تشكيل وحدات كومندوس خاصة لمواجهتنا، وقرر تدريب وحدة قتالية عصرية متكونة من الكومندوس المظليّين تحت إشراف الكولونال بيجار قائد قوات المظليين بالجزائر، وتم اختيار مكان التدريب في مركز التدريب العصري المخصص للمظليين في بلدية سكيكدة.

وبعد إتمام عملية التدريب التي استمرت عدة شهور وأصبحت الوحدة جاهزة للقيام بالعمل الميداني ضد قواتنا، قررت إرسالها من مركز التدريب بسكيكدة إلى عين الكرمة بالناحية الثالثة. وتم اكتشاف الوحدة من طرف المواطنين المنتمين لجيش التحرير وأعلمونا بذلك على جناح السرعة، فواصلنا عملنا بصفة عادية بتنفيذ القرارات المسطرة سابقا.

وفي أحد الأيام، قررنا – كالعادة – الهجوم على الكتيبة بضرب عين الكرمة والطارف وعين عسل. هاجمنا هذه المراكز المذكورة سابقا وعدنا إلى أمكاننا لأخذ قسط من الراحة، وفي هذا اليوم كانت الفصيلتان موجودتين في البلوط حيث كانتا تقومان بالاستحمام في حمام سيدي طراد وتنظيف أغراضهما بالتداول، أما أنا فكنت متواجدا مع الفصيلة التي هاجمت عين عسل وانسحبت إلى عين الكبيرة والتي كانت بقيادة بوزينة محمد. وفي منتصف النهار اتجهنا نحو النوازي غربا أنا والفصيلة التي واصلت السير نحو الفصيلتين المتواجدتين بالبلوط مصحوبا بحارسي الشخصي علي بالعريضي. وصلت إلى هناك حيث كانت الفصيلة التي يقودها طراد الشابي متواجدة بالحمام والأخرى بقيادة سلمون محمد متواجدة بالبلوط. وعند وصولي – وبقدرة الإله الذي لم يرض لنا الهزيمة والذي ألهمني بأخذ الحيطة – لاحظت أنه لا بد من القيام بدورة أو مفرزة من قواتنا لاستكشاف هذا المكان الذي كان يخبئ لنا كارثة لولا لطف الله.

نبهت قائد الفصيلة سلمون محمد وسألته إذا قام بدورية للمرتفع الذي كان يعلو هذه المنطقة، فأجابني بأنه لم يقم بذلك ؛ فأمرته بالقيام بعملية استطلاعية يقوم بها البغدادي الذي كان يرأس مجموعة الجندرمة المتكونة من مدنيين ومسلحة بسلاح مدني، ولما وصلت المجموعة لهذا المرتفع تصدت لهم الكتيبة الفرنسية بالنيران والقنابل

اليدوية ؛ فقمنا بتحضير الفصيلتين وأعطيت أمرا لسلمون محمد بالصعود إلى غاية المرتفع والاشتباك مع القوات الفرنسية.

بالمناسبة، كانت القيادة قد زودتنا بمدافع الهاون عيار 45 ملم الذي يرمي قنابل بطريقة منحنية ودقيقة، وقد قام سلمون بالرمي بواسطة هذه المدافع على القوات الفرنسية، أين سادهم الخوف والارتباك وفقدوا توازنهم وتذبذب أمرهم، وفقدوا الاتصال مع قيادتهم لطلب نجدة الطائرات والمدفعية، وذلك إما لوفاة مستعمل جهاز الاتصال البعيد أو لتعطّل الجهاز بحدّ ذاته، فقرروا الانسحاب بسرعة راجعين لعين الكرمة، وذلك بعد ذبحهم لمواطن ألقي عليه القبض من عين الكرمة واصطحبوه مكبل اليدين بالأسلاك إلى المرتفع.

غير أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فقد قررنا بدورنا تنظيم كمين بالفصيلة التي يقودها طراد الشابي على ممر انسحاب هذه القوات للخلف، أين وصلت إلى مستوانا ففاجأناها بالكمين وسرعة التنفيذ، فتذبذب أمرهم، واغتنمنا الفرصة وواصلنا القتال بدون ردة فعل منهم. في هذا التوقيت التحقت بنا الفصيلة الأخرى المتواجدة بالنوازي، فحاصرناهم بشعبة البلوط، كما التحق بنا الأخ خالد نزار نائب قائد الفيلق الأول في نهاية المعركة وقدمنا له قطعة سلاح كهدية من الغنائم، وقد شكرنا كثيرا وقدم لنا التهاني بسبب انتصارنا في هذه العملية. انتهت المعركة بقتل جميع الجنود الفرنسيين الذين رفضوا الاستسلام، واغتنام أسلحة متطورة من نوع رشاشات 52، و 14 جهاز إرسال و 17 قطعة من السلاح وأجهزة أخرى متنوعة من آلات تصوير وخناجر الكومندوس، إضافة إلى أسر واحد منهم، أما من جانبنا فقد استشهد أربعة جنود – رحمهم الله – وجُرح ثلاثة جنود آخرين جروحا متفاوتة.

اشتباك حمام سيدي طراد (1959)

كانت الفصيلة الثانية من الكتيبة الثالثة موجودة بالبلوط، والكتيبة الأولى من الفيلق الأول كانت تقيم فترة راحة مؤقتة، بعد عودتها من العمليات داخل التراب الوطني، وبالضبط في الناحية التي تشرف عليها الكتيبة والتي توجد على الساحل بين عنابة والقالة، أين كانت تقيم في واد بغلة المكان المحاذي للحدود الجزائرية التونسية. لاحظنا في الصباح الباكر وجود تحركات كثيفة من القوات الفرنسية المتكونة من طائرات الاستطلاع، والرمي المكثف بالمدفعية في المناطق التي كنا نقيم بها، وتوبعت فيما بعد طلوع النهار بإنزال جوي بواسطة المروحيات العملاقة لقوات خلفنا وقوات كبيرة من المشاة متقدمة تجاهنا متكونة من اللفيف الأجنبي والمظليين. وكنت حينذاك إلى جانب عبد النور حدادي رحمه الله قائد الكتيبة الأولى، فقررنا الاتجاه للأمام لغرض الاستطلاع

لكي نأخذ القرار المناسب ولتنظيم أنفسنا لمواجهتها، فتقدمنا سويا، غير أننا اصطدمنا فجأة وعلى بعد 15 م بمفرزة اللفيف الأجنبي.

كان الاصطدام مباشرا، فانحنينا أرضا وواجهنا أسلحتهم وبدأنا بالرمي، وبدورهم انحنوا أرضا ووجهوا لنا طلقات نارية مكثفة، إضافة إلى القنابل المتفجرة. احتميت شخصيا خلف حجرة أمامي برفقة المجاهد عبد النور وتبادلنا الطلقات مع العدوّ، وكنا نعلم أن الطلقات الموجهة من القوات الفرنسية منها طلقات عادية وأخرى نارية متفجرة حارقة، فانفجرت إحدى الطلقات المتفجرة الحارقة في الحجر الذي كنت أحتمي به فأصبت في عيني اليمنى نتيجة دخول شظايا هذه الطلقات.

انسحبنا وحذّرنا قواتنا التي في الخلف لمواجهة العدوّ، غير أن قوات العدوّ بعد شعورها بالخطر غيرت الاتجاه، واتجهت يمينا نحو جبل السخيرة، وبعد وصولها لمرتفعات السخيرة انسحبت متجهة إلى حمام سيدي طراد، فتجمعت قبل انسحابها وباغتتها قواتنا، وفي هذه اللحظة، وبقيادة سراي أحمد قائد الفصيلة الثانية حينذاك، واجهناهم بالرشاشات الألمانية م ج 42 ورشاش 30 ألماني اللّذان يمتازان بالدقة وكثافة الرمي السريع ؛ فأصيب عدد كبير في صفوف هذه القوات من قتلى وجرحى، ثم تم إخلائهم بالطائرات المروحية على مرأى من أعيننا.

انتهت المعركة وبعد إصابتي في عيني اليمنى، اتجهت للمنطقة أين قُدّمت لي الإسعافات الأولية، وبعد ذلك تم إسعافي وإرسالي إلى تونس العاصمة على سبيل الاستعجال لغرض إجراء عملية، فمباشرة وُجِّهتُ إلى مصلحة طب العيون بمستشفى الصاديقية، واستقبلني الطبيب المحترم الأستاذ معيزة وأجرى لي العملية الجراحية حيث أزال بعض الشظايا من العين ورجعت بعدها للوطن والتحقت بالوحدات.

وللعلم، فقد سافرت سنة 1973 إلى فرنسا، إلى مستشفى 20/15 الموجود بـ « فال دوقراس » بباريس، حيث أُجريت لي عملية أخرى وأزيلت الشظايا الباقية من العين، واستمر العلاج لمدة عامين.

7 - المؤسسات السياسية والعسكرية للثورة

مؤتمر الصومام ظروفه وأسباب انعقاده وقراراته (1956/08/20)

استطاعت الثورة أن تتخلص من كثير من الصعاب والمشاكل وتتخطى العراقيل والعقبات، كما استطاعت أن تتغلغل إلى أعماق الطبقات الشعبية، وتقوي نفوذها وسيطرتها، ولذلك فكّر القادة في عقد المؤتمر وشرعوا في الإعداد له، فجرت اتصالات عديدة بين مسؤولي المناطق وقادتها وتم عقد أول مؤتمر وطني، حدّد المبادئ الأساسية والتشريعية والتنظيمية وصلاحيات وهياكل الثورة ومؤسساتها، وقد انعقد بقرية إيفري أوزلاقن ببجاية.

ظروف وأسباب انعقاده:

- ازدياد القمع الاستعماري
- التحاق كل شرائح المجتمع بالثورة
- الحاجة الشديدة للمال والسلاح
- شمولية الثورة واتساع نطاقها
- ازدياد التأييد الدولي للقضية الجزائرية
- تفاقم مشاكل فرنسا

حضر مؤتمر الصومام كل من:

1. رمضان عبان ممثل جبهة التحرير الوطني كاتب الجلسة
2. محمد العربي بن مهيدي قائد الولاية الخامسة
3. عمر أوعمران قائد الولاية الرابعة
4. يوسف زيغود قائد الولاية الثانية
5. عبد الله بن طوبال نائب يوسف زيغود

وتغيب عن حضور المؤتمر قادة الولاية الأولى (الأوراس) وقادة الولاية السادسة (الصحراء).

صدرت عن المؤتمر القرارات التالية:

- إصدار وثيقة سياسية شاملة لتسيير مؤسسات الثورة السياسية والعسكرية
- التقسيم الإداري والعسكري للتراب الجزائري إلى ست ولايات وكل ولاية عيّن على رأسها عقيد وثلاثة رواد، وتتفرع الولاية إلى ثلاث مناطق بقيادة نقيب وثلاثة ملازمين أوائل، وتفرعت عن المنطقة ثلاث نواحي بقيادة ملازم وثلاثة نواب من المرشحين (الاوراس، الشمال القسنطيني، القبائل، العاصمة، وهران، الصحراء)
- توسيع نطاق العمليات الفدائية والعسكرية وتقسيم جيش التحرير إلى ثلاثة أقسام (المجاهدون المسبلون الفدائيون)
- إقرار مبدإ القيادة الجماعية
- مواصلة العمل على تدويل القضية الجزائرية
- إعطاء الأولوية للداخل على الخارج والسياسي على العسكري
- تأسيس المجلس الوطني للثورة كبرلمان يجتمع حسب ما تسمح به الظروف
- إنشاء قيادة وطنية وهي لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن المجلس الوطني للثورة

كما رسم المؤتمرون الاستراتيجية العسكرية المناسبة لاستمرارية الثورة، وتم إقرار الشروط الأساسية للدخول في أيّ عملية تفاوضية مع فرنسا في المستقبل وعلى رأسها الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل وحيد للشعب الجزائري ووحدة أراضيه.

فيما يخص التقسيم الجغرافي فقد بقي قرار القاعدة الشرقية في انتظار الفصل فيه، كونها كانت عرضة للمساومات ما بين الولايتين الأولى والثانية فكلاهما يريد ضم جزء منها لولايته. وتم حسم الإشكال فيما بعد من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ عن طريق مبعوثها الخاص المكلف بدراسة الصراع الواقع بالمنطقة الشرقية، واجتمع بالمسؤلين بالمعنيين بالأمر بباجة وخرج بخلاصة إنشاء قاعدة شرقية بمثابة ولاية يترأسها عقيد.

اقتنعت لجنة التنسيق والتنفيذ بالاقتراحات التي قدمها العقيد أوعمران وتم الاعتراف بها بصفة رسمية وأصبحت كيانا مستقلا بذاته ؛ فالقاعدة الشرقية كانت سباقة في التنظيم العسكري والتسليح، وفي فترة وجيزة حققت أشواطا لا بأس بها في هذا الميدان، أما التنظيم السياسي، وحتى قبل مؤتمر الصومام، فقد كانت سباقة في تنظيم الجماهير وتوعيتهم، وفعلا في هذه الفترة أصبح تقريبا كلّ سكان القاعدة الشرقية منظّمين ومنتمين لحزب وجبهة التحرير رغم التهديد والوعيد من طرف القوات

الفرنسية ضد السكان، غير أن هذا الشعب اغتنم فرصة ثورة التحرير وتمرد على هذه السلطات التي ذاق منها الأمرين منذ الاحتلال.

المجلس الوطني للثورة الجزائرية تعريفه وتشكيلته بعد مؤتمر الصومام

يُعتبر المجلس الوطني للثورة أعلى سلطة في التنظيم السياسي والإداري للثورة، حيث أنّه يتولى رسم وتوجيه السياسة العامة الدّاخلية والخارجية لجبهة التحرير الوطني من أجل تحقيق الاستقلال، ويحدّد خطط عملها ويوزع جميع سلطات اتخاذ القرارات والمراقبة على أجهزتها، يجتمع مرّة في السنة مدة وجود الحرب وله الحق في إيقاف القتال والمفاوضات مع مراعاة الإطار الذي عيّنته القاعدة الأساسية.

تشكيلته في مؤتمر الصومام:

حُدد عدد أعضاء المجلس الوطني للثورة بأربعة وثلاثين عضوا بين عضو دائم وعضو إضافي وهم :

- حسين آيت أحمد
- عبان رمضان
- فرحات عباس
- محمد بوضياف
- مصطفى بن بولعيد
- كريم بلقاسم
- أحمد بن بلة
- العربي بن مهيدي
- رابح بيطاط
- يوسف زيغود
- أعمر أوعمران
- محمد خيضر
- بن يوسف بن خدة
- محمد يزيد
- محمد لمين دباغين
- عيسات إيدير

- أحمد توفيق المدني

الأعضاء الاضافيون :

- سعد دحلب
- عبد الحميد مهري
- عبد الملك تمام
- الطيب الثعالبي (سي علال)
- صالح الونشي
- لخضر بن طوبال
- عبد الحفيظ بوصوف
- محمدي سعيد
- سليمان دهيليس
- علي ملاح
- محمد الصديق بن يحيى
- نائب رئيس اتحاد العمال الجزائريين
- محمد البجاوي
- أحمد فرنسيس
- نائب رئيس اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين
- أحمد محساس
- إبراهيم مزهودي

لجنة التنسيق والتنفيذ الأولى تعريفها وتشكيلتها المنبثقة عن مؤتمر الصومام

تُعتبر لجنة التنسيق والتنفيذ الجهاز التنفيذي للمجلس الوطني للثورة وتتمتع تحت إشرافه بامتيازات واسعة من حيث توجيه وإدارة جميع فروع الثورة وأجهزتها العسكرية والسياسية والدبلوماسية، ولها كامل السلطة على جميع هيئاتها ومنظماتها، وجميعُ القادة السياسيين والعسكريين الذين يباشرون النشاط الثوري مسؤولون أمامها مثلما هي مسؤولة أمام المجلس الوطني للثورة.

تكونت لجنة التنسيق والتنفيذ في البداية من خمسة أعضاء وهم :

- العربي بن مهيدي، مكلف بالعمل الفدائي داخل المدن

- عبان رمضان، مكلف بالتنسيق بين الولايات وبين الداخل والخارج
- بن يوسف بن خدة، مكلف بالإعلام والاتصالات باتحادات الطلبة والعمال
- كريم بلقاسم، مكلف بالعمل العسكري
- سعد دحلب، مسؤول عن صحيفة المجاهد والدعاية

كانت تمارس مهامها في البداية على التراب الوطني لمدة سنة واحدة ثم اضطرت ولظروف الحرب خاصة بعد اختطاف الطائرة للعمل بالخارج. ارتفع عدد أعضائها إلى تسعة أعضاء في المؤتمر الثاني الذي انعقد بالقاهرة في 1957/08/20 يختارون من بين أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ثم أضاف المجلس الوطني الشعبي للثورة الأعضاء الخمس المعتقلين في فرنسا ليصبح العدد 14 عضوا.

في بداية 1958 تهيكلت اللجنة في 8 أقسام متخصصة فلم يكن هذا التقسيم السبب الوحيد الذي أعطاها طابعا حكوميا وإنما العلاقات التي نسجتها مع دول صديقة التي لم تعتبرها فقط كممثلة شرعية للشعب الجزائري بل أعطتها مكانتها الحكومية.

صلاحيات واختصاصات لجنة التنسيق والتنفيذ

- مراقبة جميع النشاطات المتعلقة بالثورة على المستويين الداخلي والخارجي
- السهر على تطبيق كل القرارات الصادرة عن المجلس الوطني للثورة
- الإشراف على عمليات تنظيم وتوزيع وحدات جيش التحرير على التراب الوطني
- لها الحق في تشكيل الحكومة المؤقتة بالتنسيق مع المندوبين

تشكيلة المجلس الوطني للثورة في اجتماعه الأول بالقاهرة (20-27 أوت 1957)

- عبان رمضان
- فرحات عباس
- محمد لعموري
- بن عودة بن مصطفى
- بن يوسف بن خدة
- لخضر بن طوبال
- محمد بن يحي
- عمارة بوغلاز
- هواري بومدين

- عبد الحفيظ بوصوف
- محمود شريف
- سعد دحلب
- محمد لمين دباغين
- سليمان دهيلس
- احمد فرنسيس
- كريم بلقاسم
- أحمد توفيق المدني
- عبد الحميد مهري
- إبراهيم مزهودي
- سعيد محمدي
- أعمر أوعمران
- الطيب الثعالبي (سي علال)
- يزيد محمد

تشكيلة لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن اجتماع المجلس الوطني للثورة بالقاهرة في 20 أوت 1957 وباقتراح من كريم بلقاسم

- كريم بلقاسم
- عبان رمضان
- فرحات عباس
- عبد الحميد مهري
- عبد الحفيظ بوصوف
- لخضر بن طوبال
- محمود شريف
- عمر اوعمران
- محمد لمين دباغين
- محمد خيضر

- احمد بن بلة
- محمد بوضياف
- حسين آيت أحمد
- رابح بيطاط

تشكيلة المجلس الوطني للثورة في دورة طرابلس (9-27 أوت 1961)

تقدر المصادر التاريخية أن عدد المشاركين في هذه الدورة بلغ 28 عضوا ونظرا لظروف الحرب لم تسمح بحضور بعض الأعضاء.

- فرحات عباس
- علي منجلي
- مصطفى بن عودة
- محمدي سعيد
- عمر أوصديق
- عمر أوعمران
- محمد سعيد يازوران
- يزيد محمد
- بن حدو بوحجر
- الطيب الثعالبي (سي علال)
- بن يوسف بن خدة.
- رابح زراري
- لخضر بن طوبال
- عبد الحميد مهري
- محمد بن يحي
- عمار بوداوود
- أحمد بومنجل
- عبد الحفيظ بوصوف
- سعد دحلب

- سليمان دهليس
- أحمد فرنسيس
- حسين قاديري
- حمي محمد
- أحمد قايد
- خير الدين محمد
- كريم بلقاسم
- الحاج لخضر عبيد

تشكيلة المجلس الوطني للثورة في دورة طرابلس (22 - 27 فيفري 1962)

إن التشكيلة الرّسمية أو الأعضاء الرئيسيون بلغ عددهم54 عضوًا، أما عدد الناخبين أي المصوتين في هذه الدورة فقد بلغ عددهم 49 عضوا.

الأعضاء الحاضرون: 33 عضو وهم:

أعضاء الحكومة المؤقتة (7 أعضاء)

- بن يوسف بن خدة
- لخضر بن طوبال
- عبد الحفيظ بوصوف
- سعد دحلب
- كريم بلقاسم
- سعيد محمدي
- محمد يزيد

أعضاء هيئة الأركان (3 أعضاء):

- هواري بومدين
- أحمد قايد
- علي منجلي

ولاية الأوراس (عضو):

- مصطفى بن نوّي

ولاية وهران(عضوان):

- مختار بوعيزم المدعو (ناصر)

- بن حدو بوحجر (عثمان)

فيدرالية فرنسا (5 أعضاء):

- عمر عدلاني
- السعيد بوعزيز
- بوداوود عمار
- علي هارون
- عبد الكريم سويس

أعضاء المجلس الوطني للثورة (15 عضوا):

- فرحات عباس
- بن مصطفى بن عودة
- محمد بن سالم
- محمد بن يحي
- أحمد بومنجل
- سليمان دهيلس
- حماي قاسي
- علي كافي
- محمد خير الدين
- عبيد الحاج لخضر
- عبد الحميد مهري
- عمر أوعمران
- عمر أوصديق
- الطيب الثعالبي
- محمد سعيد يازوران

تشكيلة المجلس الوطني للثورة في دورة طرابلس (ماي-جوان 1962)

- محمد بن يحيى
- عمار بوداوود
- علي كافي
- سعيد محمدي

- محمد بوضياف
- حسين آيت أحمد
- سعد دحلب
- عبد الله بن طوبال
- كريم بلقاسم
- بن يوسف بن خدة
- محمد يزيد
- أحمد بن بلة
- محمد خيضر
- رابح بيطاط
- عبد الحفيظ بوصوف
- عبد الحميد مهري
- الحاج لخضر عبيد
- سعيد يازوران المدعو بريروش
- نور الدين بن سالم
- فرحات عباس
- موسى مراد
- عبد الكريم السويسي
- قدور العدلاني
- سعيد بوعزيز
- عمار أوعمران
- بن حدو بوحجر (عثمان)
- محمد روينة
- عمر صخري
- حسين نائب القائد شعباني
- سليماني سليمان (لكحل)
- الحاج بن علا
- هواري بومدين

- أحمد بن شريف
- علي منجلي
- عمار بن عودة
- علي هارون
- مختار بوعيزم (ناصر)
- أحمد قايد
- الرائد سليمان
- أحمد بومنجل
- أحمد بوجنان (عباس)
- محمد قاضي (بوبكر)
- ابراهيم مولاي (عبد الوهاب)
- الطاهر الزبيري
- أحمد فرنسيس
- الطيب الثعالبي (سي علال)
- الشيخ خير الدين
- رابح بلوصيف
- صالح بوبنيدر (صوت العرب)
- العربي بن رجم (الميلي)
- عبد المجيد كحل الرأس
- الطاهر بودربالة
- محمد حماي (الرائد قاسي)
- سليمان دهليس (العقيد صادق).
- يحياوي محمد الصالح
- عمار ملاح
- محفوظ سماعيل
- يوسف خطيب
- بورقعة لخضر
- محمد بوسماحة (البرواقية)

- يوسف بولحروف
- مقران أكلي محند ولحاج
- أحسن محيوز
- الطيب صديقي
- فدال حميمي (فافل)
- أحمد مستغانمي
- بن قدادرة
- العربي الطيبي
- أحمد مدغري

الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الأولى: تعريفها، ظروف تشكيلها، ومشاكلها

شهدت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها إلى غاية استرجاع السيادة الوطنية أحداثا وتطورات هامة على مختلف الأصعدة، سواء السياسية أو العسكرية، على المستوى الداخلي أو الخارجي، والتي كان لها تأثير كبير على سيرها واستمرارها. ويُعتبر تأسيس الحكومة المؤقتة أحد أبرز هذه الأحداث الهامة، حيث يمكننا اعتبار هذا الحدث حصيلة لظروف وعوامل عاشتها الثورة فما هي الحكومة المؤقتة وما ظروف تشكيلها؟

تعريفها

الحكومة المؤقتة هي سلطة تنفيذية تمثل الثورة، تم الإعلان الرسمي عن تشكيلها في القاهرة بتاريخ 1958/09/19 بقيادة فرحات عباس، وقد جاءت هذه الحكومة تنفيذا لقرارات المجلس الوطني للثورة الجزائرية في اجتماعه المنعقد بالقاهرة من 22 إلى 1958/08/28 والذي كلف فيه لجنة التنسيق والتنفيذ بالإعلان عن تأسيس حكومة مؤقتة استكمالا لمؤسسات الثورة وإعادة بناء الدولة الجزائرية الحديثة.

ظروف تشكيلها

ظلت فكرة تأسيس حكومة جزائرية تراود قادة جبهة التحرير الوطني منذ عام 1956، وقد خول مؤتمر الصومام المجلس الوطني للثورة مهمة إنشاء حكومة وطنية، خاصة بعد اختطاف الزعماء الخمسة يوم 22 أكتوبر 1956، بهدف الرد على العدوان الفرنسي الذي استهدف من ورائه القضاء على الثورة الجزائرية باعتقال زعمائها، فما كان على لجنة التنسيق والتنفيذ إلا الرد على المناورات والاستفزازات الفرنسية برد حاسم وموقف صارم، وكان ذلك بالإعلان عن تشكيل حكومة مؤقتة.

مشاكلها

اعتبر قادة الولايات في الداخل إنشاءها دون استشارتهم خرقا للقانون ولا يتماشى مع نصوص مؤتمر الصومام.

تم رفض تكوين لجنة العمليات العسكرية من طرف قادة الولاية الثانية لأن قيادة الحكومة المؤقتة لا تعيش في الداخل أي أنها بعيدة عن الثورة.

تقديم محمد لمين دباغين استقالته كوزير للخارجية بعد ستة أشهر من تشكيلها بسبب الصراعات داخل الحكومة ومضايقته أثناء القيام بمهامه.

انشقاق الحكومة بسبب وجود تكتلات بها، فكل وزير أحاط نفسه برجال حزبه القديم.

التشكيلات الثلاث للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

التشكيلة الأولى من 1958-1960

- فرحات عباس، رئيسا
- أحمد بن بلة، نائب الرئيس
- حسين آيت أحمد، نائب الرئيس
- رابح بيطاط، نائب الرئيس
- محمد خيضر، نائب الرئيس
- محمد بوضياف، وزير الدولة
- عمر أوصديق، كاتب الدولة
- مصطفى اسطمبولي، كاتب الدولة
- لخضر بن طوبال، وزير خارجية
- كريم بلقاسم، نائب الرئيس ووزير القوات المسلّحة
- محمد لمين دباغين، وزير الشؤون الخارجية
- محمود الشريف، وزير التسليح والتموين
- عبد الحفيظ بوصوف، وزير الاتصالات العامة والمواصلات
- عبد الحميد مهري، وزير شؤون شمال إفريقيا
- أحمد فرنسيس، وزير الشؤون الاقتصادية والمالية
- محمد يزيد، وزير الإعلام
- بن يوسف بن خدة، وزير الشؤون الاجتماعية
- أحمد توفيق المدني، وزير الشؤون الثقافية

التشكيلة الثانية 1960-1961

- فرحات عباس، رئيسا
- كريم بلقاسم، نائب الرئيس ووزير الشؤون الخارجية
- أحمد بن بلة، نائب الرئيس
- حسين آيت أحمد، نائب الرئيس
- رابح بيطاط، نائب الرئيس
- محمد بوضياف، وزير دولة
- محمد خيضر، وزير دولة
- محمدي سعيد وزير دولة
- عبد الحميد مهري، وزير الشؤون الاجتماعية والثقافية
- عبد الحفيظ بوصوف، وزير التسليح والاتصالات العامة
- أحمد فرنسيس، وزير المالية والشؤون الاقتصادية
- محمد يزيد وزير الإعلام
- لخضر بن طوبال، وزير الداخلية

التشكيلة الثالثة 1961-1962

- بن يوسف بن خدة، رئيسا ووزيرا للمالية والشؤون الاقتصادية
- كريم بلقاسم، نائب الرئيس ووزير الداخلية
- أحمد بن بلة، نائب الرئيس
- محمد بوضياف، نائب الرئيس
- حسين آيت أحمد، وزير دولة
- رابح بيطاط، وزير دولة
- محمد خيضر، وزير دولة
- لخضر بن طوبال، وزير دولة
- سعيد محمدي، وزير دولة
- سعد دحلب، وزير الشؤون الخارجية
- عبد الحفيظ بوصوف، وزير التسليح والاتصالات العامة
- محمد يزيد، وزير الإعلام

8 - تشكيل قيادات العمليات العسكرية بالشرق والغرب

تشكيل لجنة العمليات الشرقية والغربية

عند اندلاع ثورة التحرير في نوفمبر 1954، اتفق قادة الثورة على منح كل قائد استقلالية شبه تامة في تنظيم ولايته وتعيين إطاراتها، وبعد مؤتمر الصومام 1956/08/20 تم وضع قيادة لتسيير شؤون الثورة تحت تسمية لجنة التنسيق والتنفيذ، فعين كريم بلقاسم مسؤولا للشؤون الحربية، و عبد الحفيظ بوصوف مسؤول التسليح والاستخبارات، ولخضر بن طوبال مسؤول الشؤون الداخلية والتنظيم الإداري، هؤلاء الثلاثة شكلوا النواة الصلبة للثورة، أو ما عرف بالباءات الثلاثة.

وفي سنة 1957 عندما شيد الجيش الفرنسي خط موريس المكهرب الشائك المليء بحقول الألغام على طول الحدود الشرقية والغربية مع تونس والمغرب، أصبح إيصال السلاح إلى الداخل عملية صعبة ومكلفة، حيث استشهد الكثير من المجاهدين رحمهم الله وهم يحاولون عبور الحدود، مما اضطر كريم بلقاسم بصفته مسؤول الشؤون الحربية إلى وضع استراتيجية جديدة وهي إنشاء لجنة جديدة تسمى الكوم (لجنة العمليات العسكرية) والمقسمة إلى لجنة التنظيم العسكري بغرب البلاد برئاسة هواري بومدين ونائبه دهيلس الصادق، ولجنة التنظيم العسكري بشرقها برئاسة العقيد محمدي سعيد التي كانت تضم كلا من العقيد محمد العموري قائد الولاية الأولى (الأوراس) والعقيد عمارة بن عودة من الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) والعقيد عمارة بوغلاز قائد القاعدة الشرقية.

وضع القاعدة الشرقية بعد تكوين كوم الشرق

كان الأمر جد متأزم في شرق البلاد مقارنة بغربها فقد كان أكثر تعقيدا وصعوبة نظرا لعدم تفاهم قادة لجنة التنظيم العسكري فيما بينهم، وخاصة العقيد العموري الذي كان أشدهم رفضا لهذا التنظيم الجديد ووجه عدة انتقادات لكريم بلقاسم واتهمه بالجهوية، كما رفض تعيين محمود الشريف عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ فيما مضى.

بعد أن لاحظت قيادة الثورة أن لجنة التنظيم العسكري بشرق البلاد لم تنسجم مع الاستراتيجية الجديدة، اتخذت قرارا صارما وقاسيا في 1958/9/9 تمثل في عزل قادة لجنة العمليات العسكرية لناحية الشرق ونفي العقيد عمارة بوغلاز إلى العراق بعد تخفيض رتبته العسكرية من عقيد إلى نقيب، ونفي العقيد العموري إلى السعودية بعد تخفيض رتبته إلى نقيب، وتم توقيف محمدي سعيد لمدة شهر ثم أرسل إلى القاهرة، وتم تعيين الرائد أحمد نواورة قائدا بالنيابة للولاية الأولى خلفا للعموري، أما الرائد محمد عواشرية فخلف العقيد عمارة بوغلاز على رأس القاعدة الشرقية، و علي كافي على رأس الولاية الثانية (الشمال القسنطيني).

9 - صراع إخوة السلاح حول تولي مناصب القيادة

محاولة الانقلاب ضد لجنة التنسيق والتنفيذ

والحكومة المؤقتة الجزائرية الأولى (1958)

رفضت هذه القيادات الانصياع لقرار الإبعاد واعتبرته قرارا ظالما وتعسفيا، وبعد فترة (وكما يقال للصبر حدود) اتفقت بعض هذه القيادات على القيام بمحاولة تغيير الوضع القائم آنذاك على مستوى لجنة التنسيق والتنفيذ والحكومة المؤقتة، فرجع بعضهم إلى مدينة الكاف بتونس واتصل بقيادة الداخل بالولاية الأولى والقاعدة الشرقية وبعض القادة للحصول على التأييد والمساندة، وقاموا بعقد اجتماع مشترك لدراسة الوضع واتخاذ القرار النهائي وهو التحضير لعملية الانقلاب ضد لجنة التنسيق والتنفيذ والحكومة المؤقتة.

ومما عُرف فإن المحاولة الانقلابية التي قادها العموري في نوفمبر 1958 كان يسعى من ورائها إلى القبض على الوزراء العسكريين في الحكومة المؤقتة ومحاكمتهم بالتهم التالية:

- انحرافهم عن مبادئ ثورة أول نوفمبر
- إبعادهم للقادة الوطنيين الذين ساهموا في الثورة منذ قيامها
- سوء استغلال أموال الثورة وتراخيهم في إيصال السلاح إلى الداخل
- انتهاجهم لسياسة مستبدة ضد كل مسؤول يقف في وجههم
- ميلهم للتفاوض مع فرنسا لقبول أنصاف الحلول وعدم الرجوع لأعضاء المجلس الوطني في القضايا الخطيرة

كانت الخطة تتمثل في إرسال فرقة كومندوس إلى مقر الحكومة المؤقتة واعتقال كل من كريم بلقاسم و عبد الحفيظ بوصوف وعبد الله بن طوبال والعقيد محمود الشريف والرئيس فرحات عباس.

لم يكتمل تنفيذ الخطة بسبب كشف هذه المؤامرة من طرف الحكومة المؤقتة التي تتبعت تحركات القادة بواسطة مخابراتها واكتشفت الموضوع واعتبرته عصيانا وتمردا وخروجا عن الشرعية الثورية، فاستنجدت بالرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية وتم إعلامه بالمؤامرة (حسب قناعتهم) التي تدبّر على أراضيه وطلبت منه المساعدة لإفشال هذه المؤامرة والقبض على قاعدة الولاية الأولى والقاعدة الشرقية المجتمعين هناك، فلبى الرئيس طلبهم ووضع تحت تصرفهم قوة عسكرية من الجيش التونسي مصحوبة بالحرس الوطني التونسي، وتوجهت هذه القوات على سبيل الاستعجال إلى مكان انعقاد الاجتماع يوم 1958/11/16، وألقت القبض على المجتمعين دون استثناء وأوقفتهم وسلمتهم للحكومة المؤقتة الجزائرية. وبعد تسليمهم، قامت الحكومة المؤقتة بالتحقيق معهم تحت التهديد والتعذيب الشديدين وزجت بهم في السجون.

من بين السجناء: العقيد العموري قائد الولاية الأولى منطقة الأوراس ونائبه نواورة برتبة عقيد، والعقيد محمد عواشرية قائد القاعدة الشرقية سابقا، بالإضافة إلى عدة ضباط سامين برتبة رائد ونقيب منهم مساعدية عيساني و صالح قوجيل وأحمد دراية والرائد لكحل مصطفى والرائد بلهوشات عبد اللّه. وأخيرا شكلت لهم محكمة عسكرية خاصة، فتمت محاكمتهم وأصدرت أحكام مختلفة بالإعدام وبالسجن من سنتين إلى أربع سنوات.

استنكرت وحدات القاعدة الشرقية من ضباط وضباط صف وجنود ما جرى لمسؤوليهم، بدون إعطاء أي توضيحات تبرر تلك الأفعال الشنيعة التي ارتُكبت، وبالأخص تنفيذ أحكام الإعدام على العقداء: العموري، نواورة، عواشرية، لكحل، والمسجونين، مما أثر على معنويات جيش القاعدة الشرقية من القاعدة إلى القمة، وسادهم الإحباط واستنكروا هذا العمل الشنيع الذي لا يليق بثورة التحرير المقدسة والطاهرة. ورغم ما حدث إلا أن القاعدة الشرقية واصلت الكفاح لتحقيق الأهداف المرجوة وهي استقلال الجزائر.

بعد هذه الأحداث تم رد الاعتبار إلى محمدي سعيد من جديد وتم تعيينه كقائد للأركان الشرقية.

10 - تشييد الخطين المكهربين موريس وشال

وصول ديغول للحكم وسياساته لقمع الثورة

قبل الحديث عن المحاور الأساسية التي ارتكز عليها الجنرال شارل ديغول في تنفيذ سياسته الرامية إلى خنق الثورة والقضاء عليها، من المفيد أن نقدم فكرة عن هذا الرجل وعن الأسباب التي دفعت بالضباط الفرنسيين والمعمرين إلى اللجوء إليه وعودته إلى الحكم عام 1958.

ولد شارل ماري جوزيف ديغول في 1890/11/22 بمدينة ليل شمال فرنسا، وهو من أبرز رجالات فرنسا في القرن العشرين، التحق عام 1908 بكلية سان سير العسكرية من سلاح المشاة وشارك في الحرب العالمية الثانية. استطاع أن يفرض نفسه كرئيس للجنة الفرنسية للتحرير الوطني التي أصبحت تسمى الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية للمقاومة، استنجد بالقادة العسكريين الفرنسيين بالجزائر بالتعاون مع المعمرين المتطرفين والمتطرفين الفرنسيين بفرنسا لتغيير الوضع بالإطاحة بالجمهورية الفرنسية الرابعة، حيث قاموا بعدة مظاهرات واعتصامات وتمرد على الجمهورية الرابعة وطالبوا بالإطاحة بها نظرا لعجزها عن القضاء على الثورة الجزائرية.

وصل إلى الحكم في 1958/05/13، وفي بداية شهر جوان استلم بشكل رسمي الحكم في فرنسا وأسس الجمهورية الخامسة وأعطى لفرنسا دستورا جديدا يوم 1958/10/4، وقد أجريت الانتخابات وفق الدستور وأسفرت عن فوز ديغول برئاسة الجمهورية لمدة أربع سنوات.

سياسة ديغول لقمع الثورة

لقد سعت فرنسا للقضاء على الثورة منذ بدايتها وبشتى الطرق فقامت بالمخططات التالية:

المخططات الإغرائية

- عرض ديغول لمشروع قسنطينة 1958/10/2 وهو مشروع اقتصادي خاص بالجزائر يهدف إلى تحقيق بعض الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين لعزل الشعب عن ثورته، وتتمثل هذه الإصلاحات في :

- تشغيل أكبر عدد ممكن من الجزائريين من خلال إنشاء 400 ألف منصب عمل
- توزيع 250 ألف هكتار من الأراضي على الفلاحين
- رفع الأجور إلى مستوى أجور عمال فرنسا
- بناء 200 ألف سكن لإيواء مليون شخص
- تنمية الريف

- عرض ديغول لسلم الشجعان في 1958/10/23 حيث دعا الثوار إلى وضع السلاح، وبهذه العملية أراد إحداث الشقاق بين الثوار وزرع الشك بينهم وعزل الداخل عن الخارج وإرغام الحكومة المؤقتة على التفاوض مع فرنسا، وبهذه المناسبة ألقى خطابا مباشرا ومتلفزا للثوار الجزائريين، يدعوهم لوقف القتال والتوجه لأقرب ثكنة وتسليم أنفسهم والرجوع للحياة المدنية دون معاقبتهم ومتابعتهم.

- عرض ديغول لمشروع تقرير المصير 1959/09/16

- مشروع فصل الصحراء عن الشمال، وبدأ يحرض بعض زعماء الأفارقة ورئيس دولة من المغرب العربي على تدعيم فكرة تقسيم الصحراء بين الأفارقة.

- وضع عاصمة الغرب الجزائري تحت تصرف المعمرين لغرض جعلها عاصمة لهم بعد استقلال الجزائر.

المخططات العسكرية

- مضاعفة عدد القوات والعتاد الحربي، وقد وضع الحلف الأطلسي ترسانته العسكرية كاملة تحت تصرف القوات الفرنسية باعتبارها عضوا فيه، كما ساندت الولايات المتحدة الأمريكية السياسة الفرنسية في الجزائر ودعمتها بالخصوص في المجالين المالي والدبلوماسي، فهنا أصبح الجيش الفرنسي أول جيش في العالم من حيث العدد والتعداد ومن حيث الخبرة المكتسبة نظرا لمشاركته في الحروب السابقة كالحرب العالمية الثانية وحرب الفييتنام.

- منح القوات العسكرية بالجزائر سلطات استثنائية واسعة لمواصلة تطبيق سياسة الأرض المحروقة والقيام بقتل وتوقيف وسجن الجزائريين والتنكيل بهم دون أي محاكمة.

- عزل الشعب عن الثورة عن طريق المحتشدات

- سياسة الأرض المحروقة حيث قام الجنرال ديغول بممارسة ضغوطات نفسية وسياسية لغرض تحقيق أهدافه، وذلك بتطبيق سياسة الأرض المحروقة والقيام بعمليات واسعة النطاق بالمسح والتمشيط لكل مناطق الجزائر من مدنها وأراضيها الخصبة والزراعية والجبلية والمرتفعات والوديان والشعاب، وكان يقوم بمحاصرة

الولايات وتضيق الخناق على المجاهدين بداخلها، كما كان يقوم بحرق الغابات في فصل الصيف وتسميم منابع المياه وعناصر الوديان والآبار.

- عزل الجزائر عن الخارج بواسطة خطي موريس وشال

فيما يخص خطي موريس وشال سنتحدث عنهما بإسهاب :

تطويق الاستعمار الفرنسي للحدود الجزائرية بواسطة خطي موريس وشال

لقد كانت المناطق الحدودية خلال الثورة التحريرية مشتعلة بنار المعارك التي لم تتوقف ولو لحظة واحدة،و بعدها أصبحت مناطق محررة من طرف المجاهدين بعد أن كانت محرمة. وسارعت فرنسا إلى الرمي بكل ثقلها تجاه الشريط الحدودي، فبالإضافة إلى الحشود العسكرية ومختلف المعدات الحربية التي دفعت بها لإفشال حركة المجاهدين و منعهم من عبور الحدود حتى لا يتمكنوا من التزود بالسلاح و الذخيرة بصفة منتظمة، فقد تم التوصل على ضوء الخطة التي اهتدى إليها العدوّ وهي إقامة حزام من الأسلاك الشائكة المكهربة. خط موريس (انظر الخريطة)

تعود فكرة إنشاء هذا الخط إلى وزير الدفاع في حكومة بورجيس مونوري الفرنسي « أندري موريس » الذي اقترح إنجاز خط مكهرب يفصل الجزائر عن الحدود الجزائرية التونسية في نهاية 1956م وبداية عام 1957م، وبعد مصادقة البرلمان الفرنسي على هذا المشروع أصبح يحمل اسم صاحبه « خط موريس » وانطلقت فيه الأشغال في أوت 1957م في مناطق متعددة، يمتد الخط من الجهة الشرقية على مسافة 320كلم من عنابة مرورا بـ بن مهيدي، فالذرعان، شيحاني، ليتفرع بعدها لحماية الطريق والسكة الحديدية، ويمتد حتى بوقموزة، بوشقوف إلى تبسة باتجاه الكويف، بئر العاتر، سوق أهراس،ليمتد نحو الصحاري بواسطة أجهزة الرادار، أما من الجهة الغربية فقد امتد من بورساي في تلمسان (مشرية) وعين الصفراء ليصل إلى إيقلي جنوب بشار مغطيا بذلك مسافة تقدّر بـ 700 كلم، كما يتراوح عرض الخط بين 6 و 14 متر حسب نوعية الأرض، أما ارتفاعه فحوالي مترين، ويتكون من شبكة من الأسلاك الكهربائية الشائكة الدائرية وأخرى ممتدة أفقيا وعموديا مدعمة بأسلاك مكهربة تصل قوتها إلى 5000 واط.

لبناء هذا الخط جندت فرنسا وحدات كبيرة من قواتها العسكرية وجلبتها من كل مكان، ومكثت هذه القوات شهرا كاملا بالمنطقة، وكانت تقوم بعمليات مسح وتفتيش باستمرار على مسافة إنجاز هذا الخط، وكلفت هذه القوات وحدات من الهندسة العسكرية متكونة من سبع وحدات لكي تقوم بتسوية الأرض وبناء هذا الخط المكهرب، وكانت موجودة باستمرار لحراسة وحدات الهندسة العسكرية، وأضافت لهم جزائريين

ألقت عليهم القبض في عمليات التمشيط لتدعيم هذه الوحدات، وكان الجزائريون يعملون تحد الحراسة المشددة والتهديد. خط شال (انظر الخريطة)

أطلق على هذا الخط اسم « شال » نسبة إلى الجنرال الفرنسي « موريس شال » قائد القوات الفرنسية في تلك الفترة (1959-1960م)، والذي شرع بدوره في إنجاز خط مكهرب ثان خلف الخط الأول من الجهة الشرقية لتدعيم خط موريس انطلاقا من غرب وشرق القالة، ليتجه الجزء الأول منه نحو أقصى الشرق ويبلغ نقطة الحدود التونسية ثم يعود على شكل دائري ليتجه مع الجزء الآخر نحو الجنوب محتضنا كل المدن والقرى الواقعة على الشريط الحدودي حتى يقترب من خط موريس بالقرب من مدينة سوق أهراس ويتجها معا نحو الجنوب.

بجوار هذا الخط المكهرب يوجد حقل الألغام المضيئة و الألغام المضادة للأفراد يتراوح عرضه ما بين 12 إلى 16م وربما يتجاوز ذلك حسب طبيعة المكان ونوعه، هذا إضافة إلى إقامة حزام من الأسلاك الشائكة لمنع تسرب الحيوانات إلى حقل الألغام عرضه حوالي 4 أمتار، فقد شرع في إنجاز الخط بنفس الطريقة التي اتبعها الجنرال « موريس » حيث تقوم بالعملية وحدات الهندسة العسكرية، أضافت لهم القوات الفرنسية بعض الجزائريين الذين ألقت عليهم القبض أثناء عمليات التفتيش وأتت بالبعض الآخر من المعتقلات والمحتشدات. يبعد هذا الخط عن خط موريس شرقا بحوالي 80 كلم.

أُنجز المشروع في وقت وجيز نظرا لكون وحدات الإنجاز متخصصة في ذلك، وبعد إتمامه كان له تأثير مباشر على قوافل جيش التحرير العابرة من هذين الخطين، سواء الآتية من الداخل للخارج أو العكس، و التي كانت محملة بالأسلحة والذخيرة ووسائل الاتصال إلخ. بالنسبة لقواتنا في الداخل، أصبح الوضع أكثر تعقيدا ولا بد من معالجته لكي نستطيع تزويد الولايات الداخلية بالسلاح والذخيرة التي كانت في أمسّ الحاجة إليها.

اختبار الخط الجديد شال

بعد دراسة هذا الموضوع من طرف القيادة على المستوى الأعلى، أصدرت أوامرا لقائد الأركان الشرقية العقيد محمدي سعيد المدعو ناصر للقيام بعملية اختبار واستطلاع وجس نبض الخط ومدى فاعليته، فاستدعى قائدُ الأركان الشرقية قائدَ المنطقة الأولى الشاذلي بن جديد بمكتبه بغارديماو وتدارس معه الوضع الجديد على قواتنا، وبعد الدراسة كلف الشاذلي بن جديد بالقيام بعمل ميداني للوقوف على حقيقة وقدرة هذا الخط للحد من نشاط قواتنا داخل الولايات.

عاد الشاذلي بن جديد لمقر قيادته بعين سلطان بالحدود الشرقية ووجه لي استدعاءا على سبيل الاستعجال للقائه، وعند وصولي حدثني في الموضوع والحوار الذي جرى بينه وبين قائد أركان القاعدة الشرقية، وبالتالي كلفني بصفتي قائد الكتيبة الثالثة والتي تشرف على مسافة تتكون من 120 كلم على طول هذا الخط المنجز، وأمرني بالقيام بعملية اختبار الخط ومدى تأثيره وفاعليته والعراقيل التي يسببها لوحداتنا أثناء دخولها وخروجها من أرض الوطن، وتزويده بتقرير مفصل عنه.

وبالمناسبة كان موجودا بالمنطقة صحفي يوغسلافي وهو المدعو بودوفيتش الذي رافقنا لتغطية العملية إعلاميا، كما كان موجودا معنا الأخ خالد نزار بصفته النائب العسكري للمنطقة والذي أراد الحضور في هذه العملية إضافة إلى الكاتب الخاص لقائد المنطقة والمدعو رابح بن حومانة المتطوع بدوره، وربما كانت مشاركته العسكرية الأولى في العملية كونه كاتبا، بالإضافة إلى تطوع كاتبي الخاص المدعو بلقاسم للمشاركة أيضا. توجهت للكتيبة وحضرت الفصيلتان الأولى والثانية من الكتيبة الثالثة القاعدة الشرقية للقيام بهذه العملية.

وبعد توفير كل الشروط تجمعنا في المكان المسمى جبل الغرة مقر قيادة الكتيبة الثالثة، وبعد الاتفاق على تاريخ العملية باليوم والساعة، توجهنا من جبل الغرة إلى عين الكبيرة ومجودة وخنقة عون والمكان الذي تم اختياره على الطريق الوطني الذي يمتد من الفرين إلى رمل السوق، فتم اختيار مكان العملية بهذا الطريق، وكما يعلم الإخوة الذين لهم دراية وعلم بخط شال فإنه يختلف تماما عن خط موريس من حيث الحداثة والدقة والإمكانيات الحديثة من الإلكترونيات، فهذا الخط يتكون من :

الطريق الوطني وداخله شيد العدوّ نقاط مراقبة في الأماكن الإستراتيجية والتي لا تبعد عن بعضها البعض بـ 50 إلى 100م، والمزودة بالاسمنت المسلح ووسائل الإضاءة الحديثة لكشف ما يجري على الخط وما بعده، وبحراسة مزودة بسلاح اتوماتيكي بالأشعة تحت الحمراء، إضافة إلى الدبابات التي تقوم بدوريات يومية ذهابا وإيابا على الطريق أمام نقاط المراقبة، وخلف الطريق شُيِّد هذا الخط عرضه من 12 إلى 14م على حسب الأرض.

في البداية يتم تسطيح الأرض ثم وضع الأسلاك الشائكة الحديثة والمتطورة على قضبان حديدية تتوسطها قضبان خشبية ويوضع عليها الخط المكهرب بقوة 5000 واط وتضاف لها – على طول الخط – الألغام المضادة للأشخاص والأضواء الكاشفة التي تنطلق تلقائيا أثناء اللمس مباشرة في الجو وتنفجر على شكل مظلات وتضيء المناطق الخلفية للخط لفتح المجال لنقاط المراقبة لكشف العدوّ ورصده وإطلاق النيران من طرف الدبابات ونقاط المراقبة، إضافة إلى إعطاء أوامر للمدفعية الموجودة خلف

الخط لتطهير المنطقة والاستنجاد بطائرات ب 26 الآتية من مطار عنابة والتي تقوم بإطلاق صواريخ وقنابل من النابالم على الأماكن المشكوك فيها.

فرغم هذه التحصينات إلا أن الفصيلتين تقدمتا إلى المكان المختار لعملية الاختبار في الوقت المحدد فبدأت بتدمير نقاط المراقبة بواسطة مدافع 57 مم الأمريكية الصنع، فتم تدمير عدة نقاط مراقبة بهذا السلاح الفعال والدقيق وتم تدمير دبابتين كانت أمامنا بواسطة صواريخ آربيجي القاذفة للصواريخ المضادة للدبابات، و بعد ذلك شرعنا في تدمير الخط بواسطة البنقالور التقليدي الصنع وقص الأسلاك الشائكة.

كللت العملية بالنجاح، ومن الطريف فيها وقبل انتهائها بقليل قال المتطوع رابح بن حومانة: « والله سأتبول على الخط الذي يخيف الناس » نتيجة الفرحة والسرور الذي انتابه، وفجأة أطلقت مجموعة من الطلقات النارية من نقاط المراقبة فأصابته وهو لا يزال يقضي حاجته، فأصيب إصابة خفيفة في جبينه برصاصتين وأسعف بسرعة من طرف الممرض الذي كان برفقتنا، كما أصيب جنديان في صفوفنا بجروح طفيفة. أما الصحفي اليوغسلافي فقد غطى العملية على أحسن ما يرام. انتهت العملية بتقديم تقرير مفصل لقائد المنطقة الأولى الشاذلي بن جديد، وبدوره رفع التقرير إلى قائد أركان القاعدة الشرقية محمدي سعيد.

11 - عمليات عبور الخطين المكهربين موريس وشال

واصلت وحدات جيش التحرير الناشطة بالقاعدة الشرقية عملياتها العسكرية لتحقيق الأهداف المرجوة منها، فبادر محمدي سعيد بإضافة فيالق جديدة مستقلة من وحدات الولايات الثانية والثالثة الموجودة بالتراب التونسي، وشكلت هذه الأخيرة كالآتي:

- الفيلق الأول الذي أطلق عليه اسم زيغود يوسف بقيادة شابو عبد القادر
- الفيلق الثاني الذي أطلق عليه اسم ديدوش مراد بقيادة سليمان هوفمان
- الفيلق الثالث الذي أطلق عليه اسم بن بولعيد بقيادة أحمد عڤون
- الفيلق الرابع الذي أطلق عليه اسم بن مهيدي بقيادة العربي بلخير
- الفيلق الخامس بدون تسمية بقيادة مداوي محمد الطاهر

هذه الفيالق شكلت وسلحت ودربت، إلا أنها لم تشارك في العمليات ضد العدوّ لأسباب نجهلها. كان الجيش التابع للقاعدة الشرقية منظما ومدربا ومهيكلا ومسلحا وموحدا، وكان يقوم بمهمتين: الأولى هي مواصلة الكفاح ضد العدوّ في ثكناته ومراكزه، والثانية هي القيام بمبادرة تنظيم الكمائن في الأماكن المختارةن وله حرية الاشتباك مع العدوّ الذي يقوم بعملية تمشيط ودوريات.

كما كان محمدي سعيد يصدر أوامرا بمرافقة القوافل العائدة إلى ولاياتها إلى غاية خط شال المكهرب، وتوفير كل شروط العبور من خلال فتح الخط وتأمين هذه الوحدات للعبور داخل الوطن، غير أنه كانت هناك صعوبات ومشاكل تعترض الوحدات بعد عبور الخط.

الهجوم على ثكنة رمل السوق (1959)

في إطار مواصلة العمليات القتالية المكثفة ضد العدوّ، وفي أواخر سنة 1959، قررت قيادة الأركان الشرقية بقيادة العقيد محمدي سعيد المدعو ناصر، تنظيم عملية هجومية عامة على طول الحدود الشرقية. كنت حينها موجودا بالفصيلة الأولى بالفدان، حيث وجهت لنا تعليمات من طرف قائد الأركان الشرقية يحثنا فيها على تنشيط العمليات على الحدود الشرقية وبالأخص على خط شال الذي كان في طريق الإنجاز

والمراكز الموجودة على طول الناحية الثالثة، وأعطيت لنا تعليمة للقيام بهجوم على ثكنة رمل السوق الموجودة بين العيون وعين عسل وتبتعد قليلا عن الحدود الجزائرية التونسية. حينها التحق بنا الأخ خالد نزار القادم من قيادة الفيلق الأول، وتوجهنا لتنفيذ تعليمات قائد الأركان الشرقية للقيام بالهجوم وتم الاختيار على رمل السوق وتوجهنا مارين بمجودة، خنقة عون، ورمل السوق.

وصلنا بعد غروب الشمس، فأخذنا أماكننا استعدادا للهجوم، وعند الساعة التاسعة (ساعة سين) بدأنا بهجوم كاسح على ثكنة رمل السوق بالنيران المكثفة، خاصة وأن الفصيلة كانت مدعمة بمدافع الهاون وقاذفات الصواريخ (البازوكا) والمدفع 57 الأمريكي المخصص للرمي المباشر ضد الدبابات. دامت العملية تقريبا ساعة كاملة، حيث اضطر العدوّ لرد الفعل وبدأ بإطلاق نيرانه تجاهنا بمختلف الأسلحة التي يمتلكها، ولسوء حظي، وبالصدفة، سقطت إحدى قنابل المدفعية أمامنا عندما كنت جنبا إلى جنب مع الأخ خالد نزار حيث كنا نسيّر العملية بإعطاء الأوامر لهذه الفصيلة وتوجيهها.

حادثة إصابتي بجروح بليغة

انفجرت القنبلة إلى شظايا، وعلى إثر هذا الانفجار أُصبت بجراح على مستوى الصدر، وكانت الإصابة بليغة حيث تعمقت على مستوى الصدر من الجهة اليمنى، وسببت لي نزيفا داخليا حيث أصبح الدم يتدفق من فمي، وقد أثّرت على طاقتي تأثيرا كبيرا ؛ فقام الجنود بإخلائي إلى الخلف وتم تقديم الإسعافات الأولية على الفور، أما الأخ خالد نزار فأصيب بجروح بليغة على مستوى يده اليمنى وقدمت له إسعافات أولية هو الآخر.

انسحبنا ورجعنا إلى الفدان مكان انطلاق العملية، وبعد ذلك توجهت للمنطقة حيث يوجد طبيب هناك والذي قام بفحصي فقرر إرسالي إلى تونس للقيام بعملية جراحية عند طبيب مختص في الجراحة. بعد وصولي إلى تونس، أسعفت إلى مستشفى الصديقية (الذي يعتبر من أحسن المستشفيات في تونس آنذاك) حيث أجريت لي عملية جراحية من طرف جراح تونسي مختص قام بنزع عدة شظايا، غير أنه لم يتمكن من نزعها كلها وبقيت واحدة نظرا للمكان الحساس الذي استقرت فيه، ومازلت موجودة فيه لحد الآن. مكثت عدة أيام بالمستشفى ثم عدت بعد شفائي والتحقت بالوحدة بصفتي قائد الناحية الثالثة الفيلق الأول.

عمليات العبور في عهد العقيد محمدي سعيد

كلف العقيد محمدي سعيد المدعو ناصر بتسيير الوحدات العسكرية بصفة مباشرة وغير مباشرة.

التسيير المباشر يخص كل وحدات القاعدة الشرقية بكاملها، وجزءا من الولاية الأولى المتواجدة قواتها على الحدود الشرقية، بالإضافة إلى وحدات جيش التحرير التي أتت من داخل الولايات، وخاصة الولاية الثانية والثالثة، وجزءا من جنود الولاية الرابعة والولاية الأولى. وكانت هذه الوحدات منتشرة داخل التراب التونسي بمركز الزيتون بضواحي غارديماو وواد مليز ومركز التدريب العسكري بملاق ومركز قرن حلفاية ومركز الشعانبة.

أما التسيير غير المباشر فكان يمتد إلى داخل التراب الوطني، من الولاية الأولى بالأوراس، والولاية الثانية بشمال قسنطينة، والولاية الثالثة، وجزء من الولاية السادسة، وجزء من الولاية الرابعة، وذلك بواسطة اللاسلكي أو البريد. وكانت هذه الوحدات دائما في انتظار صدور أوامر من طرف القيادة للعودة إلى التراب الوطني.

بدأ العقيد محمدي سعيد بعد فترة من تعيينه بإصدار أوامرا – من حين لآخر– لفصيلة أو فصيلتين بالعودة إلى ولاياتهم الأصلية، فكان يصدر الأوامر لقائد الفيلق الأول رساع مازوز لكي يؤمّن لهذه الفصيلة أو الكتيبة الدخول للتراب الوطني. ونظرا لأن الكتيبة الثالثة الفيلق الأول يمتد قطاع عملياتها إلى 120كلم من بوحجار إلى القالة المحاذية للحدود الشرقية التونسية، قام رساع مازوز بتكليفي كمسؤول للكتيبة الثالثة بالقيام بالمرافقة والقيام بالعمل اللازم لتأمين عبور هذه الوحدات داخل التراب الوطني، حيث كانت الكتيبة تقوم بتهيئة شروط العبور، من تنظيم كمائن والهجوم على المراكز العسكرية يمينا ويسارا، وإسكات نقاط المراقبة على طول الطريق، والهجوم على الدبابات التي تقوم بالذهاب والإياب، وفتح ثغرة بالخط المكهرب لعبور قواتنا بأمان مع توفير شروط العبور، لكن بعض الوحدات كانت ترفض العبور عند وصولها لخط شال، ما عدا وحدات أخرى كانت تغامر وتعبر رغم الصعوبات الجمة التي كانت تنتظرها، لكنها لم تصل إلى الهدف بعد اكتشافها من طرف العدوّ وقيامه بتطويقها وقتالها، غير أن نتيجة الإيمان الراسخ لدى المجاهدين جعلهم يصمدون ويكافحون ويقاتلون حتى الموت، وهكذا استمرت العمليات.

في هذه الفترة كان التيار لا يمر بين العقيد محمدي سعيد والنقيب رساع مازوز قائد الفيلق الأول ؛ وذلك لكونه من المساندين لعملية الانقلاب ضد الحكومة المؤقتة رغم أنه لم يشارك مشاركة فعلية في ذلك الاجتماع وبقي بمنطقته.

ورغم ذلك كان محمدي سعيد يكنّ له حقدا شديدا، وكلما رفضت كتيبة أو فصيلة العبور فترجع للتراب التونسي، كان العقيد يوجه اللوم للنقيب مازوز ويتهمه بالتقصير.

وفي يوم من الأيام استدعى العقيد محمدي سعيد النقيب رساع مازوز إلى غارديماو واستقبله بمكتبه، وأصدر له أمرا صارما لكي يشرف شخصيا على عبور

فصيلتين من جيش الولاية الثالثة إلى ولايتهم الأصلية من خط موريس (وحينذاك لم يكتمل بناء خط شال)، وخط موريس يبعد عن مقر الحدود حوالي 80 كلم أو أكثر ؛ فوضع رساع مازوز في وضع صعب للغاية نظرا لكبر سنه وزيادة وزنه وتدهور صحته نوعا ما، إلا أنه نفّذ هذه العملية وجمع مجموعة من النخبة المتدربة تدريبا عسكريا جيّدا، وكنت من ضمن النخبة المختارة، وعقد اجتماعا تم إطلاعنا فيه على هذا الأمر وطلب منا تحضير أنفسنا لمرافقة هاتين الفصيلتين تحت إشرافه شخصيا إلى غاية خط موريس بجنوب مدينة الدرعان، والذي تم بناؤه انطلاقا من هذا المكان اتجاه الصحراء.

انطلقت هذه القافلة ترافقها فصيلة من الفيلق الأول من الغرة مرورا بالمطروحة، جبال الوردة، الشافية بني صالح، وواصلنا سيرنا في جبال بني صالح، (وكنا نتغذى حينذاك بالروينة أو السردين وعندما نجوع نحضّر ملعقتين من الروينة في كأس من الماء لمدة ثمانية أيام) لغاية وصولنا للمكان، فقمنا بالعمل المكلفين به كفصيلة تأمين عبور لهاتين الفصيلتين، وبعد إتمام العمل طلبنا من هاتين الفصيلتين الالتحاق بولاياتهما، فرفضتا رفضا قاطعا مثل العادة، ورجعتا معنا.

استدعي النقيب مازوز لمكتب العقيد، ووُبِّخ وحُمِّل مسؤولية التقصير كالعادة، ومن هذا اليوم بدأ العقيد بالعمل لإزاحته عن رأس الفيلق، وكوّن له مجموعة تصحيحية متكونة من نوابه الاثنين وقائد الكتيبة الثالثة، للقيام بالتحضير لإزاحة النقيب من رأس الفيلق. وبدأ النائبان وقائد الكتيبة الثالثة بعملية الإطاحة بالنقيب، غير أن مازوز تفطن لهذه العملية وطلب من الشاذلي بن جديد مساعدته لإزاحتهم، وطلب مني أيضا مساعدته للقيام بفصلهم من الفيلق. وفي يوم من الأيام كان النائبان وقائد الكتيبة الثالثة يترأسون اجتماعا في المكان المسمى عين الكبيرة وأنا كنت بمقر قيادة الكتيبة حيث جاءني مازوز مصحوبا بالشادلي بن جديد – رحمه الله – وسألني عنهم، فوجهتهم إلى عين الكبيرة، فطلبوا مني مرافقتهم وتوجهنا إلى الكتيبة الثالثة. ذهبنا هناك وبعدها أمر النقيب مازوز شخصيا بالقبض على هؤلاء على مرأى الجميع، غير أنهم فرّوا متجهين إلى الأراضي التونسية وتوجهوا إلى مقر القيادة بغرديماو وقدموا شكوى للعقيد محمدي سعيد بما جرى، وبعد أيام شكل العقيد محمدي سعيد لجنة متكونة من النقيب شابو عبد القادر – رحمه الله – ونائبين: علاق محمد – أتمنى له عمرا طويلا – و صحراوي نور الدين – رحمه الله – للقيام بعملية تحقيق بالفيلق الأول.

وصلت هذه اللجنة للفيلق الأول ومكثت هناك أياما، حيث زارت الكتائب الثلاث وحققت في الموضوع وخرجت بتقرير قُدِّم لمحمدي سعيد، وبعد أيام قام بتوجيه استدعاء القيادة السابقة للفيلق بمكتبه، وكنت حاضرا برفقة قادة الكتائب بغارديماو

حيث أعلن إدخال تغيير فيما يخص قيادة الفيلق، وذلك بإزاحة المسؤول الأول عن الفيلق النقيب مازوز ونائبه العسكري بوبير يوسف وعمورة بلقاسم نائبه المكلف بالاستعلامات، و زواغي عمار قائد الكتيبة الثالثة، وأعلن عن تشكيل القيادة الجديدة المتكونة من الشادلي بن جديد قائد الفيلق الأول ونائبه العسكري خالد نزار ونائبه السياسي عبد اللاوي عبد القادر ونائبه للاستعلام والمعلومات ترخوش احمد، أما قادة الكتائب فهم قارة عبد القادر قائد الكتيبة الثالثة وحدادي عبد النور قائد الكتيبة الأولى وبوطارفة الفاضل قائد الكتيبة الثانية.

وبعد التغيير الذي حدث على مستوى الفيلق الأول تجدد النشاط تحت إشراف القيادات الجديدة، واستمر العمل على طول الجبهات داخل المنطقة الأولى الفيلق الأول القاعدة الشرقية وبالتالي أصبحت النشاطات الجديدة تحقق أهداف الثورة المسطرة، وواصلت قيادة القاعدة الشرقية مرافقة وتأمين قوافل العبور إلى داخل ولايتهم حسب الأوامر التي كانت تصدر من طرف قيادة الأركان الشرقية.

قمنا بعدة محاولات للعبور فعبرت ثلاث وحدات هذا الخط ولم تنجُ أيّ وحدة، علما أنّ العدوّ كان يترصدها بوشاية العملاء الذين يتجسسون على تاريخ الانطلاق وقادة هذه الوحدات، عددها، تسليحها ومستوى تدريبها، كما كان يعلم أن كمية الذخيرة محدودة لديها ؛ وبالتالي كان يشتبك معها على فترات متقطعة وينتظر نفاد ذخيرتها لكي يقضي عليها، غير أن هذه الوحدات الشجاعة والبطلة فضّلت الاستشهاد في ميدان الوغى.

وأذكر على سبيل المثال الوحدات التي قمنا بمرافقتها وعبرت وهي :

عبور وحدة النقيب الباريكي ومعركة المطروحة بجبل بوعباد سنة 1959

في هذه السنة قررت قيادة الجيش دخول وحدة كاملة متكونة من فصيلتين تحت قيادة عبد القادر الباريكي – رحمه الله – الذي كان حينذاك نائبا لقائد الولاية الثالثة العقيد عميروش رحمه الله ؛ فبعد خروجه من الولاية الثالثة برفقة مجموعة من الجنود لغرض التزويد بالسلاح والذخيرة والعودة في الوقت المناسب إلى ولايته الأصلية، تقاعست القيادة بإصدار أمرها لهذا القائد العظيم الشجاع بالعودة للولاية وبقي بتونس ينتظر أوامر العودة من وزير الدفاع آنذاك، وفي النهاية وبعد فترة كلف بقيادة فرقة النشيد الوطني مما أثار غضبه ورفض القرار واعتبره إهانة له وإنقاصا من قيمته كونه رجل ثورة ونائب قائد الولاية ؛ و قدم استقالته على الفور وطلب الدخول إلى التراب الوطني في أسرع وقت ممكن، فتمت الموافقة على طلبه.

في هذه الآونة تم تدريب فصيلتين وتنظيمهما وتسليحهما في التراب التونسي، وتوجد من بين هاتين الفصيلتين مجموعة من المهاجرين الجزائريين الذين كانوا يقيمون بالتراب الفرنسي والذين التحقوا بصفوف الثورة عن طريق إيطاليا إلى تونس، وعندما جهزت هذه الوحدة من كل الجوانب وافقت القيادة على دخول عبد القادر الباريكي إلى التراب الوطني فجاء لمقر قيادة الفيلق الأول والتقى هناك بمسؤوليه، وبعد أيام وجهته القيادة برفقة المجموعة التي يرأسها نحو الكتيبة الثالثة التي كنت حينها قائدا لها، فقضى فترة أسبوعين بمقر الكتيبة الثالثة قبل عبوره خط شال، وزودني ببعض الأسرار أثناء خروجه من الولاية الثالثة إلى تونس وبقائه بها رغم إرادته وكان يسوده عدم الرضا على قرارت القيادة بتكليفه بقيادته لفرقة النشيد الوطني.

(هذه المعلومات صادرة على لسان عبد القادر الباريكي لي شخصيا).

وفي وقت عبور خط شال تلقيت أمرا من قيادة الفيلق الأول لكي أؤمّن له العبور من خط شال إلى التراب الوطني، وهكذا كان الأمر فتوجهنا من جبل الغرة أين كنا نقيم إلى المطروحة مكان العبور، وعندما وصلنا إلى هنالك ليلا بدأت وحداتنا تأخذ أماكنها وتتوزع أمام خط شال، والوحدات الأخرى أخذت أماكنها متأهبة للهجوم على الطارف والزيتونة ؛ فبدأت القوات التي كانت ترافق مجموعة العبور بالرمي على أهداف العدوّ بالخط، أين شرعت بفتح الخط بواسطة البنقالور لتدمير الألغام المضادة للأشخاص وبالتالي تخرب الخط المكوّن من أسلاك شائكة وخط مكهرب قوة ضغطه 5000 واط، بالإضافة إلى إسكات نقاط الحراسة بقوة النيران وتدمير الدبابات التي تجول في الطريق ذهابا وإيابا.

بعد نجاحنا في العملية وفتح الخط وتأمين العبور تم توديعهم خلف خط شال واتجهوا داخل التراب الوطني إلى الولاية الثالثة، غير أن الحظ لم يسعفهم للوصول إلى الهدف المسطر حيث اتجهوا من المرادية، وعند عبورهم على جبل الفج ثم جبل الوردة فالشافية وصولا لجبل بوعباد تم اكتشافهم من طرف القوات الفرنسية فجهزت لهم وحدات خاصة لتطويقهم والقضاء عليهم، ودارت معركة بُطولية بينهم وبين قوات العدوّ دافعوا فيها عن أنفسهم إلى غاية نفاد الذخيرة، فاستطاعت القوات الغاشمة القضاء عليهم.

وفي النهاية استشهد جميع أعضاء القافلة بما فيهم قائد القافلة عبد القادر الباريكي ولم تقبض القوات الفرنسية على أي منهم حيا، رحمهم الله. تعتبر هذه العملية من أكبر العمليات حيث تطلبت منا جهدا خاصا من التكتيك والشجاعة لإنجاحها، ويرجع الفضل لجنود هذه الفصيلة وصفّ ضباطها، وخاصة سراي أحمد من ولاية تيسمسيلت و قدوش أحمد من ولاية تيزي وزو، واللذان قاما بعمل بطولي وجبار للغاية.

عبور قافلة حيدوش

قامت قافلة متكوّنة من فصيلتين بالعبور بقيادة حيدوش من الولاية الثالثة، فأمّنت لها العبور الكتيبة الأولى الفيلق الأول بشرق عنابة بقيادة حدادي عبد النور رحمه الله وبحضور خالد نزار و ترخوش أحمد – رحمه الله – بصفتهما نائبين للفيلق الأول، وتم العبور بقيادة حدادي عبد النور – رحمه الله – بصفته قائد الكتيبة الأولى الفيلق الأول.

وبعد عبورها تاهت في الأراضي الزراعية الشاسعة بضواحي مطار عنابة وسيدي سالم لأنها كانت بدون دليل، وفي النهاية وصلت إلى وادي سيبوس الذي وجدت صعوبة كبيرة في عبوره نحو جبل إيدوغ، فاختبأت هناك في انتظار الليل لمحاولة اجتيازه، غير أن قوّات العدوّ اكتشفت هذه القافلة وأسرعت إلى تطويقها ومهاجمتها بمختلف الأسلحة البرية والجوية وحتى البحرية، وقد تصدت لها بشراسة وأسقطت طائرة وهيكلها اليوم موجود على مستوى سيدي سالم، وتصدت لها إلى غاية نفاد الذخيرة كالعادة.

في النهاية استشهد الجميع في ساحة الوغى – رحمهم الله – ودُفنوا في مقبرة جماعية خصصت لهم بسيدي سالم بعنابة.

الصعاب التي واجهت قوافل نقل الأسلحة أثناء عبورها خطي موريس وشال

قررت الولايتان الثانية والثالثة جلب الأسلحة من تونس بواسطة وحداتها، غير أن هذه العملية لم تدم طويلا بسبب كثرة الصعاب التي واجهتها من هذا الخط، مما جعل القيادة تعيد النظر في قرار تزويد الولايات بالسلاح حيث تقرر إسناد مهمة المرافقة وتأمين القوافل عند وصولها لخط موريس تحت إشراف القاعدة الشرقية، ورغم ذلك أصبح من الصعب القيام بهذه المهمة لأن المخاطر لا تكمن في خط موريس بحد ذاته، وإنما تزداد بعد اجتيازه نظرا لوجود وادي السيبوس الموازي لخط موريس، وحتى لو نجحت القوافل في عبوره فإنها تعترضها صعوبات جمة بعد دخول تراب الولاية الثانية نظرا لكون أغلب وحدات جيش التحرير ليسوا من أبناء المنطقة وليست لهم دراية بأماكنها جغرافيا من جبال ووديان ومرتفعات ومسالك المرور الآمنة.

استراتيجية جيش التحرير أمام الأوضاع الجديدة

اضطر قادة الولايات لتغيير التكتيك العسكري حيث قاموا أولا بتقسيم الكتائب والفصائل إلى وحدات صغيرة وأمروا بإنزالهم من الجبال إلى ضواحي المدن وداخل المدن نفسها لتفادي اكتشافها من طرف قوات العدوّ التي كانت منتشرة بقوة في الجبال، ومن هناك كانت الوحدات الصغيرة تقوم بعمليات خاطفة سريعة ومفاجئة وتختفي بسرعة.

أما المهمة الثانية فهي توعية المجتمع المدني وتحضيره لإعلان تمرده وعصيانه ضد القوات الفرنسية، وذلك تحضيرا للمظاهرات التي كانت تلوح في الأفق. ونتيجة للأوضاع المتدهورة والصراعات بين الداخل والخارج عجزت الحكومة المؤقتة عن تسيير الأحداث، خاصة بعد اغتيال عبان رمضان مما اضطر بعض القادة العسكريين إلى عقد اجتماعهم وتمت دعوة العقداء العشرة في أواخر جويلية 1959 بتونس، وكان الغرض من هذا الاجتماع الدعوة إلى الإصلاح وتشكيل قيادة جديدة تشرف على تسيير الدولة، وقد تخلل الاجتماعَ كثير من الانقطاعات نتيجة الخلافات والصراعات خاصة بين أعضائها والقادة العسكريين، والتي أدت إلى رفع الجلسات بضعة أيام، وفي الأخير اتفقوا على تكوين مجلس الثورة مهمته وضع استراتيجية جديدة للثورة وضم هذا المجلس القادة العسكريين في الداخل وممثلي فيديرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني وممثلي الجبهة في تونس والمغرب، وبعد كثير من الأخذ والرد توصل المجتمعون إلى الاتفاق على تركيبة جديدة للمجلس الوطني للثورة.

12 - تأسيس هيئة الأركان العامة لجيش التحرير الوطني

اجتماع المجلس الوطني للثورة بين 1959/10/11 و 1960/01/18

وإنشاء هيئة الأركان العامة

انعقد المجلس الوطني للثورة في طرابلس في جلسات مغلقة حيث تم كشف كل العيوب بتوجيه الانتقادات لبعضهم البعض، ووصلوا إلى درجة استعمال السلاح والعنف ضد بعضهم البعض، وبعد عدة أيام من النقاش والانتقاد استطاع المجلس من خلال جلساته التغلب على كل المشاكل الداخلية وتحقيق المصالح بين سائر النزاعات، واتفق المجلس على عقد مؤتمر جديد في السنة المقبلة في نفس التاريخ وتقييم كل الهيئات وبعدها أخذ القرار بالحساب والعقاب في حالة التقصير وتنفيذ العقاب على المقصرين مهما كانت مسؤوليتهم ردعا لهم.

وخرج المؤتمر بالقرارات التالية:

- إعادة تشكيل حكومة مؤقتة بإبقاء فرحات عباس رئيسا لها
- تعيين كريم بلقاسم وزيرا للخارجية بدلا من القوات المسلحة
- إنشاء لجنة وزارية للحرب محل وزارة القوات المسلحة برئاسة كريم بلقاسم و بوصوف وبن طوبال
- تعيين قيادة أركان عامة لجيش التحرير الوطني بقيادة العقيد هواري بومدين ونوابه الثلاثة: الرائد قايد أحمد – رحمه الله – والرائد علي منجلي – رحمه الله – والرائد عز الدين زراري الذي مازال على قيد الحياة – نتمنى له العمر الطويل – وتم تعيين محمدي سعيد وزيرا للدولة في الحكومة المؤقتة.
- اتخاذ قرار الحفاظ والتمسك بالوحدة الوطنية وعدم التفريط في أيّ شبر منها حتى لو كانت حبة رمل، وهذا الكلام موجه للجنرال ديغول.
- تزويد جيش التحرير بكل الإمكانيات المادية والبشرية والتدريب والتسليح.

- مواصلة الكفاح المسلح بدون هوادة أو انتظار، ويعتبر الكفاح المسلح هو الفاصل بيننا وبين القوات الاستعمارية.

منذ هذا الاجتماع لم يعد للحكومة المؤقتة فعالية مباشرة على جيش التحرير من خلال اللجنة الوزارية لشؤون الحرب والتي يتوجب عليها هي نفسها أن تمر بقيادة هيئة الأركان لكي تطّلع على أخبار الجيش، ووجدت أنها فقدت شيئا فشيئا صلاحياتها القديمة في قضايا الجيش.

أداء هيئة الأركان العامة

بمجرد تنصيب هواري بومدين على رأس هيئة الأركان العامة، والذي تسلم مهامه في 23 جانفي 1960، شرع في العمل تحت مراقبة وتوجيه اللجنة الوزارية الحربية الخاضعة بدورها للحكومة المؤقتة.

التحقت قيادة الأركان بمقرها بغارديماو وشرعت في إعادة هيكلة الوحدات القتالية المرابطة بالحدود الشرقية الجزائرية، حيث حلت فيالق وأدمجت أخرى واستحدثت فيالق جديدة بعد إلغاء تسمية القاعدة الشرقية التي قسمت جغرافيتها إلى منطقتين عمليتين: الأولى سميت بالشمالية والثانية أطلق عليها اسم المنطقة الجنوبية.

يقود المنطقة الشمالية كل من عبد الرحمن بن سالم ونوابه: الشاذلي بن جديد، وعبد القادر شابو، و محمد بن أحمد عبد الغني رحمهم الله. أما المنطقة الجنوبية فيقودها صالح السوفي ونوابه: السعيد عبيد و محمود قنز رحمهما الله، و محمد علاق أطال الله في عمره.

فكل إمكانيات الحرب وُضعت تحت تصرف هذه الهيئة، وقد عاش الجيش جوا من التنظيم والانضباط والقوانين الصارمة. والتحقت بالثورة مجموعة من الضباط الجزائريين المتكونين في الجيش الفرنسي، كما شكلت الهيئة مكتبا تقنيا أُلحق به الفارون من الجيش الفرنسي من ذوي الخبرة العسكرية، وكلفهم بومدين بوضع خطة لإعادة تنظيم الجيش، وأصبح هؤلاء بمثابة قيادة أركان مصغرة اعتمد عليها بومدين في تطبيق خطة جديدة، منهم محمد زرقيني و سليمان هوفمان ومحمد بوتلة رحمهم الله الذين اشرفوا على المكتب التقني المكلف بالتخطيط للعمليات العسكرية التي تنفذها الوحدات الميدانية بالمنطقتين الشمالية والجنوبية، كما أسندت إلى البعض منهم قيادة بعض الوحدات القتالية ومراكز التدريب، بالإضافة إلى حمو بوزادة و مصطفى شلوفي – رحمهما الله – اللذان أشرفا على مصلحة التسليح بالأركان.

13 - عملية إعادة هيكلة الوحدات القتالية بالشرق وأسماء قادتها العسكريين

الفيالق والكتائب الثقيلة العاملة في المنطقة الشمالية بين سنتي 1960و 1962

تعداد أفراد الفيلق بين 500 إلى 600 مجاهد ومقاتل:

- الفيلق العاشر قاده حمى لولو، الشريف براكتية، عبد القادر قارة
- الفيلق الحادي عشر بقيادة أحمد ترخوش، خلفه بعد وفاته بوطرفة فاضل
- الفيلق الثاني عشر بقياده لخضر ورتسي
- الفيلق الثالث عشر بقيادة عبد القادر عبد اللاوي
- الفيلق الخامس عشر بقيادة محمد عطايلية
- الفيلق السابع عشر بقيادة مخلوف ذيب
- الفيلق الواحد والعشرون بقيادة عبد الله بوترعة، خلفه مختار كركب
- الفيلق الثالث والعشرون بقيادة علي بوخضير
- الفيلق الرابع والعشرون بقيادة علي بوحجة
- الفيلق الخامس والعشرون بقيادة يوسف بوبير
- الفيلق السابع والعشرون بقيادة محمد الصالح بشيشي
- الفيلق التاسع والعشرون بقيادة محمد بن محمد
- الفيلق التاسع والثلاثون بقيادة عبد الرزاق بوحارة
- الفيلق السادس والخمسون بقيادة عمار شكاي

الكتائب الثقيلة الناشطة بالمنطقة الشمالية

تعداد الكتيبة الثقيلة الواحدة بين 300 إلى 350 فرد

- الكتيبة الأولى بقيادة خالد نزار

- الكتيبة الثالثة بقيادة عبد المالك قنايزية
- الكتيبة الخامسة بقيادة كركب مختار
- الكتيبة السادسة بقيادة عبد الحميد إبراهيمي
- الكتيبة السابعة بقيادة عمار بن جامع

بطاريات المدفعية المستقلة التابعة لقيادة المنطقة الشمالية وأسماء قادتها

- بطارية المدفع 122ملم قادها كمال عبد الرحيم
- بطارية المدفع 85 ملم قادها زين العابدين حشيشي
- بطارية المدفع 85 ملم قادها اليامين زروال
- بطارية المدفع 120ملم قادها محمد الطاهر مداوي
- بطارية المدفع الهاون 120ملم قادها محمد نعمان

الفيالق التابعة للمنطقة الجنوبية وأسماء قادتها

- الفيلق الثالث والأربعون بقيادة حبيب خليل
- الفيلق الخامس والأربعون بقيادة العربي بالخير
- الفيلق الثالث والخمسون بقيادة ساعد قسطل
- الفيلق الثامن والخمسون بقيادة عمار زغلامي
- الفيلق الواحد والسبعون بقيادة حشايشي الحفناوي
- الفيلق الثاني والسبعون بقيادة أحمد عقون
- الفيلق الخامس والسبعون بقيادة ساعد قسطل

الكتائب الثقيلة التابعة للمنطقة الجنوبية وأسماء قادتها

- الكتيبة الأولى بقيادة الطيب رضا، حبيب خليل
- الكتيبة الثانية بقيادة حبيب خليل
- الكتيبة الرابعة بقيادة عبد النور بقة

بطاريات المدفعية المستقلة التابعة لقيادة المنطقة الجنوبية وأسماء قادتها

- بطارية المدفع 152 ملم قادها معمر قارة
- بطارية المدفع 120 ملم قادها محمد بوغانم
- بطارية المدفع 76 ملم مضاد للدبابات قادها رشيد مديوني

- بطارية المدفع 85 ملم قادها محمد بتشين

تمت الهيكلة الجديدة لجيوش القاعدة الشرقية كالآتي:

بعد أن أصبح الجيش جاهزا للقيام بمهمة التصدي للجيش الفرنسي، أرادت قيادة الأركان العامة القيام بعمل عسكري متواصل على الحدود الشرقية والغربية من أجل التخفيف على وحدات قوات جيش التحرير بالداخل وتثبيت القوات الفرنسية بالحدود الشرقية.

14 - العمليات العسكرية المنفذة بعد إنشاء هيئة الأركان العامة

بادرت قيادة الأركان بإصدار الأمر العام الأول لكل الفيالق، بالتوجه لخط شال والقيام بعملية تخريبية وهجومية على نقاط المراقبة الموجودة خلف هذا الخط، وعلى الدبابات على الطريق الوطني خلف الخط، فاشترطت على كل فيلق اقتلاع 600 قضيب حديدي بعد تخريب الخط المبني على قضبان حديدية، وهكذا كان الأمر. والهدف من ذلك اختبار جيش التحرير في شجاعته ومعنوياته، وفعلا كل الفيالق من الشمال للجنوب هاجمت في منطقتها ووصلت الخط وخربته ودمرته وأسكتت نقاط المراقبة ووجهت نيران البازوكا للدبابات التي تقوم بدوريات كل دقيقة ذهابا وإيابا، وبالتالي حققت الفيالق هدفها.

وبعد 10 أيام أصدرت القيادة العامة الأمر الثاني لكل قادة الفيالق تأمرهم بالهجوم على خط شال وتخريبه مرة أخرى، واشترطت على كل فيلق أن يدمر ويفجر الألغام ويصل إلى وسط خط شال ويقتلع الخط المكهرب المكوّن من 5000 فولط ويقلع 6 أعمدة مكهربة تُقَدَّم كبرهان للقيادة. وتمت العملية بنجاح وأغلب الفيالق حققت الهدف الثاني.

أما العملية الثالثة فاشترطت على الفيالق الهجوم على الدبابات ونقاط المراقبة، والقيام بأسر عساكرهم أو الاستيلاء على أسلحتهم، وهذه العملية كانت جد صعبة.

استمرت العمليات متواصلة حيث أن هذه القرارات أصابت الهدف وبالتالي رفعت من معنويات المجاهدين، كما تم التخفيف عن الداخل إذ أن القوات الفرنسية سحبت قواتها من الداخل ودعّمت قواتها في الجهتين الشرقية والغربية لمواجهة الوضع الجديد. في هذه الفترة كنت نائبا لقائد الفيلق 56 بضواحي عين الكرمة وبوحجار، وقبلها كنت قائدا للكتيبة الثالثة الفيلق الأول.

في يوم من الأيام وصلتني دعوة على سبيل الاستعجال من قائد منطقة العمليات الشمالية، فتوجهت إليه وبلّغني أن قيادة الأركان العامة بغرديماو هي التي وجهت لي الدعوة وما عليّ إلا التوجه بصحبة عبد القادر شابو نائب قائد المنطقة، وفعلا توجهنا

إلى قيادة الأركان حيث استقبلني المرحوم هواري بومدين في مكتبه، وبعد السلام عليه أعلمني بأن قيادة الأركان أعطت ثقتها في شخصي بإسناد قيادة الفيلق العاشر بعدما كان يسمى الفيلق الرابع عشر بقيادة حمى لولو وبعده الشريف براكتية والذي تعرض لعدة نكسات فتم تبديل اسمه من الرابع عشر إلى العاشر.

وافقت على القرار، وفي اليوم التالي توجهت لقيادة العمليات حيث كان في انتظاري عبد القادر شابو ليرافقني إلى الفيلق العاشر، وتم تسليم واستلام المهام مع القائد السابق للفيلق الشريف براكتية، وتم إعلامي من طرف عبد القادر شابو بقدوم نائب قائد الأركان الرائد القايد أحمد للإشراف على تنصيبي بصفة رسمية. بدأت مباشرة بالاتصال والتعرف على المسؤولين والضباط وضباط الصف والجنود، وقمت بجولات متعددة داخل الفيلق، وزرت جميع الكتائب، ثم قمت بعملية استطلاع للمنطقة الجديدة التي لا أعرفها لأنني من البداية كنت في الجهة الشمالية من القاعدة الشرقية، وبعد قيامي بالاستطلاع في هذه المنطقة عدنا بعد عدة أيام.

الهجوم على ثكنة بورنان (1961)

وصلنا أمر من قيادة الأركان العامة للقيام كالعادة بالعمليات الهجومية، وفي هذه المنطقة توجد ثلاث ثكنات: القوارد، الموجودة على الحدود الجزائرية التونسية، بورنان داخل التراب الجزائري بحوالي 10 كلم، حدادة الموجودة شرق سوق أهراس على الطريق المار بسوق أهراس، حدادة، بورنان، القوارد.

فكان يجب توزيع وحدات الفيلق على الثكنات الثلاث، وفي ساعة (سين) نتوجه ونعبر الحدود من التراب التونسي متوجهين إلى الثكنات، وبالنسبة لهذه المنطقة فهي صحراوية وخالية من الغابات والأحراش وتحتوي على أراضي قاحلة، ويقوم العدوّ من مركز القوارد بمراقبة هذه المنطقة بالتدقيق، لأن هذا المركز يشرف ويسيطر على جميع المساحات الموجودة بجنوب القوارد وغربها، فعند ملاحظة أيّ شيء يستنجد بالمدفعية والطائرات لمتابعة الأهداف الممكن اكتشافها من طرف نقاط المراقبة لهذا المركز من الفيلق العاشر.

وبعد قرب تاريخ الهجوم العام والذي كان مقررا على الساعة العاشرة والنصف، اجتزنا الحدود التونسية الجزائرية مباشرة بعد غروب الشمس وانقسمنا إلى ثلاث مجموعات: مجموعة تتجه للقوارد، والثانية لبورنان، والثالثة لحدادة. وبعد غروب الشمس كنت في المجموعة الثانية، حيث كلفت بالهجوم على بورنان، أما المجموعتان الثانيتان فترأس على كل واحدة منها نائبا من نواب الفيلق العاشر. ومباشرة بعد اجتياز الحدود متجهين إلى بورنان، لاحظت شيئا لفت انتباهي، وهو أن ضباط الوحدة التي

كنت قائدا لها وصف ضباطها وجنودها يسودهم خوف شديد متبوع بالاحتياط، نظرا للنكسات التي مروا بها عدة مرات أثناء عبورهم للحدود، فقد كانوا يتعرضون لكمائن كومندوس عدة مرات، فقد كان يقوم بكمائن ليلية بالمسالك التي كان يمر بها جيش التحرير، فيهجم عليهم ويقتل عددا منهم وينتصر ويستولي على أسلحتهم، وهذه العمليات تكررت – حسب أقوال الجنود ومسؤولي الفيلق العاشر – أثناء قيادة قائد الفيلق السابق قبل براكتية وحتى أثناء قيادة براكتية.

هذه النكسات المتتالية أثرت كثيرا على معنويات الفيلق وأصبح الجندي البطل الذي جاء ليضحي ويستشهد في سبيل الله ووطنه أصبح يخاف وزرع الخوف في دمه. وعندما لاحظت ذلك قررت أن أتقدّم القافلة ماشيا قبلهم، محاولا تشجيعهم وإعادة رفع معنوياتهم، فبدأ الجنود يتسابقون قبلي وكأنهم يقومون بحراستي. واصلنا سيرنا إلى غاية الثكنة ببورنان أين أخذنا أماكننا وضبطنا أسلحتنا وانتظرنا الساعة العاشرة والنصف للقيام بالهجوم حسب تعليمات قيادة الأركان العامة.

عند الساعة العاشرة كان بجانبي قائد الكتيبة الرابعة المدعو سليمان معاوي حيث اكتشفنا تحركات وضجيج أشخاص يسيرون متجهين نحونا، فانتظرناهم حتى وصلوا إلى مستوى رمي الأسلحة فقمت بفتح النيران أولا نحو العساكر الذين كانوا يتجهون كالعادة إلى الأماكن التي تعودوا أن يقيموا فيها الكمائن لفيالقنا، معطيا إشارة انطلاق العملية قبل نصف ساعة من موعدها. قمت أنا وسليمان معاوي بالرمي دون توقف إلى غاية نفاد الخزانات، وعند الالتفات يمينا وشمالا لاحظنا انسحاب وحداتنا دون إطلاق أيّ طلقة نارية، وتوجهوا للخلف راجعين إلى مقر القيادة ؛ مما اضطرنا إلى الانسحاب كذلك.

رجعنا أدراجنا وأردنا معرفة المتسبب في تحريض الجنود على الفرار، فوصلنا إلى الأوائل المنسحبين وأوقفناهم وحاولنا معرفة سبب الفرار، فاضطر جنديان منهم إلى إشهار سلاحهما في صدري، ونطق سليمان معاوي فقال: « كيف تريدان قتل والدكما ؟! » فتراجع أحدهما وسحب سلاحه، أما الثاني فبقي كذلك إلى أن قمت بضربه على مستوى بطنه فسقط أرضا، وأمرت بتجريدهما من السلاح وعدنا لقيادة الفيلق. وفي اليوم التالي طلب مني نواب الفيلق وقادة الكتائب الصفح عنهما وعدم معاقبتهما، فعفوت عنهما وعادا إلى ممارسة مهامهما. استمر هذا الوضع لعدة شهور بالمنطقة، وكنا نقوم بهجومات على المراكز المذكورة سابقا من حين لآخر عندما نأخذ الأوامر من القيادات.

الهجوم على ثكنة القوارد والحمري (1961)

كان موقع ثكنة القوارد التابع للفيلق العاشر موجودا على الحدود التونسية الجزائرية، ولذلك فقد سبب لنا عائقا كبيرا وحدّ من تحركاتنا وقدراتنا، فعقدنا اجتماعا

ترأسته أنا شخصيا وحضره نواب الفيلق وقادة الكتائب، درسنا فيه وضعية المركز وكيفية التخلص منه، وفي النهاية وجدنا الحل الوحيد وهو المغامرة ؛ إما الفشل وإما النجاح.

يملك المركز مساحات شاسعة تتم مراقبتها بسهولة بواسطة المناظير، وللعلم قام جيش التحرير والوحدات السابقة بالمنطقة بعدة محاولات لتدميره واحتلاله إلا أنها باءت بالفشل نظرا للتحصين المحكم والذي كان من الصعب تدميره والاستيلاء عليه، وأخر محاولة في سنة 1961 حيث قامت قيادة الأركان العامة بعملية هجومية كاسحة على مركزي القوارد والحمري لغرض تدميرهما واحتلالهما، وجندت لذلك إمكانيات بشرية معتبرة ودعمت الهجومين بوحدات من فيالق الشمال، وأشرف على هذه العملية الرائد قايد أحمد نائب قائد الأركان العامة، وبدأ الهجوم على الساعة العاشرة ليلا، وكنت من المشاركين في الهجوم على مركز القوارد بصفتي قائد الفيلق العاشر، واستمرت العملية أكثر من ساعتين على المركزين حيث استعملت في هذه العملية مختلف الأسلحة الثقيلة التي أثرت تأثيرا مباشرا على الثكنتين، وبعد تدمير جزء منهما وبعد إسكات نيران العدوّ تقدمنا وهاجمناه لاحتلاله بتفجير الألغام المضادة للأشخاص وتقطيع الخطوط الكهربائية، ثم وصلنا إلى جدران المركز.

شعر العدوّ بالخطر وانسحب عن طريق الأنفاق وبدأت المدفعية من مركز 34 بقصف المركز بما فيه حيث أصبحت لا تفرق بين جنودها أو جنود العدوّ ؛ فصعبت علينا العملية بعد دخولنا المركز الذي وجدناه فارغا، فتوقفنا وانسحبنا وقد سبب لنا القصف المدفعي خسائر معتبرة من مصابين وشهداء وعددهم حوالي 120 جنديا، وبقينا نسحب شهداءنا وجرحانا إلى غاية طلوع النهار، وانتهت العملية بدون تحقيق النتيجة المرجوة.

عندما قررنا القيام بعمليات حفر ليلية تبدأ بعد غروب الشمس وتنتهي قبل بزوغ الشمس، كنا نقوم بتمويه المكان، والحفر يكون على شكل عمودي ثم أفقي لغرض الاختباء وتوفير الحماية من شظايا الطائرات والمدفعية، ثم عرضنا هذه الخطة على قيادة العمليات الشمالية، وبدورها عرضتها على قيادة الأركان العامة، حيث صادقت على بداية تنفيذ هذا العمل.

بدأنا بالحفر وحفرنا خمسة خطوط بالتوازي بشكل نصف دائري ولكل خط سلاحه الخاص، مثلا الخط الأمامي وضعنا به رامي القذائف المتفجرة والمسمى LTZ حجمه 200 ملم ومصنّع في ورشات صناعة الأسلحة للثورة ولا تتجاوز مسافة رميه 150 إلى 180 م، غير أنها فعالة بفضل الحشو الداخلي للمواسير المملوءة بمتفجرات ت ن ت، وشظايا ومسامير وبارود.

بعد إتمام الحفر الذي دام أكثر من شهر طلبنا من القيادة تحديد تاريخ الهجوم (اليوم والساعة) وتزويدنا بإمكانيات تدعيم، فوافقت الأخيرة وحددت التاريخ وزودتنا بالكتيبة الثالثة الثقيلة بقيادة عبد المالك قنايزية التي وصلت قبل الهجوم بثلاثة أيام إلى مقر قيادة الفيلق العاشر.

توجهنا ليلا في اليوم الموعود، ووزعنا الأسلحة على حسب مداها على الخطوط المتوازية، وانتظرنا طلوع النهار، فبدأنا العملية الهجومية بإطلاق القنابل من المدافع التقليدية من الخط الأول، وهذه القنابل سببت خسائر باهظة للعدوّ إضافة إلى الانفجار القوي الذي يدوي أثناء سقوطها، وهذا وحده أثّر على معنويات العدوّ تأثيرا شديدا. بدأت ألسنة النيران تلتهم المكان ودخان أسود كثيف يتصاعد، وأعتقد أن ذلك ناتج عن اشتعال خزانات البنزين أو المازوت.

ارتبك العدوّ من هذه المفاجأة غير المنتظرة صباحا، واستنجد بالطائرات والمدفعية، غير أنها لم تجد نفعا لأننا كنا محصنيين داخل الحفر، وعندما يتوقف القصف الفرنسي نخرج ونعيد الكَرّة، بقينا في هذا الوضع إلى ما بعد الظهر، حيث لاحظنا تقدم قافلة للمركز من الدبابات على جبل أعراب قادمة من بورنان، غير أننا تصدينا لهذه الأخيرة بالرمي المباشر بواسطة مدفع 75 ومدفع 57، وأصبنا عدة دبابات في عين المكان، وبعد يأسها أمرت القوات بالانسحاب عن طريق الأنفاق باعتبار المركز مبنى روماني محصن. اعتقدت السلطات الفرنسية أننا داخل المركز فأمرت القوات بقصف المركز نفسه ثم انسحبوا. انتهت العملية باستشهاد ثمانية رجال وجرح ستة آخرين منهم عبد المالك قنايزية.

وهكذا انتهت العملية بنجاح، ويجب التنويه هنا بالعملية البطولية التي قام بها ضباط وضباط صف وجنود الفيلق العاشر، والتي وصفت بالعملية المصغرة لحرب الفيتنام، فقد أربكت العدوّ واضطرته للانسحاب تحت نيران قوات جيش التحرير، وعليه ندعو بالرحمة والغفران للمجاهدين الذين قضوا نحبهم في هذه العملية، وأتمنى للأحياء عمرا طويلا. بعد معركة القوارد والانتصار الذي حققه الفيلق العاشر على هذه الثكنة والذي جعل العدوّ ينسحب نهارا نتيجة الانهزام، واصل الفيلق العاشر عملياته الاعتيادية على مركز بورنان وحدادة.

في هذه الفترة قررت قيادة الأركان العامة نقل الفيلق العاشر من جنوب المنطقة الشمالية إلى شمالها نظرا لكثافة العمليات والمواجهات المباشرة والمتواصلة بين وحداتنا القتالية وقوات العدوّ على خط شال وثكناته، وتم اختيار جبل عديسة كمقر له مقابل رمل السوق، وقبل التحاقنا بمكان العمليات الجديد رأت قيادة الأركان تنظيم دورة

تدريبية لمدة شهر بمركز التدريب ملاق، وقضينا شهرا كاملا حيث تم تدعيم هذا الفيلق بالأسلحة التكتيكية الجديدة والعصرية لكي يستطيع مواصلة القتال.

توجهنا إلى عديسة وبعد الاطلاع والقيام بدوريات لمعرفة تضاريس وطبيعة المنطقة شرعنا في العمل ضد قوات العدوّ على مستوى خط شال المكهرب والثكنات الموجودة في قطاع العمليات التابع للفيلق العاشر إلى جانب الوحدات القتالية المتواجدة على طول الخط.

عبور قافلة العقيد أحمد بن الشريف (1961)

كلف العقيد أحمد بن شريف من طرف مجلس الثورة بالالتحاق بالولاية الرابعة لقيادتها، فاصطحب معه فصيلتين وجهزهما، وتم العبور تحت قيادة الكتيبة الثالثة الفيلق الأول التي رافقته إلى غاية خط شال شرق بلدية الزيتونة بحضور الأخ خالد نزار بصفته نائب قائد الفيلق الأول، وقامت الكتيبة بكل الإجراءات الأمنية لتسهيل عملية العبور وفتحت لهم الخط، حيث قامت بتنصيب الكمائن يمينا وشمالا على مكان العبور وتفجير الألغام المضادة للأشخاص، وقطع الأسلاك الشائكة والخط الكهربائي بقوة 5000 واط، والهجوم على نقاط المراقبة خلف الطريق بقاذفات الصواريخ (البازوكا) وتنصيب كمائن للدبابات التي تقوم بحراسة الخط ذهابا وإيابا، وبعد تحقيق كل الشروط عبرت القافلة في امن وسلام قاصدة الولاية الرابعة، واكتُشفت القافلة من طرف القوات الفرنسية بين الخطين وتتبعتها واشتبكت معها عدة اشتباكات، غير أن القافلة تمكنت من مواصلة سيرها إلى الولاية الثانية ثم الثالثة ووصلت إلى الولاية الرابعة، لكن طُوِّقت من طرف قوات العدوّ حيث قضت على ستين منهم – رحمهم الله – وبقي خمسة منهم بقيادة العقيد بن الشريف الذين واصلوا المسيرة إلى الولاية الرابعة بضواحي سور الغزلان، حيث طوقتهم القوات الفرنسية بالمنطقة وألقت عليهم القبض وقادتهم للسجون.

الهجوم على ثكنة رمل السوق

بناءً على التجربة التي اكتسبها الفيلق العاشر من عملية القوارد، أردنا إعادة الكَرّة على مستوى ثكنة رمل السوق التابع للفيلق العاشر، ووضعنا خطة للهجوم على المركز نهارا وخاصة بعد تزويدنا بمدافع الهاون عيار 82 ومدافع 75 ملم للرمي المباشر ومدافع 67 مم للرمي المباشر ومدافع رشاشة للدفاع الجوي ضد الطيران، وقمنا بعملية رائعة فكنا نلاحظ أثناء الهجوم أن القنابل تتساقط على ثكنة رمل السوق والبنايات الموجودة حولها، وفعلا تمت هذه العملية بتخريب وتهديم هذه الأبنية، وكنا على وشك الاستقلال، وكان حاضرا معنا بالفيلق الأخ مديان توفيق والذي كان يعمل في مصالح

الاستخبارات للتنصت. انتهت العملية بنجاح وسببت خسائر معتبرة للعدوّ، ثم انسحبنا حيث بدأت المفاوضات بين الطرفين الجزائري والفرنسي.

وأريد التذكير أن هذه العمليات المدونة في هذا الكتاب ما هي إلا جزء بسيط من عشرات العمليات الإجمالية من تنظيم الكمائن وإقامتها والعمليات الهجومية على الثكنات ومراكز العدوّ والاشتباكات مع قواتهم من حين لآخر. لم أتمكن من تدوين كل الأحداث التي جرت نظرا لضعف الذاكرة وتقدمي في السن ؛ وعليه سيداتي الفضليات والسادة القراء المحترمين، أعتذر منكم لعدم تدوين كل الأحداث القتالية التي شاركت فيها أو قدتها أو أشرفت عليها.

15 - المفاوضات الجزائرية الفرنسية

إن الاتفاق بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية على وقف إطلاق النار وتقرير المصير بموجب اتفاقية إيفيان كان في الحقيقة تتويجا لمجموعة من الاتصالات بين الطرفين منذ اندلاع الثورة بفترة وجيزة وبعد التطورات التي عرفتها الثورة والظروف المصاحبة لها والتي أرغمت فرنسا على التفاوض كحل وحيد للخروج من المأزق الجزائري.

بداية مسار التفاوض

في البداية حصل أول اتصال سري بين جبهة التحرير والحكومة الفرنسية في عهد حكومة غي مولي في القاهرة بتاريخ 1956/04/10، حيث اجتمع محمد خيضر بجورج قورس بوساطة الحكومة المصرية، وطالب الوفد الجزائري بضرورة الاعتراف بجبهة التحرير الوطني وبحق الشعب في تقرير المصير.

تبعت هذا الاجتماع مجموعة من اللقاءات بين الطرفين في العاصمة اليوغوسلافية بلغراد في 1956/07/21 ترأسه محمد يزيد و كومين بيار، ثم لقاء ثاني في أحد مقاهي روما في 1956/08/17، وثالث بنفس المدينة في 1956/09/02، وكلها باءت بالفشل بسبب تمسك الطرف الفرنسي بمواقفه حول وقف إطلاق النار والانتخابات والمفاوضات، وجاءت حادثة اختطاف طائرة قادة جبهة التحرير في 1956/10/22 التي أدت إلى قطع كل الاتصالات بين الطرفين.

وجاء اعتراف ديغول بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره في 1960/06/16 ليشجع جبهة التحرير على استئناف المفاوضات في مدينة مولان الفرنسية في 1960/06/25 بوفد ترأسه عن الجانب الجزائري كل من أحمد بومنجل و محمد الصديق بن يحيى، لكنه باء بالفشل أيضا. لقد كان رد المستوطنين وقادة الجيش الفرنسي سلبيا حول تصريح ديغول بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، فقاموا بإنشاء الجبهة الوطنية الفرنسية وهي منظمة عسكرية، كما قام ماسو بسياسة سرية للتنسيق مع الجالية الأوروبية للدفاع عن الجزائر الفرنسية وإسقاط الجمهورية الفرنسية الخامسة.

كما قابل المستوطنون الأوروبيون بتشكيل جبهة الجزائر الفرنسية في 1960/06/14، كل هذه الظروف دفعت الجنرال ديغول إلى تعزيز موقفه من خلال استفتاء الشعب الفرنسي في 1960/01/08 وكانت النتيجة 75 بالمائة نعم لحق الشعب في تقرير مصيره.

لقد انقسم الجيش الفرنسي بين مؤيد ومعارض لسياسته كما قام الجنرال شال رفقة الجنرالات جوهو زيلر و سالان بانقلاب عسكري على حكومة ديغول التي كانت نتائجه عظيمة الفائدة على مسار الثورة بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية التي برزت لديها رغبة ملحّة لحل المشكلة وتوّجت باتفاقية إيفيان.

ويمكن اعتبار مظاهرات 1960/10/11 نقطة تحول حاسمة في مسار التفاوض بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية، حيث كشف حجم الالتفاف الشعبي حول الجبهة، وهو ما اضطر الطرف الفرنسي إلى ضرورة إنهاء القضية الجزائرية التي تجسدت في شكل مفاوضات سرية جديدة في مدينة لوسارن بسويسرا في 1961/02/20 بوساطة الوزير السويسري أوليفي لونغ، حيث التقى بومنجل أحمد و الطيب بولحروف بجورج بومبيدو.

اتفاقية إيفيان الأولى

في يوم 20 ماي 1961 بمدينة إيفيان، التقى الوفد الجزائري المشكّل من السادة: كريم بلقاسم - محمد الصديق بن يحيى - أحمد فرنسيس - سعد دحلب - رضا مالك - أحمد بومنجل، بـالسادة لوي جوكس و كلود شايي و برونو دولوس. ورغم الجلسات المتكررة ما بين 20 ماي و 13 جوان 1961، لم يحسم في القضايا الجوهرية إذ اصطدمت مرة أخرى بإصرار الطرف الفرنسي بمناقشة ملف وقف إطلاق النار بمعزل عن بقية الملفات، والمساس بالوحدة الترابية للجزائر في إطار سياسة فصل الصحراء، ومسألة محاولة فرض الجنسية المزدوجة للفرنسيين الجزائريين، إلا أن الطرف الجزائري رفض المساومة على المبادئ الأساسية التي أقرها بيان أول نوفمبر 1954، الأمر الذي دفع بالسيد لوي جوكس رئيس الوفد الفرنسي إلى تعليق المفاوضات يوم 13 جوان 1961.

بعد توقف المفاوضات استأنفنا المواجهة المباشرة مع قوات العدوّ الموجودة على الحدود الشرقية، حيث أصدرت قيادة الأركان العامة أمرا بمواجهة قوات العدوّ بهجوم كاسح ليلا نهارا ودامت العملية عدة أيام أين استعملنا الأسلحة الثقيلة الجديدة مثل المدفع 85 ملم ومدفع الميدان 122 ملم وكذا المدفعية المضادة للطيران التي وصلتنا حديثا، وقد دامت الهجومات أسبوعا كاملا الأمر الذي زاد من تصاعد القتال واضطر العدوّ إلى استئناف المفاوضات مع الوفد الجزائري.

محادثات لوغران

استؤنفت المحادثات في لوغرا بين 20 و 28 جويلية 1961، لكن بدون جدوى بسبب إصرار الحكومة الفرنسية على التنكر لسيادة الجزائر على صحرائها، مروّجة لمغالطة

تاريخية مفادها أن الصحراء بحر داخلي تشترك فيه كل البلدان المجاورة، وبهدف ضرب الوطنية وإضعاف الثورة وتأليب دول الجوار عليها، وبذلك علقت المحادثات نظرا لتباعد وجهات النظر بين الطرفين لا سيما فيما يخص الوحدة الترابية، ولم تباشر الحكومة المؤقتة اتصالاتها إلا بعد أن تحصلت على اعتراف صريح في خطاب الرئيس الفرنسي شارل ديغول يوم 5 سبتمر 1961 ضمّنه اعتراف فرنسا بسيادة الجزائر على صحرائها ؛ وعلى إثر ذلك تجددت اللقاءات التحضيرية أيام 28 و 29 أكتوبر 1961، ثم يوم 9 نوفمبر 1961 في مدينة بال السويسرية جمعت رضا مالك ومحمد الصديق بن يحي بـ شايي ودو لوس عن الطرف الفرنسي، وفي 9 و 23 و 30 ديسمبر 1961 التقى سعد دحلب بـ لوي جوكس في مدينة روس لدراسة النقاط الأساسية ومناقشة قضايا التعاون وحفظ النظام أثناء المرحلة الانتقالية ومسألة العفو الشامل، وبعد أن ضمن المفاوض الجزائري تحقيق المبادئ الأساسية والسيادية خلال المفاوضات التي جرت بـ روس بين 11 و 19 فبراير 1962 ومصادقة المجلس الوطني للثورة الجزائرية على مسودة محادثات لي روس، أبدى استعداده للدخول في مفاوضات المرحلة النهائية.

مفاوضات إيفيان الثانية

بعد أن صادق المجلس الوطني للثورة الجزائرية على مسودة لي روس، أعلنت الحكومة المؤقتة رغبتها في مواصلة المفاوضات رسميا في مدينة إيفيان الفرنسية، أين التقى كريم بلقاسم و سعد دحلب ومحمد الصديق بن يحي ولخضر بن طوبال و محمد يزيد وعمار بن عودة ورضا مالك و الصغير مصطفاي بالوفد الفرنسي: لوي جوكس وروبير بيرون وبرنار تريكو وبرينو دو لوس وكلود شايي والجنرال دو كماس، في جولة أخيرة من المفاوضات امتدت بين 7 و 18 مارس 1962، تُوّجت بإعلان توقيع اتفاقيات إيفيان وإقرار وقف إطلاق النار، وإقرار مرحلة انتقالية وإجراء استفتاء تقرير المصير، كما تضمنت هذه الاتفاقيات جملة من اتفاقيات التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية سارية المفعول لمدة 20 سنة.

مضمون الاتفاقية

تضمنت اتفاقية إيفيان محورين أساسيين:

المحور الأول

- تنظيم الشؤون السياسية والعامة في البلاد خلال المرحلة الانتقالية التي تمتد من 19 مارس 1962 لغاية الإعلان الرسمي عن استقلال الجزائر في الخامس من جويلية 1962، وهي الفترة التي نظم فيها الاستفتاء الشعبي الذي حصل

بموجبه الجزائريون على الاستقلال، حيث اختار الشعب بالأغلبية الانفصال عن فرنسا والعيش في وطن حر ومستقل يحمل اسم الجزائر.

وتمهيدا لذلك اتخذت الإدارة الفرنسية عددا من الإجراءات السياسية والقضائية:

- إطلاق سراح جميع السجناء الذين كانوا يقبعون في السجون، سواء في الجزائر أو في فرنسا.
- السماح للفارين من الجزائر خلال سنوات الثورة واللاجئين إلى دول مجاورة مثل تونس والمغرب بالعودة إلى بلادهم.
- الاعتراف بحزب جبهة التحرير الوطني حزبا سياسيا شرعيا.

قرارات أخرى تضمنتها الفقرة الأولى من اتفاقية إيفيان، أهمها إعطاء الحرية الكاملة للحكومة الجزائرية في اختيار مؤسساتها ونظامها السياسي والاجتماعي وفق مصالح الشعب الذي تمثله وبسط سيطرتها على كامل التراب الوطني وفرض سيادتها في جميع المجالات، لا سيما في مجالي الدفاع العسكري والشؤون الخارجية.

كما شدد المحور الأول من الاتفاقية على ضمان حقوق الفرنسيين الذين يعيشون في الجزائر منذ سنوات طويلة وعلى ضمان أمنهم واحترام طقوسهم الدينية.

المحور الثاني

- ضمان مصالح فرنسا والفرنسيين الاقتصادية والتعاون في مجال استثمار الثروات الطبيعية، لا سيما استخراج النفط في المناطق الصحراوية، إضافة إلى تفضيل فرنسا عندما يتعلق الأمر بتقديم رخص للتنقيب عن النفط، وبالمقابل تعهدت باريس بتقديم مساعدات تقنية ومالية تسمح للجزائر بالنهوض باقتصادها.
- تقليص عدد القوات الفرنسية المتواجدة في الجزائر تدريجيا حتى خروجها بالكامل من البلاد، إضافة إلى السماح لفرنسا باستخدام القاعدة البحرية العسكرية بمرسى الكبير في وهران لمدة 15 عاما قابلة للتجديد في حال اتفاق الطرفين، واستخدام بعض المطارات والمواقع العسكرية إذا اقتضت الحاجة.

اتفاقية وقف إطلاق النار

وجّه الرئيس بن خدة، في 19 مارس 1962، للشعب الجزائري تصريح وقف إطلاق النار الذي تم تطبيقه في 19 مارس 1962، عند منتصف النهار حيث أمر باسم الحكومة المؤقتة الجزائرية كل وحدات جيش التحرير الوطني المكافحة بوقف العمليات العسكرية والاشتباكات المسلحة على مجموع التراب الوطني.

تحتوي الاتفاقية على المواد التالية :

- المادة 1 : ستنتهي العمليات العسكرية وكل عمل مسلح في القطر الجزائري يوم 19 مارس سنة 1962 الساعة الثانية عشر.
- المادة 2 : يتعهد الطرفان بعدم الالتجاء إلى أعمال العنف الجماعية والفردية، ويجب وضع نهاية لكل عمل سري مضاد للأمن العام.
- المادة 3 : تستقر قوات جبهة التحرير الوطني يوم وقف إطلاق النار داخل المناطق التي توجد بها وتتم التنقلات الفردية لهذه القوات خارج المناطق المرابطة بها بدون حمل السلاح.
- المادة 4 : لن تنسحب القوات الفرنسية المرابطة على الحدود قبل إعلان نتائج استفتاء تقرير المصير.
- المادة 5 : ستتبع خطط مرابطة الجيش الفرنسي بحيث تمنع حدوث أيّ احتكاك.
- المادة 6 : تنشأ لجنة مختلطة لتسوية المسائل الخاصة بوقف إطلاق النار.
- المادة 7 : تقترح اللجنة الإجراءات التي يطلبها الطرفان خاصة فيها يتعلق بالتالي :
  - إيجاد حل للحوادث التي تقع بعد إجراء تحقيق مستند إلى الأدلة.
  - حل المشاكل التي لم يكن في الإمكان تسويتها محليا.
- المادة 8 : يمثل كل الطرفين في اللجنة أحد كبار الضباط وعشرة أعضاء على الأكثر بما فيهم هيئة السكرتارية.
- المادة 9 : يقع مقر اللجنة المختلطة لوقف إطلاق النار في « الصخرة السوداء » ببومرداس.
- المادة 10 : وإذا دعت الحاجة تمثل اللجنة المختلطة لوقف إطلاق النار بلجان محلية في الأقاليم وتتألف من عضوين من كلا الفريقين وتسير على نفس المبادئ.
- المادة 11 : يطلق سراح جميع أسرى المعارك لكل من الفريقين لحظة تطبيق قرار وقف إطلاق النار، في خلال عشرين يوما من تاريخ وقف إطلاق النار، وعلى الفريقين أن يخبروا هيئة الصليب الأحمر الدولية عن مكان أسراهم وعن كل الإجراءات التي اتخذت من أجل إطلاق سراحهم.

تحضيرات جيش التحرير الوطني لمرحلة ما بعد الاستقلال

بعد الاتفاق على وقف القتال بين الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية، باشرنا العمل تحضيرا للمرحلة القادمة ما بعد الاستقلال، فسطرنا برنامجا تدريبيا مكثفا حيث قمنا بتدريب الفيلق العاشر لمدة ثلاثة أشهر في الفترة بين 1962/03/19 إلى غاية 1962/07/05 تمهيدا لدخوله إلى التراب الجزائري، وذلك بهدف حفظ الأمن العام وأمن الأشخاص والممتلكات وأخذ الحيطة من الانزلاقات المحتملة بعد الاستقلال.

في هذه الفترة الانتقالية حكمت الجزائر هيئة تنفيذية مؤقتة تحت رئاسة عبد الرحمن فارس واتخذت من الصخرة السوداء ببومرداس مقرا لها، وهي تضم 9 أعضاء جزائريين و 3 أعضاء أوروبيين، وقد حددت مهام كل واحد منهم بعد مشاورات ومراجعات بين الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية، وهؤلاء الأعضاء هم:

- عبد الرحمن فارس، رئيس المجلس
- روجي روت، نائب رئيس المجلس
- الدكتور شوقي مصطفاوي، مسؤول عن الشؤون العامة
- بلعيد عبد السلام، مسؤول عن الشؤون الاقتصادية
- امحمد شيخ، مسؤول عن الشؤون الزراعية
- جان مينوني، مسؤول عن الشؤون المالية
- عبد الرزاق شتوف، مسؤول عن الشؤون الإدارية
- عبد القادر حصار، مسؤول عن الأمن العام
- حميدو بومدين، مسؤول عن الشؤون الاجتماعية
- شارل كونيق، مسؤول عن الشؤون العمومية
- محمد بن تفتيفة، مسؤول عن البريد
- إبراهيم بيوض، مكلف بالشؤون الثقافية

وتمثلت مهام هذه الهيئة في حفظ الأمن والاستقرار وضبط الأمور الإدارية على مستوى التراب الوطني بمقدرة وكفاءة عالية، ووجدت المساعدة الكاملة من مناضلي جبهة التحرير الوطني لأداء مهامها في مختلف المجالات.

أعدت للاستفتاء العام يوم 1962/07/03 وأنجزته بكفاءة وقدرة في جو من الاستقرار بعيدا عن التدخلات الفرنسية العسكرية وكبح جماح المستوطنين الغلاة، فقد تمكنت من وضع حد لإرهاب المنظمة السرية الإرهابية الفرنسية، وبعد إعلان الاستقلال يوم 1962/07/05 سلمت هذه الهيئة التنفيذية المؤقتة للحكومة الجزائرية الجديدة التي تأسست بعد عدة أسابيع.

16 - أزمة الحكومة المؤقتة مع قيادة الأركان العامة

بدأت فكرة السلطة تسيطر على هيئة الأركان، وذلك ما بدا جليا في تحدي اللجنة الوزارية والحكومة المؤقتة، حيث انتقدت هيئة الأركان بشدة تعيين كريم بلقاسم على رأس وفد التفاوض، وأخيرا جاءت حادثة الطيار الفرنسي في 1961/06/21 النقطة التي كرست القطيعة بين الطرفين، والتي بسببها قدمت هيئة الأركان استقالتها الصورية إلى الرئيس فرحات عباس في 1961/07/15 دون أن تستقيل.

أزمة الطيار الفرنسي

قامت طائرة حربية فرنسية بقصف معاقل الجيش في ملاق (الحدود التونسية الجزائرية)، وتمكن الجيش من إسقاط الطائرة بالأراضي التونسية وتم أسر الطيار من طرف هيئة الأركان، وهو الملازم الأول « فريديريك فايار »، وطلبت الحكومة التونسية تسليمه حالا وبدون شروط، وإلا ستضطر إلى غلق الحدود ومنع عربات جيش التحرير من التحرك في الأراضي التونسية وقطع التموينات، فتدخلت الحكومة المؤقتة وأمر فرحات عباس بتسليم الطيار للحكومة التونسية، ولكن العقيد بومدين ومساعديه رفضوا الأمر لأن الطائرات الاستكشافية للجيش الفرنسي كانت تخترق يوميا الحدود التونسية وألحقت أضرارا بالغة بجيش التحرير الوطني. ولفك النزاع تدخل بن طوبال و بوصوف وتحدثا مطولا مع بومدين مستخدمين حجة أن الثورة في خطر، وأن الإخوة التونسيين سيعلنون في وسائل الإعلام عن تمرد هيئة الأركان عن الحكومة وعن خروجها من مسار القيادة.

وافق العقيد بومدين على إطلاق سراح الطيار وعاد إلى مقر القيادة، وهنا ولأول مرة يخرج الصراع إلى العلن، فقد شنت قيادة الأركان حملة واسعة متهمة الحكومة المؤقتة بإهانة الجيش، كما استدعى بومدين قادة المنطقة الشمالية (جيش الحدود في الجبهة الشرقية)، والتي كان يقودها النقيب عبد الرحمن بن سالم، ومعه كل من الشاذلي بن جديد وعبد الغني و شابو وقادة المنطقة الجنوبية بقيادة صالح

السوفي ونائبه السعيد عبيد، وأقصى الجنوب بقيادة محمود قنز وقائد قوات الحدود « سي دي آف » سي موسى بن أحمد، كما استدعى مسؤولي الفيالق والكتائب الثقيلة ومراكز التدريب إلى اجتماع في مركز التدريب ملاق وأبلغ الجميع باستقالة قيادة الأركان دون أن تستقيل فعليا، شارحا أسباب الاستقالة بالفساد والطمع الذي انتشر بين أعضاء الحكومة، والتلاعب بالأموال بين الوزارات، وكذا الانحراف عن قرارات مؤتمر طرابلس، بالإضافة إلى تنازلات الحكومة بالنسبة لبورقيبة الذي كان – حسب رأيهم – له مطامع توسعية في التراب الوطني، كما شكّل لجنة قيادة جماعية، ويكون الاتصال عبر اللجنة التقنية المشكّلة من زرقيني و هوفمان وبوتلة (من الضباط الفارين من الجيش الفرنسي والمقرّبين من بومدين)، وهؤلاء كانوا يعرفون دائما مكان تواجده.

اجتماع قيادة الأركان في ملاق

ترأست قيادة الأركان اجتماعا طارئا للقادة العسكريين للجهة الشرقية والغربية، وفاجأتهم بقرار الاستقالة (الصورية) الذي قوبل بالرفض من طرف القادة العسكريين، لكن هذه الأخيرة صممت على موقفها. دام هذا الاجتماع يومين وتم شرح أسباب الاستقالة بتفاصيلها من طرف قادة الأركان: هواري بومدين وقايد أحمد وعلي منجلي رحمهم الله جميعا.

إضافة لذلك، تم تحرير رسالة مفصلة توضح الطريق المسدود بين الحكومة المؤقتة وقيادة الأركان وإرسالها للزعماء الخمسة، الذين كانوا في السجن بفرنسا، عن طريق عبد العزيز بوتفليقة، حيث دخل التراب الفرنسي بجواز سفر مغربي، كما توزع أعضاء قيادة الأركان الثلاث على العواصم العربية والأوروبية لشرح موقف قيادة الأركان من الأزمة الحاصلة لأعضاء مجلس الثورة المتواجدين بالخارج، بهدف كسب التعاطف والمساندة على المستويين الداخلي والخارجي.

اجتماع مجلس الثورة بطرابلس من 20 إلى 1961/07/28

خلال هذا الاجتماع قام علي منجلي وقايد أحمد بشن هجوم على الحكومة المؤقتة وخاصة كريم بلقاسم، أما فرحات عباس فقد هوجم من طرف بن خدة، وفي نهاية الجلسة تقرر تعيين بن خدة رئيسا جديدا للحكومة المؤقتة، وأعيد العقيد هواري بومدين لمنصبه معيّنا سعد دحلب وزيرا للخارجية.

مع مجيء بن خدة على رأس الحكومة المؤقتة عمل في البداية على قبول الاستقالة واستبدالهم بأعضاء جدد أكثر انضباطا وطاعة. والواقع أن هيئة الأركان كانت تريد

جس نبض الحكومة المؤقتة واختبار قوة وفعالية سلطتهم، وبعد اكتشاف ضعفها قرروا العودة إلى مناصبهم، وتحت الضغوط، قرر بن خدة قبول تنصيبهم من جديد.

رأت هيئة الأركان عودتها انتصارا لها وواصلت حملتها الدعائية ضد الحكومة المؤقتة، وبرزت إلى السطح أزمة جديدة حينما طلبت هيئة الأركان بتشكيل مكتب سياسي لجبهة التحرير الوطني يكون بمثابة السلطة الفعلية للثورة ويلغي تدريجيا سلطة الحكومة المؤقتة.

هذا الاقتراح رفضه بن خدة وكريم بلقاسم اللذان أصرا على استقالة هيئة الأركان كونها لم تتعظ من الأزمات السابقة.

أزمة صائفة 1962

اجتمع المجلس الوطني للثورة من 22 إلى 1962/02/27 بطرابلس للتصويت على قرار وقف إطلاق النار، وكانت نتيجة التصويت 45 نَعم و 4 لا، وهؤلاء هم قادة هيئة الأركان العامة بومدين ومنجلي وسي سليمان و مختار بوعيزم، وذلك بسبب رفضهم طلب فرنسا حل جيش التحرير الوطني ودخول أفراده كلاجئين من تونس واستبدالهم بقوات محلية من الجيش الفرنسي. تم توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار بإلغاء طلب حل الجيش وبهذا تحقق وقف إطلاق النار.

بعد المفاوضات تم إطلاق السجناء الخمسة، فقامت هيئة الأركان بدعوتهم إلى وجدة لمشاركتهم في احتفال وقف إطلاق النار، وطرح قادة هيئة الأركان لأحمد بن بلة موضوع الأزمة فتحالف هذا الأخير مع هيئة الأركان، وبذلك اكتسب بومدين غطاءً سياسيا له. قام بن بلة وقادة هيئة الأركان بإرسال طلب إلى مكتب المجلس الوطني للثورة لعقد اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية من أجل حل المشاكل والوصول إلى توافق يخدم الدولة التي هي على وشك الولادة، ولكن رفض طلبهم لسببين هما:

أنه بعد المصادقة على اتفاقيات إيفيان لم يعد هناك مبررات للاجتماع خارج التراب الوطني.

- إن القانون الأساسي لمجلس الثورة ينص على عقد اجتماع استثنائي إما بطلب الحكومة المؤقتة أو من ثلثي أعضاء المجلس.

وبعد عدة محاولات ومشاورات مع أعضاء الحكومة المؤقتة وافقوا على عقد الاجتماع بمدينة طرابلس من 05/25 إلى 1962/06/07 في أجواء من الخلافات والصراعات على السلطة، وقد قدم بن بلة برنامجا لإدارة الدولة.

اجتماع المجلس الوطني للثورة بطرابلس من 05/25 إلى 1962/06/07

تم في هذا الاجتماع إعداد برنامج سياسي يحدد سياسة بناء الجزائر الذي عُرف بميثاق طرابلس، ويعد أول دستور للدولة، وقد صودق على هذا الميثاق، وأهم بنوده:

- اعتماد النظام الاشتراكي كنظام سياسي لبناء الدولة الجزائرية
- تغيير اسم جيش التحرير الوطني إلى الجيش الوطني الشعبي
- تحويل جبهة التحرير إلى حزب جبهة التحرير الوطني ورفض التعددية الحزبية
- انتخاب قيادة جديدة لجبهة التحرير الوطني

وعند البدء في مناقشة النقطة الثانية أصبح الجو مكهربا داخل المؤتمر وظهر تياران مختلفان لكل منهما مؤيدون من أعضاء المجلس الوطني للثورة:

التيار الأول يرأسه بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة ويدعمه الباءات الثلاث وبعض قادة ولايات الداخل، حيث اعتبروا أنفسهم القيادة الشرعية للبلاد حتى الاستقلال، ثم تجرى انتخابات شعبية لاختيار القيادة.

التيار الثاني تزعمه قادة هيئة الأركان والزعماء الخمسة ماعدا بوضياف، إضافة إلى قادة بعض الولايات بالداخل.

وبهذا بدأت الأزمة تعرف منعرجا خطيرا بين هيئة الأركان والحكومة المؤقتة التي سعت إلى نقل الخلاف على السلطة من الخارج إلى الداخل للتفوق على هيئة الأركان.

ونظرا لهذا الانشقاق وهذه الظروف المليئة بالصراعات، اجتمع قادة الولايات الثانية والثالثة والرابعة وفدراليتي فرنسا وتونس يومي 24 و 25 جوان 1962 بزمورة، وتبنى الحاضرون عدة نصوص، وأهم القضايا التي طرحوها:

الانشقاق داخل الحكومة

- الأزمة بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان

- غياب السلطة مما جعل الولايات تتصرف لوحدها

- التنديد بتمرد هيئة الأركان التي هدفها الاستيلاء على السلطة والتي اعتبروها حلت صلاحياتها في 1961 لأنها قدمت استقالتها.

إقالة هيئة الأركان العامة من طرف الحكومة المؤقتة

في 1962/06/30 أقيلت هيئة الأركان من طرف الحكومة المؤقتة، وقررت التنديد بكل الأعمال الإجرامية للأعضاء الثلاثة لهيئة الأركان العامة وتجريدهم من رتبهم بالإضافة إلى رفض كل أمر صادر عنهم، ووجهت نداءً لكل الوحدات داخل الوطن وخارجه بعدم الاعتراف بهذه القيادة، كما أمرت بإلقاء القبض على الهواري بومدين والرائد قايد أحمد وعلي منجلي.

وفي هذه الفترة قررت القيادة الفرنسية عدم السماح لجيش الحدود بالدخول عبر خطي شال وموريس، وذلك بالاتفاق مع الحكومة المؤقتة، وفي نفس الوقت ساندت الحكومة التونسية الحكومة المؤقتة في قرارها بعزل قيادة الأركان وأخذت القرار بقطع التمويل والتسليح عن جيش الحدود من داخل التراب التونسي وإلقاء القبض على قيادات الأركان بغارديماو وتسليم أعضائها للحكومة المؤقتة، غير أن قيادة الأركان اكتشفت المؤامرة المدبرة بين الحكومة المؤقتة والفرنسية والتونسية بواسطة مخابراتها فقررت الالتحاق بالتراب الجزائري وانسحبت من التراب التونسي ووصلت إلى بلدية مداوروش بسوق أهراس وأصبح مقرها المؤقت، وهنا تم إنقاذ الموقف بأعجوبة، ولو تم القبض على قيادة الأركان لكان الوضع ازداد تأزما.

رد فعل جيش التحرير بعد قرار إقالة هيئة الأركان

وبهذه المناسبة كنت أترأس اجتماعا لمرؤوسي قيادة الفيلق ليلا أين أبلغني كاتبي الخاص وهمس لي في أذني بأن الحكومة المؤقتة اتخذت قرارا بإقالة قيادة الأركان العامة، والإذاعة التونسية هي التي أذاعت الخبر، فتأكدت من ذلك.

سارعت قيادة الفيلق العاشر إلى مساندة قيادة الأركان وتأييدها لكل قراراتها ومواقفها بإرسال برقية كما نددت بهذا القرار الجائر والتعسفي والذي لا يخدم مصلحة الجزائر المستقلة، وبعد 24 ساعة وصلنا الرد بالبريد العادي من طرف قيادة الأركان بواسطة موزع البريد الممتطي الدراجة النارية، أين أعلنت قيادة الأركان عن أسماء الوحدات التي ساندت قيادة الأركان العامة ونددت بموقف الحكومة المؤقتة وكانت كالتالي في بادئ الأمر :

الفيلق العاشر كان من المؤيدين الأوائل، ثم الولاية الأولى فالفيلق التاسع والثلاثون.

وبعد مرور الوقت تم تأييد قيادة الأركان العامة من طرف كل الوحدات الموجودة على الحدود الشرقية والغربية والولاية الأولى والسادسة والخامسة، أما الولايات التي كانت ضد قيادة الأركان فهي الولاية الثانية والثالثة والرابعة.

17 - الخلافات بين إخوة السلاح بعد توقيف القتال

بعد الإعلان عن استفتاء الاستقلال في 1962/07/03 دخل بن خدة إلى العاصمة، و بن بلة إلى تلمسان والتحق به بومدين و فرحات عباس، وبعدها تم الإعلان عن تشكيل المكتب السياسي المشكل من خيضر وبن بلة و بيطاط ومحمدي سعيد، وقد اعترف بن خدة بسلطة هذا المكتب السياسي معلنا نقل السلطات والصلاحيات من الحكومة المؤقتة إلى المكتب السياسي وأعلن استقالته. كما تشكلت مجموعة تيزي وزو بقيادة كريم بلقاسم و بوضياف وآيت أحمد الذين رفضوا الاشتراك في المكتب السياسي بدعم من محمد أولحاج قائد الولاية الثالثة.

وضع جيش التحرير بالحدود الشرقية في الفترة الانتقالية

بالنسبة للفيلق العاشر، فقبل دخولنا بـ 24 ساعة للتراب الوطني وفي 1962/07/04 بعثنا بدورية عسكرية لاكتشاف واستطلاع ممرات الدخول للتراب الوطني برئاسة الملازم مصطفى يعلاوي قائد الكتيبة الأولى بالفيلق العاشر، وهذه الدورية متكونة من ستة أفراد لغرض اكتشاف الممر لدخولنا اليوم التالي للتراب الوطني عن طريق بلدية رمل السوق، فاتجهت هذه الدورية من مقر الفيلق إلى رمل السوق ودخلت على الخط المكهرب شال عن طريق مسلك متعودين على عبوره واتجهت إلى بلدة رمل السوق أين اكتشفت هذه الدورية من طرف المواطنين وسارعوا بالالتفاف حولها وفرحوا واحتفلوا بأول دورية في عهد الاستقلال.

وبعد وهلة اكتشفت القوات الفرنسية هذه الدورية وكونت دورية عسكرية من القوات الفرنسية واتجهت على سبيل السرعة على متن سيارة من نوع « جيب »، وكان بها أربعة عساكر يترأسهم رائد من الجيش الفرنسي، اتجهت نحو دورياتنا وقام الرائد بمساءلة الدورية عن سبب مجيئنا لهذا المكان، فرد عليه مصطفى يعلاوي قائد الدورية أنه يقوم بعملية استطلاع قبل دخولنا لأرض الوطن في 1962/07/05، فطلب منه الرائد الفرنسي إخلاء المكان قائلا له: « اليوم اليوم وغدا غدا ».

وفي الليل بدأنا نحضر أمتعتنا للدخول للوطن، وتم تحديد قطاع العمليات المستقبلي من طرف قيادة الأركان وهو مدينة القالة، وبالمناسبة التحق بنا بعد المغرب محمد بن أحمد عبد الغني نائب قائد المنطقة الشمالية وقال لي بالحرف الواحد أنه سيقضي الليلة بالفيلق العاشر وسيرافقنا للدخول للتراب الوطني، وفي الصباح حوالي الساعة الثامنة أمرت الفيلق بالاتجاه لرمل السوق وبعدها للقالة، فاتجهنا من عديسة إلى رمل السوق ووصلنا إلى خط شال المكهرب بجوار رمل السوق فاعترضنا ملازم بالجيش الفرنسي مصحوبا بدورية عسكرية وتكلم مع مصطفى يعلاوي الذي كان في مقدمة الفيلق وسأله عن القائد وعن مكان التوجه، فرد عليه مصطفى يعلاوي أنه يوم الاستقلال ومن حقنا الدخول إلى ترابنا الوطني، فقال له الفرنسي: « تم الاتفاق بين حكومتكم المؤقتة والجنرال ديغول بعدم السماح لكم بالدخول »، فجاءني يعلاوي وقال لي ما قاله الضابط الفرنسي، فأعلمت بدوري عبد الغني محمد بن أحمد الذي قام بإرسال برقية عاجلة إلى قيادة الأركان يعلمهم بالموضوع، كما طبق هذا الأمر على كامل الوحدات المتواجدة على الحدود، فجاءنا الرد بعد الساعة الواحدة ببرقية موزعة توزيعا عاما على كل الوحدات من طرف قائد الأركان يطلب من كل الوحدات الموجودة على خط شال: « من هذه الساعة إلى غاية الساعة الرابعة، إذا لم يصلكم قرار جديد من طرف الحكومة الفرنسية فآمركم بالدخول إلى التراب الوطني بالقوة والدخول إلى الأماكن المحددة ».

ومن حسن حظ الجميع، شاهدنا أمامنا على الساعة الثالثة دورية فرنسية متكونة من فصيلة متجهة نحونا، ونادت على أحد الجنود الذين كانوا أقرب للخط وطالبتهم بالحديث مع يعلاوي، حيث قال له الملازم الأول من الجيش الفرنسي أنه في هذا اليوم عقد اجتماع لمجلس الوزارة الفرنسي تحت رئاسة الجنرال ديغول بالإليزي، وقرر هذا المجلس الابتعاد عن الشأن الجزائري، وسمحت لنا بالدخول تحت التحية الفرنسية بالسلاح، واتجه الفيلق العاشر إلى رمل السوق ثم القالة.

عند وصولنا للقالة وزعت كتائب الفيلق في الأماكن الاستراتيجية للقيام بمهمة حفظ الأمن بصفة عامة، وفي ذلك الوقت لم تكن قوات الأمن موجودة (قوات الدرك والجندرمة) ماعدا وحدات الجيش.

اتجهت بصحبة محمد بن أحمد عبد الغني نائب المنطقة الشمالية إلى الفرين جنوب غرب القالة حيث تتواجد هناك وحدة عسكرية تابعة للقوة المحلية الفرنسية المشكّلة أثناء المرحلة الانتقالية تحت قيادة عبد الرحمن فارس الذي كلف باتفاق مشترك بين الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية بعد اتفاقيات ايفيان بتسيير المرحلة

الانتقالية. وعند وصولنا للفرين قدمنا أنفسنا على أننا قادة وحدات جيش التحرير الموجودة بالقالة وطلبنا التحدث مع مسؤول القوة المحلية التي كانت تحت قيادة النقيب ونواب له والمتكونة من كتيبة مشاة مجهزة بالأسلحة الخفيفة والمركبات، وفعلا استقبلنا مسؤول هذه الوحدة وطلبنا منه تسليمنا السلاح والعتاد الذي بحوزته فاستجاب لهذا الأمر وتم تسليمها في تلك الليلة، أما أفراد هذه الوحدة فطلبنا منه تسريحهم للالتحاق بذويهم، غير أن محمد عبد الغني أراد أن يقوم بتجربة فقرر الاحتفاظ بضباط هذه الوحدة للاستعانة بخبرتهم كمستشارين.

صراع الولايات

بقينا في القالة للقيام بالمهام المناطة بنا لغاية صدور أمر من قيادة الأركان بتنقل الفيلق العاشر وفيالق أخرى داخل مناطق أخرى من الوطن، فاتجهنا غربا مارين بالطريق: الفرين، عين عسل، الطارف، بلاندة، بن مهيدي، ووجدنا حاجزا عسكريا على خط موريس من وحدات الولاية الثانية فأوقفونا وسألونا عن مكان اتجاهنا، فقلنا لهم أننا متجهون إلى مدينة بوسعادة مارين بعنابة وقسنطينة وسطيف ومسيلة، فمنعونا من مواصلة مسارنا بمبرر تنفيذ أوامر صارمة من قيادة الولاية الثانية بعدم السماح لنا بعبور خط موريس والدخول إلى المناطق المذكورة سابقا، فمكثنا هناك مدة شهرين وأصبحت الأمور جد معقدة لأن وحداتنا ليس لها أماكن للإيواء والمبيت. وبفضل ذكاء قيادة الأركان وتخطيطها المحكم لقيادة الأركان التي كانت دائما تتفادى إراقة الدماء والالتجاء للطرق السلمية في معالجة المشاكل فيما بيننا، كانت هذه الخطة الحكيمة المسطرة من طرفها حيث بعثت وحدات بطرق سرية داخل الولاية الثانية من أبناء الولاية الذين مارسوا مسؤوليات قبل خروجهم إلى الخارج ووزعتهم داخل الولاية الثانية لإقناع المجاهدين بها وتوزيع المناشير بعدم الاصطدام مع إخوانهم في السلاح، وأن جيشنا جيش واحد ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يتصادم ويقتتل فيما بينه، ولا بد من إيجاد حلول سلمية ترضي جميع الأطراف بدون عنف أو قتال.

نجحت الوحدات في مهمتها وأقنعت مسؤولي الولاية بالانسياق للأوامر حتى تتفادى التناحر فيما بين وحدات الجيش والانضمام لقيادة الأركان العامة والتمرد والعصيان ضد قادة هذه الولاية، وبالتالي تم تغيير الوضع على مستوى مدينتي قسنطينة وعنابة وأصبحت هذه الولاية تساند قيادة الأركان بفضل مساعدة نائب قائد الولاية الثانية برجب المدعو العربي الميلي.

قررت قيادة الأركان إرسال هذه الفيالق إلى بوسعادة على أساس التوجه فيما بعد للعاصمة الجزائرية على المحور التالي: عين حجل - سيدي عيسى - سور الغزلان - تابلاط

- الأربعاء - الجزائر العاصمة، وكانت هذه القوات تحت قيادة العقيد طاهر الزبيري في بوسعادة.

عند وصولنا إلى بوسعادة قضينا الليلة هناك واجتمع أعضاء القيادة مع المسؤولين المساندين لقيادة الأركان، وانتشرت وحداتنا في انتظار استئناف المسار إلى العاصمة.

وبهذه المناسبة أقام أحمد بن بلة وعضو المكتب السياسي الذي شكل بتلمسان مأدبة عشاء للمسؤولين السياسيين والعسكريين الحاضرين بفندق القايد ببوسعادة، ووجه كلمة قصيرة للموجودين ينبههم أن الجزائر ليست كالكونغو وليست كطنقة وإنما هي جزائر الثورة ستبقى موحدة وقائمة بفضل جيشها المخلص، وأصدر أوامره للفيالق الموجودة بالاتجاه إلى العاصمة لتطهيرها من العناصر المعارضة والسهر على الأمن والنظام العام قبل الشروع في بناء مؤسسات الدولة الجزائرية الحديثة.

اتجهنا إلى الجزائر العاصمة عن طريق عين حجل وقضينا الليلة هناك، غير أنه في الفترة الليلية تلقينا وابلا من قنابل الهاون أطلقت من طرف وحدات الولاية الثالثة والرابعة والتي كانت تنصب كمائن على يمين ويسار الطريق المتجه إلى الجزائر العاصمة مع غلق الطريق بواسطة شاحنات موضوعة على جسر بجوار عين حجل، إلا أن هذه القنابل العشوائية لم تصب هدفها، وفي الصباح أمرني العقيد الطاهر الزبيري بالتحرك بالفيلق اتجاه الجزائر، وقد صادفتنا غرب عين حجل كمائن منصوبة على اليمين وعلى اليسار، فعند اقترابنا منهم أشهروا أسلحتهم علينا بدون إطلاق النيران ومنعونا من العبور.

حاولت معرفة سبب التوقيف فتلقيت الرد على أنهم ينفّذون أوامر قادتهم، فحاولت إقناعهم لكن دون جدوى وصمموا على توقيفنا، أما الطاهر الزبيري فناداني وأمرني بالعبور وعدم التفاوض معهم، قائلا: « أنا أرسلتك للعبور وليس كمرسول للتفاوض، وما عليك إلا اجتياز الخطوط الدفاعية المقامة ». أمرت الفيلق برفع مواسير السلاح للأعلى والتقدم للأمام لتجنب الاشتباك، وعبرنا متجهين إلى سيدي عيسى.

لكن الأمر لم يكن كذلك في سيدي عيسى، فقد وجدنا كمينا آخر في انتظارنا كان منصبا في سلسلة جبال من الحجارة، وقد كنت في مقدمة وحدات الفيلق راكبا سيارة « جيب » وبجانبي كاتبي الخاص والعامل على الجهاز اللاسلكي وجندي حارس، ففوجئنا جميعا بإطلاق النيران من كل الجهات والتي نتج عنها وفاة حوالي 10 جنود وجرح 16 منهم، فما كان علينا إلا النزول والانتشار في وضع قتالي وبدأنا بالرمي المركز عليهم حتى لاذوا بالفرار.

استنكر المواطنون هذه الأحداث الأليمة بشدة كونهم عانوا الكثير من الحرب وإراقة الدماء وقالوا لنا : « سبع سنين تكفي، لا نريد حربا بين الإخوة ».

مكثنا بسيدي عيسى إلى غاية وصول ضابط من الولاية الثالثة وضابط من الولاية الرابعة على أساس التفاوض لوقف الاقتتال، حيث بدأ الاجتماع في مقر البلدية من الساعة الرابعة مساءً إلى الرابعة صباحا، لكن دون جدوى.

انطلقنا من سيدي عيسى متجهين نحو سور الغزلان، وبرفقتنا فيلق من الولاية الأولى بقيادة بن عباس محمد الصالح على رأس قافلته (كان قائدا لمنطقة بولاية الأوراس) ممتطيا مركبة من نوع « جيب »، إلا أنه بعد وصولنا إلى المكان المسمى واد الجنان (المكون من مرتفعات جبلية من الجهتين والكثير من المنعرجات)، وجدنا في انتظارنا كمينا آخر منصبا بالمرتفعات، وعندما صرنا على مقربة منهم بدأوا بالرمي المكثف على قواتنا مما أودى بحياة قائد القافلة بن عباس محمد الصالح، وتم قتل وجرح عدد كبير من هذا الفيلق فنزلنا من المركبات وانتشرنا يمينا وشمالا متقدمين إلى هؤلاء، وقد احتد القتال بيننا فأسرنا فيلقين من قواتهم وانسحب فيلقان للخلف، وعند التحقيق مع أفراد هذه الفيالق المأسورة اتضح لنا أنها جندت اعتبارا من تاريخ 1962/03/19 وتم تسليحها بسلاح القوات المحلية التابعة لرئيس الهيئة الانتقالية عبد الرحمن فارس.

انتهى الاقتتال وقضينا الليلة هناك بواد الجنان في الهواء الطلق، ثم استأنفنا سيرنا متجهين نحو سور الغزلان، وبعد وصولنا إلى هذا المكان لاحظنا طائرة مروحية تحوم في السماء ونزلت بالقرب من الوحدات، كان على متنها كل من أحمد بن بلة عضو بالمكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني، والعقيد محند ولد الحاج قائد الولاية الثالثة، والعقيد حسان خطيب قائد الولاية الرابعة.

قام هذا الوفد بزيارة الدائرة والمستشفى التي كانت مملوءة عن آخرها بالجرحى، الأمر الذي أثر في نفسية أحمد بن بلة - رحمه الله - وأصدر أوامرا صارمة بوقف الاقتتال، وبعدها اصطحب العقيد الطاهر الزبيري إلى بوغار لأخذ العقيد شعباني معهم متجهين نحو العاصمة لمواصلة المفاوضات حول هذا الموضوع ألا وهو وقف الاقتتال والصراع بين الولايات.

في هذه المرحلة كان العقيد هواري بومدين موجودا ببوسعادة وكان يشرف على تسيير المحاور الثلاثة :

المحور الأول بقيادة العقيد الطاهر الزبيري، انطلق من الطريق الوطني عين حجل، الأربعاء، الجزائر العاصمة.

المحور الثاني بقيادة كل من العقيد أحمد بن الشريف والعقيد شعباني، والذي انطلق من بوغار، البرواقية، المدية، البليدة، الجزائر العاصمة، والمشرف عليها شعباني,

المحور الثالث بقيادة القايد أحمد نائب قائد الأركان العامة والذي انطلق من مازونة، شلف، خميس مليانة، البليدة، الجزائر العاصمة.

تجاهل أحمد بن بلة العقيد هواري بومدين وتقريبا همشه ولم يستشره بتاتا في شأن المفاوضات، خاصة بعد إصدار أمر للقوات الموجودة ببوغار بالتحرك اتجاه الجزائر عن طريق البرواقية والبليدة، فتحركت هذه القوات دون علم بومدين، وعرف فيما بعد بتحركها، فقرر بدوره الالتحاق بهذه الوحدات على جناح السرعة برفقة النقيب سليمان هوفمان الذي كان يقود السيارة من بوسعادة، بوغار، المدية، ووصلا إليها قبل دخولها إلى البليدة، وقادها ودخل بها إلى البليدة وبقي في العاصمة وشارك في المفاوضات، وهنا بدأ يظهر الخلاف الخفي الذي كان يدور بين بومدين وبن بلة إلى غاية 1965.

أما بخصوص الفيلق العاشر فقد أمرنا قائد الأركان هواري بومدين – رحمه الله – بالتقدم، ضاربا بأوامر بن بلة عرض الحائط. وتطبيقا لأوامره، تقدم الفيلق العاشر من سور الغزلان إلى المدخل الشرقي لتابلاط، وفجأة التحق بنا قايد أحمد – رحمه الله – نائب قائد الأركان، وأمرنا بالتوقف عن التقدم والانتشار شرق تابلاط والمكوث هناك إلى غاية صدور أوامر جديدة من طرف قيادة الأركان. مكثنا هناك مدة شهر كامل في خيم فردية وفي ظروف جد قاسية لانعدام أدنى شروط الحياة من كهرباء وماء ومأوى، منتظرين صدور أوامر جديدة من خلال نتائج المفاوضات التي كانت لا تزال متواصلة بين أطراف النزاع بفيلا جولي للوصول إلى قرار نهائي للحد من الاقتتال نهائيا.

تمثل الاتفاق الأول من المفاوضات على أن يسمح لعدد لا يتجاوز ثلاثة آلاف جندي، متكون من قوات الجيش الوطني الشعبي من الولايات الست وجيش الحدود، بالدخول للجزائر العاصمة. كما تم الاتفاق على أن تقوم هذه القوات باستعراض عسكري مشترك في ملعب بولوغين بالجزائر العاصمة لإظهار حسن النية في وقف الاقتتال والتصالح تطبيقا للاتفاق الذي وقع بين الأطراف المتنازعة. تلقيت بصفتي قائد الفيلق العاشر تعليمة من قيادة الأركان، مفادها التحرك نحو الجزائر العاصمة منطلقا من تابلاط عن طريق عين حجل، بوقزول، بوغار، حيث ركبنا القطار متجهين لمدينة البليدة.

وقبل وصولنا إلى البليدة، وتحديدا في مدينة شفة التي لم نعرفها من قبل، انبهرنا بجمال المنطقة ومناظرها الخلابة ومنابع مياهها المتدفقة من أعالي الجبال راسمة منظرا رائعا مريحا للنفس، كما استمتعنا للنظر إلى المروج الخضراء وأشجار البرتقال ورائحة عطر روجي ڤالي الذي كان يصنع بسهول متيجة من طرف المعمرين. وعند وصولنا للبليدة، تم استقبالنا بحفاوة وحرارة منقطعة النظير من طرف

المواطنين والمواطنات، فرحين مهللين، كما كُرّمنا تكريما كبيرا بأشهى ومختلف الأطباق من مأكولات وحلويات وقهوة وشاي. بعد كل هذا، انتشرنا على مستوى الدائرة حيث مكثنا بالمدارس في انتظار إخلاء الثكنات من طرف القوات الفرنسية التي كانت لا تزال موجودة بها.

فيما يخص قطاع عمليات الفيلق العاشر فقد تم تعيينه بدائرة البليدة وكان محددا كالآتي :

من الجهة الشرقية للبليدة : الصومعة، بوينان، بوڤرة، الأربعاء، بابا علي، بير توتة، المرجة، الشبلي، بوفاريك، بني مرّاد.

من الجهة الغربية الشمالية: الشفة، موزاية، العفرون، حجوط، حمر العين، بوسماعيل، فوكة 1 و2، القليعة.

من الجهة الجنوبية : الشريعة.

أما مهمتنا على مستوى القطاع العملياتي فكانت كالآتي :

- حفظ الأمن العام بالحفاظ على أرواح المواطنين وممتلكاتهم.
- القيام بحراسة المنشآت الحيوية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية، وذلك بتخصيص وحدات لحراسة الدائرة والبلديات التي كانت تتعرض لابتزازات واعتداءات من حين لآخر من طرف المسلحين.

للعلم في ذلك الحين لم تكن هناك قوات للشرطة ولا للدرك ماعدا بعض محافظات الشرطة التي كان بها بعض الشرطيين الذين لا تتجاوز صلاحياتهم حدود المقر، نظرا لماضيهم المشكوك فيه، فهم من مخلفات القوات الفرنسية وكانوا تقريبا في حالة جمود، ولذلك حل الجيش محل هذه الوحدات.

أما المهمة الثانية للجيش فهي بناء حاجز أمني حول العاصمة حيث يمتد القطاع العملياتي من الجهة الجنوبية والغربية للعاصمة، فكانت مهمتنا تغطية المناطق الجنوبية والغربية، بتنصيب حواجز رقابة وتفتيش في مفترق الطرق والمسالك والممرات التي تؤدي إلى الجزائر العاصمة من الولايات الداخلية والعكس ليلا ونهارا.

أما القوات التي دخلت إلى العاصمة فكانت تقوم بعمليات تطهير وتفتيش عن العناصر التي كانت تقوم ببعض الأعمال غير المشرفة وغير اللائقة بمقام الجيش الوطني مستغلين نفوذهم باللباس العسكري والسلاح الذي كانوا يحملونه، وهذه العناصر كانت تقوم بعمليات سطو بالقوة على المساكن التي تركها المعمرون، وعمليات سرقة لكل المؤسسات من بنوك ووكالات سيارات وشركات تأمين ومحلات تجارية، فقد

كانت تستولي على السيارات من مالكيها ومن الوكالات، والتي كانت تعبّأ بكل البضائع والمواد الغذائية والمجوهرات والأموال.

وبعد تضايق هذه العناصر من عمليات التطهير والتفتيش من طرف الجيش، بدأت تتجه إلى ولاياتها الداخلية على متن تلك السيارات المعبأة بمختلف البضائع، لكن قواتنا كانت لها بالمرصاد حيث كانت تقيم حواجز أمنية، فتوقفها وتفتشها، ومن الملاحظ أن أغلب هذه العناصر كانت مجهولة الهوية، تقود السيارات بدون بطاقة رمادية أو باستعمال اسم آخر، ولم تكن تحمل رخصة سياقة ولا حتى بطاقة تعريف.

فكنا نحجز كل هذه البضائع والممتلكات بما في ذلك السيارة والسلاح ونفرج عن من استولى عليها، لأن صلاحيتنا لا تتجاوز إلا التوقيف والتجريد من البضائع المسروقة، أما سجنه ومحاكمته فترجع إلى قوات الأمن الشرعية والتي ستتكون فيما بعد.

كنا نوقف السيارات بمرأب ببوفاريك، أما السلاح والأموال والمجوهرات والأغراض الأخرى فكانت تُجمع على مستوى الفيلق وتُحوَّل إلى ثكنات علي خوجة مساءً، حيث كانت قيادة العمليات بقيادة محمد بن أحمد عبد الغني تتكفل بها هناك. كما كانت مهمة الجيش أيضا القيام بحراسة محطات الكهرباء والسدود وهوائيات الإرسال التابعة للتلفزة والإذاعة بالشريعة. وبعد أكثر من شهر من تطبيق هذه المهام بالبليدة، انسحبت القوات الفرنسية من وسط المدينة، وأخلت الثكنة المسماة ثكنة بيزو، فحللنا محلها وأخذنا أماكننا بها، أما السلطات الفرنسية فغيرت المقر إلى باب السبت البليدة أين تتواجد قنصليتها، المكان الذي كان غير بعيد عن الثكنة، ولإجراءات أمنية طلبنا من القوات الفرنسية إخلاء المكان، فتم إخلاؤه وأصبح فيما بعد مقرا دائما لقيادة الفيلق، ومن خلاله ممارسة عملنا من هذا المكان.

بصفة عامة، هذا العمل الذي كانت تقوم به القوات سواء داخل العاصمة أو حولها، كانت ترمي به إلى توفير الشروط الموضوعية للهيئات السياسية لبناء المؤسسات الشرعية بعد استتباب الأمن والاستقرار، وبالفعل كان الأمر كذلك فقد استقرت الأمور، لكي تقوم هذه الهيئات بانتخاب مجلس تأسيسي، ثم صياغة الدستور الذي يضمن الاستقرار ويحدد الصلاحيات للهيئات المستقبلية للدولة الجزائرية، كما ينتخب فيما بعد هذا الإجراء بمجلس وطني شعبي، والذي تنبثق عنه حكومة تسيير الشأن العام الجزائري، وتبدأ بتنصيب الهيئات الشرعية للدولة الجزائرية من الهيئات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية، وتكوين أقاليم إدارية وتعيين موظفيها وإنشاء جهاز الأمن الوطني من الشرطة والدرك الوطني لحفظ الأمن، وفي النهاية انتخاب رئيس للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وهكذا تستمر الدولة في بناء مؤسساتها

وجيشها الذي كان ملتزما بالأمن والاستقرار لكي تعمل الحكومة في ظروف أمن وتخدم وترجع بالخير والرخاء للمواطن.

في شهر ثورة نوفمبر المباركة، قمنا بتنظيم استعراض عسكري على مستوى دائرة البليدة، شارك فيه الفيلق بكامله بالإضافة إلى المنظمات الجماهيرية من طلبة وعمال وفلاحين وكشافة ومجاهدين. ومر هذا الاستعراض على أحسن ما يرام وزادنا ثقة وتضامنا والتحاما مع المواطنين، وتم الإشراف على الحفل بقيادتي وحضور الأخ جلول ملايكة ممثلا لحزب جبهة التحرير رحمه الله.

18 - قرار زيارة الأهل بعد الوضع الجديد

في هذه الفترة، وبعد رجوع الأمن والاستقرار للبلاد، قررت زيارة الأهل الذين انقطعت صلتي بهم منذ سنة 1955، وكان آخر لقاء بيننا عند توديع الوالد رحمه الله في محطة القطار بمدينة شلف، ومنذ ذلك الحين انقطعت بيننا كل الأخبار، وفي الحقيقة أنا من لم يكن يريد تزويد العائلة بمستجدات أخباري خوفا عليهم من مساءلة وانتقام القوات الفرنسية.

في بداية وقف القتال أرسلت لهم صورة لي برفقة زملائي وتركت رمزا بها لأعرّفهم بنفسي، ولكي يتأكدوا أني على قيد الحياة. بعد مضي أربعة أشهر عن إرسال الصورة قامت الوالدة رحمها الله بعملية بحث عن طريق الإذاعة تطلب من كل شخص يعرفني أو رآني أن يتصل بها لإعلامها بأخباري.

وبعد استتباب الأمن بصفة نهائية، قررت زيارة الأهل برفقة ضابط صف من الولاية الرابعة والذي رافقني إلى غاية مدينة شلف، فاخترت إحدى السيارات المحجوزة في مرأب بوفاريك، وانطلقنا من البليدة على الساعة التاسعة ليلا اتجاه شلف، فوصلنا في منتصف الليل.

وعند دخولنا لمدينة شلف أرشدت الضابط إلى شاليهات بنيت بعد زلزال الأصنام 1954 والتي كان يسكنها أبناء أعمامي، فوصلنا إلى أحدها وقرعنا على الباب، فخرج أحدهم والذي فرح برؤيتي واستقبلني استقبالا حارا برفقة الضابط، كما حضرت كل العائلة الكريمة التي كانت تظهر عليها علامات الفرح والسرور بوجودي بينهم، وبعد تبادل أطراف الحديث علمت أن الوالد قُتل – رحمه الله – من طرف الاستعمار، وأن الوالدة – رحمها الله – موجودة ببوقايد.

استأنفت السفر برفقة ابن عمتي أحمد هباز بسيارته من نوع سيمكا بـ 60 وأنا أسوق السيارة التي جئت بها، أما الضابط فقد رجع أدراجه عن طريق القطار إلى البليدة. ونظرا إلى أن ابن عمتي يعاني من نقص النظر فقد انحرفت سيارته في أحد الشعاب دون حدوث إصابة، مما جعلنا نواصل المسير في سيارتي، ووصلنا على الساعة

الثانية صباحا إلى سكن الوالدة – رحمها الله– فسبقني ابن عمتي وقرع على الباب وقال لها أن معه مفاجأة لها، فقالت له: « خير... خير؟ »، فأخبرها أني برفقته، ومن شدة فرحتها سارعت اتجاهي حتى سقطت أرضا وأصيبت بجراح بسبب قارورة زجاجية مكسورة كانت هناك، ولكن الدماء المتهاطلة لم تحدها من معانقتي والتعبير عن غبطتها، فقد كانت لحظات تاريخية جد مؤثرة ومن أجملها في حياتي. دخلنا البيت وتبادلنا أطراف الحديث عن كل شيء وما جرى، وبقينا كذلك إلى غاية طلوع شمس الصباح. وبما أن وجودي بين العائلة كان الحدث الهام فقد علم كل الأقارب والأصدقاء بخبر عودتي ؛ ففرحوا كثيرا وحمدوا الله على عودتي حيا منتصرا، وقرروا تكريمي بتنظيم حفل كبير احتفالا بعودتي بينهم، حفلا يجمع عرش بني هندل وعرش بني بوخنوس وعروش السواعد ومتيجة.

لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد علم خالي لعبوب عبد القادر – الذي كان مسبلا، والد الشهيد لعبوب أحمد – وخالي لعبوب محمد المدعو نور الدين – الذي كان جنديا بالثورة – (أما بقية الأخوال فقد استشهدوا في الثورة) علما بقدومي فاستنكرا وجودي ومنعا المواطنين من إقامة الحفل، ونظرا لكونهما مؤثرين في المنطقة فقد أقنعا المواطنين والجنود بادعائهما أنني كنت أقاتل بصفتي عضوا في جيش الحدود ضد جنود الولاية الرابعة، فاعتبراني خائنا وجزائي القتل حسب قناعتهما.

في هذا اليوم وبعدما وصلني خبر المكيدة، راودتني فكرتان: تتمثل الأولى في قتل كل من تسول له نفسه الاقتراب مني، وفكّرت بالخروج من المنزل عند بداية الظلام وأخذ مكان استراتيجي لمباغتة كل من تسول له نفسه القيام بهذا العمل الشنيع، أما الفكرة الثانية فهي الرجوع إلى العاصمة تفاديا لحوادث لا تُحمد عقباها، وكان القرار الثاني هو الصائب، فقامت أمي بتحضير أمتعتنا ومرافقتي إلى العاصمة إلى بيت أخي الأكبر الهاشمي، حيث قضينا الليلة هناك.

وفي اليوم الموالي قرر أخي الأكبر الهاشمي وأخي الأصغر رابح التوجه إلى السوق لاقتناء بعض الأغراض، فأوقفنا سيارتينا أمام مقهى تنتوفيل وقمنا بشراء ما نحتاجه، وعند عودتنا إلى السيارة فوجئنا بوجود رجال الشرطة يطوقون السيارة التي كنت أقودها، وطلبوا مني تقديم وثائقها فقدمت لهم أمرا بالإجازة ممضيا من طرف محمد بن أحمد عبد الغني قائد منطقة العمليات بالعاصمة وكذلك البطاقة الرمادية لمالك السيارة، واتضح فيما بعد أنها ملك لمعمّر مقتول وأنها تحت الرقابة.

اتصل رجال الشرطة بمحافظ الشرطة بشارع عميروش حاليا وأعلموه بما حدث، وأخذوني إليه فقدمت له الوثائق وشرحت له قضية السيارة وغرض استعمالها، فلم

يقتنع محافظ الشرطة بكلامي وقام بإهانتي وشتمي، فطلبت منه الاتصال بمحمد بن أحمد عبد الغني قائد منطقة العمليات بالعاصمة، فلم يستجب لطلبي بل زاد من إهانتي مستعملا كلاما قبيحا غير أخلاقي، مما أثار غضبي وجعلني أهدده إما بمكالمة عبد الغني أو أن يحمل نتائج قراره.

لم يستمع لكلامي وزاد تعنتا مما أجبرني على شهر السلاح في وجهه، مجهزا الطلقة الأولى داخل المصورة، الأمر الذي جعل الشرطيين المراقبين يفران خوفا على حياتهما، أما هو فاختبأ تحت المكتب فقمت بركله حتى استجاب لطلبي رغما عن أنفه واتصل بعبد الغني الذي طلب منه إرسالي برفقة الشرطة والسيارة إلى علي خوجة، حيث قام عبد الغني باسترجاع السيارة واستبدالها بأخرى، كما تم إنهاء مهام محافظ الشرطة بالدائرة السادسة وطرده نهائيا من هذا السلك بعد يومين من الحادث.

المحاولة الانقلابية داخل الفيلق العاشر أثناء زيارة الأهل

أثناء غيابي لزيارة الأهل، نظم جنود وضباط الفيلق العاشر محاولة انقلاب وتمرد وعصيان داخل الفيلق، مبررين موقفهم بأني منعتهم من أخذ حقهم في السكن لإيواء عائلاتهم في السكنات الشاغرة التي تركها المعمرون، كما طالبوا بتحويلي من الفيلق العاشر وتعيين قائد آخر لتسييره، فما كان علي إلا تبليغ قيادة الأركان بالعاصمة بهذا الحدث وتبرير موقفي ووجهة نظري بأننا كجيش وطني منظم فمهمتنا هي استتباب الأمن والنظام في البلاد ولا بد أن نكون مثالا وقدوة يقتدي به المواطن وليس الاستيلاء على السكنات والمحلات. قامت قيادة الأركان بإرسال لجنة لتقصي الحقائق والتحري في الموضوع، وكانت تتكون من عبد الرزاق بوحارة و مختار كركب وخالد نزار.

فجاؤوا وأجروا تحقيقا لمعرفة أسباب هذا العصيان ومطالبهم، فقدموا لهم السبب الحقيقي وهو مطالبتهم بحقهم في الاستيلاء على سكنات على غرار المواطنين أو الاستحواذ على بعض المحلات التجارية التي كانت مغلقة بعد مغادرة المعمرين. نقلت اللجنة تقريرا مفصلا لقيادة الأركان والتي بدورها رفضت مطالب هؤلاء واعتبرتها غير مشروعة وطلبت مني استئناف عملي على رأس هذا الفيلق.

19 - التكوين الأكاديمي الحربي

استأنفت العمل لفترة معينة على رأس الفيلق العاشر، وبعدها تم نقلي إلى المجموعة التي تم تكوينها بمدينة المدية بقيادة عبد المالك قنايزية كنائب له، فتركت الفيلق نهائيا، ثم طلبت من وزارة الدفاع السماح لي بالالتحاق بالكلية الحربية المصرية بعدما علمت بالاتفاق الذي جرى بين وزارة الدفاع الجزائرية والمصرية لتكوين الضباط الجزائريين الذين كانوا في الثورة، وذلك لترقية معارفهم، فقابلت الوزارة الطلب بالإيجاب.

تربص مصر

توجهنا إلى مصر وكنت على رأس هذه البعثة العسكرية كمسؤول عنها كل الفترة التدريبية، وكانت مكونة من 145 ضابطا. دامت الدورة مدة سنتين، سنة ونصف في الكلية الحربية تلقينا من خلالها تدريبات في العلوم العسكرية في المجال العسكري، بالإضافة إلى إدراج برنامج خاص لتعليم اللغة العربية، واستعانت بأساتذة دكاترة من جامعة عين شمس بالقاهرة، وقد استفدنا من هذا التكوين جيّدا وأصبحت هذه الدفعة مرتفعة المستوى في اللغة العربية، ثم أضيفت ستة أشهر حيث وزعت البعثة للتخصص على مدارس خاصة بالدبابات، المدفعية، المدفعية المضادة للطائرات، الهندسة، سلاح الإشارة، ودامت هذه الدورة ستة أشهر.

نهاية تربص مصر

بعد نهاية التربص عدنا إلى الوطن والتحق كل منا بمجال السلاح المتخصص فيه، واتجهت إلى باتنة حيث أنشئت مدرسة للدبابات روسية الصنع بقيادة الرائد محمد بوتلة والمشرف على التدريب ضباط رفيعو المستوى وأساتذة روسيون. وبعد التدريب عُيِّنت على رأس قيادة فيلق الدبابات من نوع ت 34 الذي أنشأ بباتنة، وعند حلول أول نوفمبر 1964، شاركت في أول استعراض عسكري بشارع جيش التحرير الوطني بالعاصمة إضافة إلى وحدات قوات المشاة، الدبابات، المدفعية، المدفعية المضادة للطائرات، تحت إشراف رئيس الجمهورية أحمد بن بلة ونائبه وزير الدفاع هواري بومدين.

وبعد نهاية الاستعراض عدنا بعتادنا إلى باتنة، وقمنا بدورات تدريبية مكثفة لتدعيم معارفنا العلمية في مجال سلاح الدبابات والعلوم العسكرية من أجل التحكم في التقنيات العصرية، حتى نصبح في مستوى الجيوش المتطورة.

كما اشترت وزارة الدفاع سلاحا جديدا من نوع ت 54 وعينت على رأس فيلق الدبابات ت 54 التي كانت من أحدث الدبابات، حيث أشرفت على تنظيمها وتدريب طاقمها بحضور الضباط الروسيين، وأصبح هذا الفيلق الثاني جاهزا للقتال.

تربص موسكو

في بداية 1965 تم استدعائي من طرف وزارة الدفاع بالعاصمة، فالتحقت بالوزارة وأُعلمت بأنني سأتوجه إلى موسكو على رأس بعثة عسكرية متكونة من 25 ضابطا في دورة تدريبية لسلاح الدبابات والمدفعية، وكانت تتكون هذه الدورة من الأسماء التالية :

- النقيب قارة عبد القادر على رأس البعثة
- الملازم الأول اليمين زروال
- الملازم الأول حواسنية العياشي
- الملازم الأول نور الدين زغلامي
- الملازم الأول الطيب دراجي
- الملازم الأول مسعود بودماغ
- الملازم الأول عبد المجيد شريف
- الملازم الأول يوسف بن الصيد
- الملازم الأول بتشين محمد
- الملازم مرابط صالح
- الملازم مومني الصديق
- الملازم لمين بن يحيى
- الملازم بروال إبراهيم
- الملازم حاردي إبراهيم

والباقي لم أتذكر أسماءهم.

ودامت هذه الفترة مدة سنة كاملة بالكلية التي كانت تبعد عن موسكو بـ 60 كلم، حيث تلقينا العلوم العسكرية الحديثة اللازمة والضرورية لتحسين مستوى الضباط العسكريين للجيش الوطني الشعبي.

وقبل إكمال تربصنا قررت وزارة الدفاع الوطني نقل الفيلق الثاني مدرع ت 54 وتم تعيين قطاع عملياته غرب الجزائر العاصمة وبالضبط في ليدو، وكان على رأس قيادة هذا الفيلق ضابط بالنيابة، والغرض من تحديد القطاع العملياتي هو تأمين وحراسة المؤسسات الحيوية للدولة الجزائرية من رئاسة الجمهورية والحكومة والبرلمان والإذاعة والتلفزيون والمؤسسات الأخرى بالجزائر العاصمة.

في هذه الفترة حدث بيني وبين الملازم الأول حواسنية العياشي (صهر العقيد الطاهر الزبيري) نقاش حاد حيث قال لي أنه سيكون على رأس قيادة الفيلق بليدو عندما يكمل تربصه، فانزعجت وقلت له: « بأيّ صفة ستكون على رأس قيادة هذا الفيلق، فإن أصبحت أنت قائده سأستقيل من الجيش وأرجع إلى بيتي ». وبقيت الأمور على حالها إلى غاية رجوعنا للوطن. قام وزير الدفاع مصحوبا بوفد عسكري هام بزيارة إلى الاتحاد السوفياتي بغرض إكمال بعض المفاوضات التي تتعلق بتدعيم العلاقات الثنائية الجزائرية السوفياتية وشراء بعض الأسلحة لتزويد وحدات الجيش الجزائري للدفاع عن بلده.

وبمناسبة قدوم الوفد الجزائري إلى الاتحاد السوفياتي، نظم حفل استقبال كبير بالسفارة الجزائرية تحت إشراف وزير الدفاع هواري بومدين، وكان هناك سفير الجزائر بهذه الدولة عمر أوصديق، والملحق العسكري الرائد بن عبد المومن، واستدعي لهذا الحفل كبار قادة الكريملن، يتقدمهم يونيد بريجنيف الأمين العام للحزب الشيوعي والسيد كوسيڤين رئيس الحكومة لهذا البلد، ووزير الدفاع للجيش الأحمر مالونفسكي، كما حضر هذا الحفل كبار المسؤولين بهذه الدولة من صحفيين وعلماء ومثقفين والسلك الدبلوماسي المقيم بهذه الدولة، وكان أيضا من بين الحاضرين ضباط الدورة التدريبية.

مر الحفل على أحسن ما يرام، وبعد مغادرة الوفود الرسمية من السلطات السوفياتية والحضور الأجنبي بقينا نحن الجزائريين فقط، فهمس لي العقيد هواري بومدين برفقة النقيب زرڤيني على الهامش وأعلمنا بأنه سيحدث تغيير بالجزائر في الأسابيع المقبلة على مستوى هرم السلطة. وكان الأمر كذلك، ففي 1965/05/06 سمعنا، عن طريق وسائل الإعلام، بالتغيير الذي طرأ على مستوى هرم القيادة والذي تمت من خلاله الإطاحة بالرئيس أحمد بن بلة في 19 جوان.

سنلخص هنا موضوع الانقلاب الذي حدث أو ما يعرف بالتصحيح الثوري وأسبابه وبعض حيثياته.

انقلاب بومدين على بن بلة

بعد انعقاد مؤتمر حزب جبهة التحرير الوطني في 14 أفريل 1964، الذي ظهرت بعده خلافات بين الرئيس وقائد الجيش بومدين حيث لوّح هذا الأخير بالاستقالة لكن بن بلة رفض الأمر بشدة.

كان بومدين من بين المعترضين على عقد المؤتمر، حيث وقعت انتقادات كبيرة ضد بومدين والجيش، وبدأت تظهر معالم صراع جديد حول السلطة بين الرئيس بن بلة وحليفه السابق بومدين المتمسك بالجيش، خاصة بعد إعلان بن بلة في ديسمبر 1964 عن حكومة جديدة احتفظ فيها بحقائب الداخلية والمالية والأخبار. صار بومدين متيقنا أن بن بلة يعمل على إزاحته، ورغم عدم قبول بن بلة للاستقالة الجماعية لبومدين وآخرين سنة 1964، إلا أن الأمور لم تهدأ في حين أن بن بلة لم يتوقع انقلابا يقوده وزير دفاعه هواري بومدين.

وفي بداية 1965، بدأ بومدين وحاشيته بالتخطيط للإطاحة ببن بلة لما ظهر منه وكأنه إبعاد لهم عن مقاليد الحكم، واستطاع إقناع بعض قادة النواحي والوحدات بضرورة تنحية بن بلة ؛ وبعد شهر من التحضيرات، تولى الطاهر زبيري (قائد الأركان) أمر اعتقال بن بلة في ليلة 18-19 جوان 1965 في فيلا جولي. أعلن بومدين عن الانقلاب على موجات الراديو في خطاب حاول من خلاله تبرير ما سُمّي بـ « التصحيح الثوري » و اعتبر بن بلة قد خرج عن خط الثورة الجزائرية واستأثر بالسلطة واتهمه بالديكتاتورية. وكان يأخذ عليه احتكاره لتسعة مناصب حساسة في وقت واحد، وكان بومدين يقول أنه لجأ إلى الانقلاب إنقاذا للثورة وتصحيحا للمسار السياسي وحفاظا على مكتسبات الثورة الجزائرية.

بعد عملية الانقلاب وصلتني برقية من طرف الملحق العسكري الرائد بن عبد المومن بموسكو جاء فيها طلب تحرير برقية جماعية لمساندة التصحيح الثوري وتأييد القيادة الجديدة. عرضت على البعثة ما جاء في مضمون البرقية فوافق الجميع على إرسال برقية تأييد ومساندة للنظام الجديد، ماعدا العبد لله قائد البعثة والملازم بن يحيى اللذان امتنعنا على تأييد ومساندة الانقلاب. أرسلت البرقية إلى الملحق العسكري بموسكو وبدوره بعثها إلى الجزائر، حيث كنت في انتظار توجيه مساءلة لي – خاصة أنني رئيس بعثة عسكرية – عن سبب الامتناع عن التأييد بعد عودتي إلى أرض الوطن، لكن لم يحدث شيء من هذا القبيل.

نهاية تربص موسكو

انتهى التربص وعدنا إلى أرض الوطن برفقة بعثة النقيب زرقيني بكلية الأركان، وعلى إثر ذلك تكونت لجنة على مستوى وزارة الدفاع لتعيين هؤلاء الضباط وتوزيعهم على رأس الوحدات، كل وحدة حسب تخصصها، أما بخصوصي فقد عُيِّنت على مستوى

مدرسة المدرعات بباتنة على رأس فيلق الدبابات من نوع ت 55 والتي كانت من أحدث الدبابات وقتها.

تكونت اللجنة من العقيد الطاهر الزبيري – أطال الله في عمره – كرئيس، والرائد عبد القادر شابو – رحمه الله – كمدير ديوان وزير الدفاع، والرائد عبد الرحمن بن سالم قائد القطاع الإقليمي العملياتي بالعاصمة، واستُدعيت البعثتان وتم استقبالنا فردا فردا حيث تم الإعلان عن المناصب الجديدة لكل فرد على رأس المدارس والوحدات العسكرية، وجاء دور حواسنية العياشي الذي مر أمام اللجنة وتم تعيينه على رأس الفيلق ت 54 المتواجد بليدو، وذلك يؤكد المعلومات التي أفادني بها في موسكو، ومن خلال هذا التعيين فهمت أن العقيد الطاهر الزبيري وضع على رأس الفيلق صهره لغرض تحقيق مخططاته للضغط ومساومة رئيس الجمهورية ووزير الدفاع، خاصة وأن هذا الفيلق يتمتع بقوة نارية وإن وقع شيء فلن تستطيع أيّ قوة بالجزائر الوقوف أمامه في ذلك الوقت.

أما بالنسبة لي فقد تم تعييني على رأس فيلق حديث النشأة بباتنة، لكن لم أسكت على هذا التعيين الذي رأيته مجحفا في حقي وغير عادل، وتساءلت عن سبب تعييني على رأس فيلق جديد والفيلق الذي كونته يعيَّن شخص آخر على رأسه، فقيل لي أن القرار قد اتُّخذ وما عليَّ إلا الالتحاق. بعد هذا الرد المجحف والقرار غير العادل قررت الاستقالة من الجيش والرجوع إلى البيت، فرفضت اللجنة طلبي، كما تدخل بعض الزملاء لتهدئتي وقالوا لي: « هذا مستقبلك ومستقبل أبنائك، وما عليك إلا الالتحاق بباتنة بالمنصب الجديد ». تراجعت عن قرار الاستقالة والتحقت بباتنة فأشرفت على تنظيم وهيكلة هذا الفيلق بمساعدة الضباط الروسيين الذين كانوا متواجدين بمدرسة باتنة للمدرعات طبقا للاتفاقية المبرمة بين وزارة الدفاع الجزائرية والروسية في مجال التعاون العسكري.

تم تجهيز الفيلق نهائيا للقتال وعيّنت وزارة الدفاع القطاع العملياتي له على مستوى الغرب الجزائري وبالضبط في مدينة مشرية غرب ولاية سعيدة سابقا وشرق مقر ولاية النعامة حاليا، وكانت مهمتنا هناك حفظ الأمن والاستقرار بالحدود الغربية بسبب العلاقات التي كانت متوترة بيننا وبين المغرب، فالوضع لم يكن على ما يرام، فانتشرنا هناك وبقينا لغاية الأحداث في هذه الفترة.

خلافات هواري بومدين والطاهر الزبيري

في سنة 1967 وتحديدا في شهر أكتوبر، وقع خلاف حاد بين وزير الدفاع العقيد هواري بومدين – رحمه الله – والعقيد الطاهر الزبيري قائد الأركان على بعض الأمور

المتعلقة بتسيير وزارة الدفاع، وعلى إثرها توترت هذه العلاقات ووصلت إلى باب مسدود وأصبح التيار لا يمر نهائيا بين الرّجُلين.

استمرت الخلافات على أشدها، وعند حلول شهر نوفمبر 1967 وكالعادة تقوم الجزائر بتنظيم الحفل الوطني العسكري السنوي بمناسبة هذه الذكرى الخالدة، وتدعو لحضور العرض العسكري والحفل الكبير بقصر الشعب كل الشخصيات الوطنية إضافة إلى الوفود الشقيقة والصديقة، وأثناء إجراء استعراضات الوحدات العسكرية لمختلف الأسلحة في شارع جيش التحرير الوطني بالجزائر، غاب الطاهر الزبيري قائد الأركان العامة الذي كان من المفروض أن يحضر الاستعراض، فكان القرار هو استبدال الطاهر زبيري بالعقيد عباس مؤقتا أثناء الحفل، لكن رغم غياب العقيد الطاهر الزبيري إلا أن الأمور جرت طبيعية من استقبال واستعراض، والذي أقيم تحت إشراف الرئيس هواري بومدين، وانتهى الأمر وعادت الوفود لبلادها، لكن الخلاف ازداد تعقيدا بين الطرفين.

وبعد أيام قليلة من انتهاء الحفل بادر كل من الرائد السعيد عبيد قائد الناحية العسكرية الأولى والرائد محمد الصالح يحياوي والرائد عبد الرحمن بن سالم بالاتصال بالعقيد الطاهر زبيري وبعض الشخصيات الوطنية منهم العقيد خطيب والرائد الأخضر بورقعة و زغداني عبد العزيز والشيخ خليفة لعروسي وحتى عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية لمعرفة سبب غيابه المفاجئ وحل الإشكالية سياسيا.

كما حاولوا إقناع العقيد هواري بومدين بالصلح بينهما، إلا أن العقيد هواري بومدين وضع بعض الشروط المسبقة ومن ضمنها شرط كان تنفيذه أمرا لا رجعة فيه بالنسبة له، وهو نقل الفيلق ت 54 من ليدو إلى شلف، فلا نقاش ولا حديث إلا بعد سحب الفيلق من ليدو لشلف، بل رفض كل الحوار في هذا الموضوع. كان لبومدين نظرة خاصة بخصوص هذا الفيلق والذي رآه يشكل خطرا على النظام ككل والقيادة على مستوى الجزائر العاصمة، خاصة وأن صهر العقيد الطاهر الزبيري هو من يترأسه، وأصبح على العقيد بومدين قيادة الفيلق لأنه كان في حالة عصيان وتمرد ورفض أوامر قيادة وزارة الدفاع والوقوف إلى جانب قائد الأركان. خضع العقيد الطاهر الزبيري وتحت ضغط قادة النواحي أعضاء مجلس الثورة وبعض المدنيين الذين لهم وزن على مستوى السلطة، بالإضافة إلى قائد كلية شرشال العقيد عباس – رحمه الله – والرائد بن سالم قائد إقليم الجزائر العاصمة، خضع لتنفيذ طلب هواري بومدين ونقل الفيلق من ليدو إلى مدينة شلف وتم تنفيذ القرار على سبيل السرعة، لكن رغم هذا فإن الأوضاع بقيت على حالها، بل ازدادت تعقيدا كون العقيد الطاهر الزبيري قرر إقامة انقلاب على نظام هواري بومدين.

20 - محاولة انقلاب الطاهر الزبيري على هواري بومدين ونظامه

في شهر ديسمبر 1967 وفي شهر رمضان المبارك، قام الطاهر الزبيري بإجراء اتصالات مكثفة للحصول على أكبر عدد من المساندين والمؤيدين لعملية الانقلاب ضد العقيد بومدين من العسكريين والمدنيين، وصمم أن لا يتراجع عن قرار حتى لو كلفه الأمر استعمال العنف لتحقيق الهدف وهو الإطاحة بنظام هواري بومدين، وخاصة أنه كان مدعوما من طرف أقاربه وأبناء دشرته وحاشيته، وغايتهم هو الحصول على مناصب وامتيازات تحت مظلة حكمه، ونذكر بعضهم: نائب قائد الأركان عمار ملاح، الملازم الأول حواسنية العياشي، النقيب حواسنية موسى، النقيب الشريف مهدي، النقيب فرحات، المدير العام للخطوط الجوية الجزائرية خليفة العروسي، بالإضافة إلى السعيد عبيد، النقيب أوسليمان محمد، الرائد لخضر بورقعة، يوسف بولحروف، النقيب بويا علي، عبد السلام امباركية، محمد الهادي ارزايمية، محمد حابة، معمر قارة، وأسماء عديدة أخرى. ومن الملاحظ أن هؤلاء الأشخاص أقدموا على هذا القرار بدون تخطيط، وشجعوا قائد الأركان لاتخاذ هذا القرار الخطير بدون دراسة نتائجه التي قد تكون عكس توقعاتهم.

قبل أسبوع من حدوث الانقلاب كلمني حواسنية العياشي هاتفيا في المكتب، وكان ببشار (الناحية العسكرية الثالثة) وأعلمني بأنه سيمر بعين الصفراء ليلا لقضاء الليلة ببيتي، وهو في الحقيقة قام بهذه الجولة لكسب تأييدي للطاهر الزبيري. في اليوم الموالي سافرت إلى العاصمة إلى الطبيب المعالج لابنتي ذات السنة لغرض إجراء عملية بعيادة DBC من طرف الدكتور فيرون، وقد رافقني حواسنية العياشي عائدا للعاصمة. تركت ابنتي في العيادة، وذهبت إلى منزل أخي الأكبر الهاشمي بشارع بوقرة الجزائر العاصمة، وعند حلول المغرب رن جرس البيت، ففتح الباب وإذا به حواسنية العياشي جاء كمبعوث من طرف الطاهر الزبيري حاملا رسالة شفهية يقول فيها أن الطاهر الزبيري في انتظاري في بيته هذا المساء، فقال لي أخي الأكبر الهاشمي: « أنصحك بعدم الذهاب هناك لأن مصالح الأمن تطوق بيت العقيد الطاهر الزبيري، وأيّ سيارة تتجه إليها

يسجل رقمها »، فقلت له: « إن العقيد الطاهر الزبيري رجل محترم وقائدنا، وذهابي لا يدل على أنني متعاطف أو مساند له، ولا يدل على أنني سأطبق ما يأمرني به، بل بالإمكان أن أكون سببا في دفعه للتعقل والرجوع لجادة الصواب وعدم إيصال جيشنا الوطني الشعبي إلى التصادم وإراقة الدماء ».

وفعلا ركبت السيارة العسكرية التي كانت تحت تصرفي واتجهت إلى منزل الطاهر الزبيري، حيث وجدت المنزل مملوءا عن آخره بضباط عسكريين وبعض الشخصيات من المدنيين الذين كانوا يتحدثون ويتناولون الزلابية ويرتشفون الشاي، فانضممت إليهم وشربت الشاي، وعندما طلبت الاستئذان للمغادرة رافقني الطاهر الزبيري إلى مخرج البيت وقال لي: « هل نستطيع الاتكال عليك؟ »، فقلت له: « في أي موضوع؟ »، فقال لي: « نحن نريد إسقاط النظام، ونحن عازمون على مواصلة العملية للنهاية، ونطلب منك المساندة بمشاركة الفيلق الخامس إلى جانبنا »، فقلت له: « يا حضرة العقيد، إذا التزمت معك وقلت لك أنني بجانبك فهذا يعتبر كذبا ونفاقا، وحتى ولو ساندتك في هذا الموضوع فكما تعلم فإن فيلق الدبابات الخامس يوجد على مسافة 800 كلم بعيدا عن الجزائر العاصمة، و أن هذه الدبابات تتحرك على سلاسل جنزيرية حديدية ولا توجد لدي حاملة الدبابات الخاصة ؛ وعليه أقول لك بأنني لا أستطيع، وإن بقيتم مصممين على تنفيذ العملية فأنصحكم بدراسة الموضوع دراسة معمقة لتفادي إراقة الدماء، والاستعانة بالوحدات القريبة من العاصمة كالناحية العسكرية الأولى ومقرها البليدة، والفيلق الميكانيكي (الآلي) الموجود بالمدية والذي يقوده معمر قارة، والفيلق الميكانيكي (الآلي) الموجود بمليانة. هذه الوحدات إذا كانت صادقة يمكن أن تحقق نتيجة بتطبيق السرعة والمفاجأة للوصول للجزائر في ساعات قليلة، وبالتالي تقوم بالاستيلاء على المؤسسات الحيوية في الجزائر العاصمة مثل رئاسة الجمهورية ووزارة الدفاع والإذاعة والتلفزيون والأماكن الحساسة وينتهي الأمر، فإن امتنعت هذه الوحدات عن مساندتكم فالرجاء عدم المغامرة تفاديا لنتائج وخيمة لا تُحمد عُقباها ».

إضافة إلى ذلك قلت له: « إياك والمغامرة بتحريك الفيلق من شلف (التي تبعد بـ 250 كلم) فهذه الوحدة لا تستطيع الوصول للعاصمة وتتعطل كل دباباتها في الطريق بدون جدوى، أما بالنسبة لي فمن الصائب الاتكال علي في الحدود الغربية للدفاع عن التراب الوطني إذا حدثت أيّ تدخلات من المغرب ». غادرت المكان، وبعد إتمام أشغالي بالعاصمة عدت إلى مشرية على رأس قيادة الفيلق مدرع 55. وفي ليلة 15 ديسمبر الممطرة والمصحوبة بالثلوج والبرد، جاءني ضابط المداومة بالفيلق على الساعة الواحدة ليلا مصحوبا ببرقية من وزارة الدفاع مفادها:

توزيع عام لكل الوحدات من طرف وزارة الدفاع « وزارة الدفاع تعلمكم أنه وقع تشويش وتمرد لبعض الوحدات على مستوى الجزائر العاصمة، فالرجاء الالتزام بالأوامر التي تصدر عن وزارة الدفاع فقط كما نرجو منكم وضع الوحدات في حالة طوارئ رقم واحد ولا تطبق أيّ أوامر تأتي من جهات غير الوزارة » وتم تدوين ملاحظة في أسفل البرقية تأمرنا بحضور اجتماع في اليوم التالي على الساعة العاشرة بعين الصفراء تحت رئاسة الأخ خالد نزار بصفته قائدا للواء بهذه المنطقة.

بعدما قرأت البرقية أمرت الضابط باستدعاء ضباط وصف الضباط وجنود الفيلق وإعلان حالة الطوارئ والاستنفار، وفي الصباح جهزت مركبة من نوع لاندروفر مجهزة بالسلاسل على العجلات وتوجهت لعين الصفراء، وكان هناك قادة الفيالق الثلاثة فجلسنا على طاولة الاجتماع وأعلن الأخ خالد نزار ألّا معلومات إضافية لديه بخصوص الموضوع، كما طلب منا تحرير برقية تأييد ومساندة لرئيس مجلس الثورة ووزير الدفاع، وقد رفضتُ ذلك وتحفّظتُ على هذا القرار. غضب خالد نزار كثيرا وقام بتحرير تقرير يشتكي فيه مني، وأوضح أن قائد الفيلق 55 والموجود بمشرية يسبب له إحراجا دائما، وعليه يرجى من قيادة وزارة الدفاع فصلي من قيادة الفيلق وإبعادي إلى ناحية أخرى. وبعد ذلك وصل إلينا النقيب محمد أوسليمان قائد الأركان للواء والذي كان بالجزائر، وقد حضر الاجتماع الذي انعقد بالناحية العسكرية بالبليدة ليلة 14 و 15 ديسمبر إلى جانب بعض الضباط المساندين للعقيد الطاهر الزبيري، وبعض الوحدات منها الرائد سي محمد الصالح يحياوي قائد الناحية العسكرية الثالثة ببشار، والعقيد عباس قائد الكلية بشرشال، وضباط آخرون اتفقوا على القيام بالعملية وانصرفوا إلى وحداتهم. بالنسبة للعقيد سي محمد الصالح يحياوي وأوسليمان محمد فقد اتجها إلى الغرب، وعند وصولهما إلى سعيدة عجزا عن مواصلة المسير بسبب الأمطار والثلوج، مما اضطرهما إلى الرجوع إلى الناحية الثانية بوهران وقضاء الليلة هناك.

في هذه الأثناء أمر العقيد الطاهر الزبيري ومساعدوه بقرار الاستيلاء والهجوم على السلطة، وكان سبب الانقلاب حسب رأيه هو تذمره من صعود من يسمون ضباط فرنسا في الرتب والمسؤوليات على حساب ضباط جيش التحرير الذين كان لهم السبق في محاربة فرنسا والذين يمثلون خطرا عليهم وعلى الجزائر. عندما شرعت الفيالق التابعة للناحية العسكرية الأولى في التقدم نحو البليدة اتصل بومدين بقائد الناحية العسكرية الأولى السعيد عبيد هاتفيا وقال له بصوت ساخط: « كيف تتحرك الفيالق متمردة علينا ولا تبعث فيالق لصدها ؟! »، فأجابه السعيد عبيد مبررا موقفه: « أعطيت الأوامر للفيالق المتمردة لكنها لم تنفذ أوامري، فكيف أبعث الجيش ليقاتل بعضه بعضا ؟! ».

أقفل بومدين الخط في وجهه وأرسل اثنين من أكفأ الضباط لتولي قيادة الناحية العسكرية الأولى بدلا من السعيد عبيد وهما الرائد زرقيني و هوفمان، أما السعيد عبيد فقد توفي داخل مقر الناحية العسكرية الأولى في ظروف مجهولة، فمنهم من يقول أنه مات مقتولا ومنهم من يقول أنه انتحر.

اتخذ بومدين كل الاحتياطات اللازمة لمواجهة هذه العملية وإفشالها، ومن بينها تم تبديل النقيب آيت مسعودان من رأس القوات الجوية العسكرية لانعدام الثقة وخلفه النقيب عبد الحميد لطرش الذي كان على رأس القوات الجوية قائد المدرعات بباتنة، والذي أحضر بدوره على سبيل الاستعجال ضباط طيارين روسيين لمقاومة القوات التي كانت متقدمة في اتجاه العاصمة لاحتلالها، وهذه القوات كما ذكرنا سابقا تتمثل في: الفيلق المدرع 54 الذي تحرك من شلف في اتجاه العاصمة، والفيلق الميكانيكي الآلي الذي كان متواجدا بمليانة، والفيلق الميكانيكي الآلي الذي كان متواجدا بالمدية.

من جهة أخرى وفي إطار الاحتياطات التي اتخذها بومدين، تم إرسال قوات من العاصمة لاعتراض القوات المهاجمة على مستوى العفرون وشفة، حيث نظمت كمائن في الطرقات، وكان يقود هذه الوحدات ضباط مشرفون عليها وهم أحمد بن الشريف قائد الدرك الوطني، النقيب زرقيني، النقيب سليمان هوفمان، الملازم الأول رشيد مديوني. عند وصول هذه القوات المعارضة (فيلق الدبابات المدرع الثاني 54 وفيلق المشاة الآلي الذي كان تحت قيادة عبد السلام مباركية) على مستوى بورومي غرب البليدة، تم تفجير جسر الطريق المتجه للجزائر من طرف قوات المساندة لبومدين حتى لا تستطيع القوات المدرعة التي يقودها حواسنية العياشي الوصول إلى الجزائر العاصمة، أما القوات التي وصلت للعفرون فقد تعرضت لهجومات كاسحة بالطائرات وسلاح المشاة التي كانت تعترضها، فقتلت من قتلت والباقي فر داخل الجبال المجاورة.

فشل الانقلاب

انتهت العملية بانتصار بومدين وفرار العقيد الطاهر الزبيري وانتهى الانقلاب.

وقد أدت محاولة الانقلاب الفاشلة إلى التفكير في اغتيال الرئيس هواري بومدين وتصفيته جسديا، فأعدت المجموعة خطة الاغتيال، وشارك في إعدادها في بداية المرحلة كل من عمار ملاح ومحمد الطاهر بورزان، والخطة كانت أثناء خروج الرئيس هواري بومدين من اجتماع مجلس الوزراء، وعند مرور سيارته أمام مركز الأمن المكلف بالحراسة، بادر الطاهر بورزان بإطلاق عيارين عليه من رشاشه من نوع ماط matte 49، غير أن نابضها تعطل، وكان موسى زروال يطلق وابلا على حراس الرئيس

بومدين، لكن حراس الرئيس كان ردهم سريعا حيث سقط موسى زروال، أما الطاهر بورزان فانسحب رفقة معمر بشاح وامبارك عقاقنة، وكانت نتيجة هذه العملية إصابة الرئيس بومدين في شنباته، وقاده سائقه على جناح السرعة إلى مستشفى مايو لتقديم الإسعافات الضرورية، ولاذوا بالفرار.

رجعت الأمور الأمنية إلى وضعها الطبيعي واستقرت، وفي اليوم 27 من شهر رمضان المبارك وصلتنا برقية تدعو كل قادة الفيالق ونوابهم للحضور إلى الناحية العسكرية الثانية. نفذنا الأمر واتجهنا إلى هناك وعند وصولنا ألقي القبض على النقيب محمد أوسليمان من طرف المخابرات، أما أنا فكنت متخوفا من أن ألقى نفس المصير، لكن الحمد لله مرت الأمور بسلام. اتجهت إلى مطار السانية بوهران لركوب الطائرة المتجهة إلى مطار بوفاريك ثم قصر الأمم، وبعد وصولنا إلى مطار بوفاريك انطلقنا بواسطة الحافلات إلى قصر الأمم فوصلنا في وقت المغرب، وهناك التقينا بالرئيس بومدين الذي ترأس اجتماعا هاما، وكانت تظهر عليه علامات الغضب والعصبية.

افتتح الجلسة وأخذ الكلمة وتأسف لما جرى وتسبب في إزهاق أرواح بريئة من العسكريين والمدنيين بالإضافة إلى إتلاف العدة العسكرية، ثم وجّه لنا توبيخا كبيرا وقال لنا بالحرف الواحد: « الجزائر ليست العراق وليست سوريا ولا أمريكا اللاتينية » لأن هذه الدول كانت تعيش وضعا غير مستقر وتمر من حين لآخر بانقلابات متتالية، كما وجه للضباط الحاضرين رسالة قائلا فيها بأنهم مخطئون وليس لهم الفضل عليه، والفضل الأكبر يرجع له كونهم أصبحوا ضباطا وقادة في الجيش الوطني الشعبي. وقبل نهاية الاجتماع تم تحرير لائحة مساندة وتأييد لقيادة مجلس الثورة على رأسها هواري بومدين، وتم اختتام هذا الاجتماع، وبعد السحور غادرنا قصر الأمم عائدين إلى وحداتنا، متجهين إلى بوفاريك ثم وهران على متن الطائرة، ووصلنا فجرا إلى فندق الناحية الثانية بوهران.

وبعد وفاة الرئيس هواري بومدين وانتخاب الشاذلي بن جديد كرئيس للجمهورية، اتخذ القرار الرئاسي للعفو على الذين شاركوا في عملية القتل، وأفرج عن كل الانقلابيين ماعدا الطاهر الزبيري الذي كان فارا وموجودا بالعاصمة الفرنسية باريس برفقة رئيس الدائرة الذي فر معه ولم أتذكر اسمه. وفي أحد الأيام عندما كنت أتجول في الشارع الكبير ليلا مونبارناس، التقيت بالطاهر الزبيري بالصدفة، وكان معه محساس ورئيس الدائرة جالسين بمقهى هناك، فتركت أبنائي خلفي وسلمت عليه وعلى من كان معه، فرافقني وسألني عن الوضع بالجزائر بعد انتخاب الشاذلي بن جديد، فقلت له ناصحا: « إن الوضع بالجزائر تغير وأصبح رجوعك للبلاد أمرا غير مستبعد، والرئيس الحالي رجل مؤمن وتقي ويعطف كثيرا على المجاهدين والرفقاء، وعليه فتسوية وضعيتك أصبحت

قريبة، وأرجو منك عدم إثارة مشاكل مع النظام الجديد »، فقال لي: « أرجوك أن تزورني بالفندق غدا لنواصل الحديث، وعند وصولك للفندق اسأل عن اسم السعيد »، فاعتذرت عن عدم مقابلته لأنني كنت مسافرا في اليوم التالي قبل الظهر إلى الجزائر.

وبعد عودتي للجزائر اتصلت بالعقيد بالوصيف عضو المكتب السياسي والأمين العام لوزارة الدفاع الوطني، والذي كانت تربطني به علاقة طيبة منذ حرب التحرير، وطرحت عليه الموضوع وطلبت منه أن يبلغ الرئيس ويقول له بأني قابلت الطاهر الزبيري بباريس وما دار بيننا، وأرجو العفو عنه والسماح له بالعودة لبلده بصفته مجاهدا من الأوائل.

بلّغ العقيد بالوصيف الرسالة للرئيس، وبدوره كلف بلوصيف بإعطاء كل التسهيلات الضرورية لعودة الطاهر الزبيري للجزائر، حيث كلف المدير العام للأمن الوطني بالاتصال بالطاهر الزبيري وتسهيل إجراءات العودة، وهكذا كان الأمر فقد عاد إلى بلده وتم الإفراج عن كل المساندين والمؤيدين للطاهر الزبيري وأعيد لهم الاعتبار الكامل بحصولهم على حقوقهم المشروعة، فمنهم من توفي ومنهم من بقي على قيد الحياة أطال الله في عمرهم جميعا.

21 - الأحداث التي مررت بها بعد الانقلاب

للعلم، كان اللواء خالد نزار غاضبا مني نظرا لموقفي الذي اتخذته في اجتماع عين الصفراء بالتحفظ عن مساندة الرئيس هواري بومدين وتأييده. أمرني النقيب خالد نزار بتحضير ثلثي أفراد الفيلق ومنحهم إجازة العيد، وهكذا كان الأمر فهو بقي في وهران وأنا اتجهت إلى مشرية، وعند وصولي إلى الفيلق أمرت المسؤولين المعنيين بالفيلق أن يمنحوا إجازة العيد للضباط وضباط الصف والجنود. حضرت طلبات الإجازة وأمضيتها للمعنيين، ثم أتاني النقيب خالد نزار يستفسر عن موضوع طلبات الإجازة وكان الوقت تقريبا المغرب، وقبل ركوبه سيارته عائدا إلى عين الصفراء طلبت منه أن يمضي طلبي للذهاب في إجازة لمدة ثلاثة أيام، فرفض معللا ذلك بأنه في انتظار الرد على التقرير الذي بعثه لوزارة الدفاع والمتعلق بموقفي، وبالتالي لا يمكن السماح لي بالحصول على الإجازة. فرددت عليه قائلا: « إن هذا القرار قرارك، أما قراري فهو المغادرة إلى الأهل بطلب الإجازة أو بدونه ».

وفعلا بعد الفطور قمت بتحرير أمر الإجازة وإمضائه بنفسي، وشددت الرحال برفقة زوجتي وابنتي إلى باتنة في ليلة ممطرة كثيفة الثلوج، وكان الطريق الوطني الرابط بين مشرية وسعيدة ومعسكر خطيرا للغاية، وكنت من حين لآخر أتعثر بالسيارة، وبصعوبة وصلت إلى معسكر خارجا من منطقة الخطر المرورية. استأنفت سفري مارا بالمحمدية في طريقي إلى مدينة شلف، حيث توجهت قاصدا بيت ابن عمي الساكن بهذه المدينة في وقت السحور، فأخذنا قسطا من الراحة وتناولنا بعض المأكولات، ثم استأنفنا السفر إلى باتنة عن طريق خميس مليانة والمدية.

اعترضتنا صعوبات كثيرة بين هاتين المدينتين، أولها بسبب الثلوج المتساقطة والتي تسببت في صعوبة المرور من هذا الطريق، وثانيها وبالضبط عند وصولنا إلى الطريق الرابط بين المدية وخميس مليانة وجدنا أفراد الجيش الوطني الشعبي يقومون بعملية تمشيط وتفتيش واسعة يبحثون فيها عن الفارين من عملية الانقلاب بعدما تحصلوا على معلومات تفيد أن الانقلابيين متواجدون بهذه الجبال، فطوّقوا المكان المملوء

بقوافل الدبابات والآلات العسكرية والسيارات التي كانت متوقفة على جانبَي الطريق، وعند وصولي إليهم تم توقيفي في أول حاجز أمني كانت تقيمه مصالح الدرك الوطني، وطلبوا مني وثائق السيارة التابعة لوزارة الدفاع، والأمر بإجازة وبطاقة التعريف العسكرية، فقدمت هذه الوثائق لملازم أول من الدرك الوطني والذي طلب مني الانتظار قليلا لغاية وصول نقيب من الدرك، وبعد مرور نصف ساعة وصل النقيب واطّلع على الوثائق ثم أعادها إلي وتمنى لي طريق السلامة.

واصلت المسير نحو باتنة، وبعد وصولي لمدينة بوغار تعطلت السيارة فاستنجدت بميكانيكي هناك وقد تم إصلاحها واستأنفنا السير ثانية متجهين إلى بوغار، بوقزول، عين حجل، حيث صادفنا في الطريق حاجزا أمنيا محكما يبعد عن مقر الدرك بحوالي 200 م، هذا الحاجز تشرف عليه وحدات الدرك، فأوقِفت ثانية وقدمت أوراقي، لكن هذه المرة توجهت هذه المجموعة إلى مقرهم بالسرعة الفائقة مما جعلني أتبعهم بسيارتي إلى مقرهم، وعند وصولي هناك طلبت استرجاع أوراقي فرفضوا تسليمها لي، وكان على رأسهم دركي طويل القامة بدين الجسد تبدو عليه علامات الصحة، ومن شدة التعب والإرهاق والضغط الذي كان يمتلكني وبعد رفضهم تسليمي الوثائق، استخرجت سلاحي من درج السيارة وأشهرته في رأس قائد الدركيين، فقام دركيين بإشهار سلاحهما عليّ من جهتي اليمين واليسار، ولشدة خطورة الموقف نزلت زوجتي من السيارة باكية راجية منهم تركي، الأمر الذي جعلني أرجع إلى السيارة وأستأنف سفري بدون وثائق إلى باتنة، والحمد لله وصلت بخير دون أن تعترضني مشاكل أخرى.

قضيت إجازتي القصيرة هناك والتي دامت ثلاثة أيام، ثم شددت الرحال من جديد متوجها إلى الناحية الثانية للاستفسار عن وثائقي، وعند وصولي إلى سور الغزلان توجهت إلى كتيبة الدرك، فعلمت أنها حولت إلى مجموعة الدرك بالمدية، أكملت طريقي إلى البليدة، وعند وصولي إلى هناك توجهت إلى قيادة الناحية العسكرية الأولى التي كانت تحت قيادة الرائد عبد الله بلهوشات (الذي تم نقله من الناحية الخامسة بقسنطينة إلى الناحية الأولى، وذلك بعد وفاة قائد الناحية الأولى السعيد عبيد في أحداث 14 و15 ديسمبر)، شارحا له ما جرى والوضع الذي أنا فيه، فهاتف قائد الدرك بالناحية الأولى للاستفسار حول الوثائق، والتي لم تصل بعد إليه، فوعد هذا الأخير بإرسالها بعد وصولها إلى هناك.

ولتسهيل العودة إلى وحدتي، قام الرائد عبد الله بلهوشات قائد الناحية الأولى بتحرير أمر بمهمة لمواصلة الطريق إلى الناحية الثانية، وفي نفس الوقت دوّن رقم هاتفه لمساعدتي في حالة حدوث أيّ مشاكل. توجهت من البليدة إلى وهران ووصلت

ليلا بدون مشاكل، وفي الصباح اتجهت إلى الناحية الثانية لمقابلة قائد الناحية الرائد الشاذلي بن جديد – رحمه الله – فاستقبلني وسردت له كل ما حدث لي وخاصة موضوع الانقلاب، فلامني لأنني اتخذت قراراتي بدون استشارة، فأجبته قائلا: « سكوتك عن موضوع الانقلاب يعني رضاك، وأنت لم تتصل ولم تزودنا بأيّ قرار اتخذته ».

انتهى النقاش بإعطائي أوامر بالرجوع على رأس الفيلق وانتظار ما سيصدر من أوامر جديدة في خصوص قضيتي، فأجبته: « سأرجع إلى الفيلق لتسليم المهام بيني وبين نائبي، وسأرسل محاضري إلى الجهات المعنية وسأعود لكي أطلب منكم الموافقة على الاستقالة ». فرفض وقال لي: « عليك بالاستمرار في تأدية مهامك على رأس الفيلق وانتظار الأوامر الجديدة ».

لكن بعد وصولي إلى الفيلق لم أطبق ما قاله الشاذلي بن جديد، بل قمت بتسليم مهامي على أساس ترك الفيلق نهائيا، وعند وصولي إلى الناحية الثانية سلمت المحاضر للمصالح المعنية، واتجهت إلى مقر قيادة الناحية حيث طلبت مقابلة قائد الناحية الرائد الشاذلي بن جديد الذي رفض مقابلتي، الأمر الذي زادني إصرارا على موقفي وقلت لمدير تشريفاته: « سأبقى هنا ولن أغادر المكان إلى غاية استقبالي، حتى لو اضطرني الأمر إلى مقابلته خارج مكتبه ». وأمام إلحاحي وتصميمي على مقابلته، اضطر الشاذلي بن جديد إلى استقبالي في مكتبه، فسلمت له نسخة من المحاضر وطلبت منه الموافقة على الاستقالة ومغادرة الجيش نهائيا والعودة إلى بيتي.

هاتف الرائد الشاذلي بن جديد الرائد شابو الأمين العام لوزارة الدفاع، وطلب معرفة مستجدات وضعيتي، فأجابه بأنني عُيِّنت من طرف وزارة الدفاع في مدرسة المدرعات بباتنة، حيث تم تكليفي بالإشراف على المناورات السنوية التي تقام في الضاية بجنوب بريكة. هنا رفض نهائيا طلب استقالتي، وفي النهاية التحقت بمدرسة المدرعات بباتنة وأشرفت لمدة عامين على هذه المناورات السنوية. وبعدها تم تحويلي من طرف وزارة الدفاع إلى القطاع العسكري لولاية سطيف الذي كان بدون قائد قطاع نظرا لإصابة قائده المدعو حاتم بوعلام بأمراض مزمنة، فتم تحويلي من باتنة إلى سطيف، كما تم إمضاء مرسوم التعيين من طرف وزير الدفاع هواري بومدين، غير أن قائد الناحية العسكرية العقيد محمد بن أحمد عبد الغني لم يكن راضيا عن هذا التعيين لأنه لم يُستَشَر للإدلاء بموافقته مسبقا، حيث تلقى الخبر كالصاعقة، وكان – رحمه الله – غير مرتاح من تعييني على رأس القطاع في سطيف، وكان يتمنى أن يتم تعيين أحد الضباط الذين يميل إليهم، ومن طبيعته أنه كان – ومنذ معرفتنا به – يرضى دائما بالضباط الذين ترضى عنهم الجهات العليا ويهلل لهم، ويعترض عن الذين يعبّرون عن مواقفهم

ويتخذون قرارات منافية لقرارات القيادة العليا ؛ وعليه جمد هذا المرسوم لمدة ستة أشهر ولم يستدعني.

وبعد تجاوز هذه المدة، اتجهت إلى وزارة الدفاع لكي أسحب بطاقة الضمان الاجتماعي، وبالصدفة التقيت بالعقيد شابو – رحمه الله – أمام مكتبه بوزارة الدفاع، فناداني سائلا عن سبب تركي لشعري بدون حلاقة، فأجبته بأنني مدة ستة أشهر وأنا مدني، فأجابني بأنني عُيِّنت بسطيف على رأس قطاعها، فقلت له أن ليس لي علم بذلك، فقال لي أنه سيبعث بَرقية لقائد الناحية للاستفسار عن الموضوع، وبعد مغادرتي المكان بيومين وصلني مرسول عسكري من الناحية الأولى، حيث كنت مقيما بالبليدة، يعلمني أن قيادة الناحية العسكرية الخامسة تطلب مني الالتحاق بسرعة.

توجهت إلى قسنطينة حيث استقبلني قائد أركان الناحية محمد العماري في مكتبه وقال لي أن قائد الناحية سيصل بعد قليل. وصل قائد الناحية ودخل لمكتب محمد العماري، فسلمنا عليه ووجه لي نفس الملاحظة عن طول الشعر، فأجبته بأنني كنت مدنيا لمدة ستة أشهر فرأيت أنه لا ضرورة لحلاقة الشعر، الأمر الذي جعله يغضب من كلامي. أرسلني إلى سطيف وقال لي بأنني سأجد قائد القطاع بالنيابة محمد بتشين والذي كان يمارس قيادة مدرسة عين لرنات للمشاة لتسليم المهام، وسيتم تنصيبي بصفة رسمية على رأس قطاع سطيف من طرفه شخصيا. وبالفعل تمت تأدية المهام بيننا وتم تنصيبي أيضا من طرف قائد الناحية العسكرية الخامسة وبدأت مشواري الجديد بصفة رسمية وبالضبط سنة 1971.

بقيت على رأس القطاع إلى سنة 1974، حيث وقع خلاف وسوء تفاهم بيني وبين محمد بن أحمد عبد الغني (دون أن أتطرق إلى تفاصيله)، مما اضطرني إلى طلب مقابلته بصفة رسمية لأطلب منه الموافقة على تحويلي إلى ناحية أخرى حتى أتفادى تعكير الجو ومزيدا من المشاكل بيني وبينه، فسألني عن سبب هذا القرار، فأجبته: « الحمد لله على وجود نواحي أخرى » وغادرت المكان. وبعد مغادرتي لمكتبه أسرع بالاتصال هاتفيا برئيس مجلس الثورة ووزير الدفاع العقيد هواري بومدين وطلب منه نقلي على سبيل الاستعجال من الناحية الخامسة، معللا طلبه بأني قللت من احترامه، وعلى إثر ذلك تم وضعي في الانتظار وتم تعيين النقيب مختار كركب قائدا لهذا القطاع.

نصّب محمد بن أحمد عبد الغني النقيب مختار كركب بصفة رسمية، والمفاجئ أنه غيّر سياسيته تجاهي ومدحني وشكرني كثيرا أثناء التنصيب على المجهودات التي قمت بها، كما تكرّم بتركي أتجول بالسيارة الوظيفية للقطاع وعدم مغادرة السكن الوظيفي الذي كنت به إلى غاية انتهاء السنة الدراسية، أما النقيب مختار كركب فمنحه السكن الخاص به. التحقت بالمنصب الجديد وهو القطاع العسكري ببجاية التي تكونت سنة 1974

كولاية جديدة، بالإضافة إلى تهيئة وهيكلة القطاع العسكري بجيجل في انتظار تعيين قائد جديد له.

بعد هذا التنصيب حان موعد الرقابة الطبية بباريس لمعالجة عيني المصابة أثناء الثورة، فغادرت أرض الوطن، وبعد عودتي اتصلت بعبد الغني الذي استدعاني بدوره للحضور بمكتبة بقسنطينة، وكان لطيفا جدا في معاملته لي لدرجة أنه سَلّم لي مفتاح فيلته الخاصة المتواجدة بتيشي على شاطئ البحر، للاستجمام رفقة العائلة، ثم بعدها أقوم باستلامي مهامي بنيابة القطاع العسكري بجيجل.

استمررت في الإشراف على القطاعين إلى غاية حدوث تغيير على مستوى قيادة الناحية الخامسة، فبعد وفاة مدغري وزير الداخلية – رحمه الله – تم تعيين محمد بن أحمد عبد الغني كوزير للداخلية، وخلفه حينذاك العقيد الهاشمي هجرس على رأس الناحية. وفي أحد الأيام وعند عودتي من فرنسا بعد إجراء الفحص الطبي المعتاد، اتصل بي قائد الناحية الجديد العقيد الهاشمي هجرس وقال لي بأنني مطلوب في وزارة الدفاع الوطني على الساعة العاشرة.

توجهت إلى وزارة الدفاع، وقابلت الأمين العام للوزارة عبد الحميد لطرش على الساعة العاشرة تماما، وبدوره قام بمكالمة مدير تشريفات الرئاسة الرائد عبد المجيد يعلاهم وأعلمه بقدومي، فأجابه بأنه عليّ الحضور للرئاسة على الساعة الرابعة والنصف، وهكذا كان الأمر وقابلت عبد المجيد يعلاهم في مكتبه، وبدوره وجهني إلى مكتب قائد مجلس الثورة ووزير الدفاع هواري بومدين – رحمه الله – لمقابلته.

رحّب الرئيس هواري بومدين بوجودي وطلب مني الجلوس، وسألني عن أحوالي وعن صحتي وعائلتي وكذلك عن معنوياتي، وبعدها أطنب في الحديث عن سبب استدعائي قائلا أنه شخصيا من اختارني بصفتي محلّ ثقة ومحب للوطن، للاتكال عليّ في الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد، بسبب العلاقات المتوترة مع جارتنا المغرب، وأنه بحاجة إلى قادة موثوق بهم لقيادة الوحدات في حالة اندلاع حرب بيننا وبين المغرب، كما تم تعييني على رأس اللواء 34 والموجود مقره بعين الصفراء تحت إشراف وقيادة الناحية الثانية، فرددت عليه قائلا: « سيادة الرئيس، أنا مادمت ألبس لباس الشرف فإن الجزائر فوق كل اعتبار، وأنا مستعد للتضحية بالنفس والنفيس في سبيل بلدي »، فشكرني وزودني ببعض المعلومات وشرح لي موقف الجزائر من القضية الصحراوية والتي كانت محل خلاف بيننا وبين النظام المغربي.

التحقت بالناحية العسكرية الثانية، وقمت بزيارة مكتب قائد الناحية والذي أمرني بالتوجه إلى عين الصفراء لاستلام مهامي على رأس هذا اللواء للمشاة. في هذه الظروف،

بادر النظام المغربي بتنظيم المسيرة الخضراء باتجاه العيون – الصحراء الغربية تحت إشراف الملك الحسن الثاني، وقاموا باحتلالها، وأثناء هذه المسيرة حدثت اشتباكات مسلحة بيننا وبين الجيش المغربي نتجت عنها خسائر بشرية ومادية من الطرفين، وانتهت الاشتباكات بعد تدخل الوساطة المصرية لتهدئة الوضع والرجوع لطاولة المفاوضات.

قُسِّمت الصحراء الغربية بين المغرب وموريتانيا، فالمغرب احتل الجزء الشمالي وموريتانيا احتلت الجزء الجنوبي ؛ انتفض الشعب الصحراوي وقام بثورة عارمة ضد النظامين وبرهن بفضل شجاعة وتضحية أبنائه على قدرته على تركيع النظامين، فهزم الجيش الموريتاني الذي انسحب من احتلاله للجزء الجنوبي، فقام الجيش المغربي باحتلال الجزئين الشمالي والجنوبي معا إلى غاية 1991.

تلقى الجيش المغربي المحتل ضربات قاسية من طرف ثوار الصحراء الغربية على ثكناته ووحداته، حيث مني بعدة هزائم، كما أسر الجيش الصحرواي عددا كبيرا من الجيش المغربي وصل عددهم إلى 6000 ضابط وصف ضابط وجندي، وكان هذا الجيش الثوري المناضل المؤمن بقضيته على أبواب الانتصار، حتى تدخلت بعض الدول الكبرى وهي أمريكا وفرنسا وإسبانيا لإنقاذ النظام المغربي من الهزيمة المحققة، كما قاموا بالضغط على البوليساريو لوقف القتال بإغرائهم بأن النظام المغربي سيمنحهم حرية الاختيار في تقرير المصير، إلا أنه بعد استجابة الجمهورية الصحراوية الديمقراطية لنداءات هذه الدول وأوقفت القتال، أنكرت المغرب هذه الوعود وبقيت تناور من 1995 إلى يومنا هذا.

الاستقالة من الجيش الوطني الشعبي والترشح للبرلمان

في ظل الظروف والأحداث التي ذكرتها سابقا، بقيت على رأس اللواء 34 بعين الصفراء من 1975 إلى غاية 1977 في حالة طوارئ بدون حرب ولا سِلم، تاركا أهلي وبعيدا عنهم، فقررت الاستقالة من الجيش كقرار نهائي لا رجعة فيه، وطلبت الانسحاب والرجوع إلى بيتي.

تمت الموافقة على استقالتي، وكانت ستجرى أول انتخابات تشريعية لانتخاب مجلس وطني شعبي بعد حل البرلمان الذي انتخب في 1963 أثناء التصحيح الثوري سنة 1965. وفي سنة 1977 تم استدعائي لأترشح كنائب للبرلمان فوافقت على الفكرة، حيث توجهت إلى وزارة الدفاع الوطني وسلمت لهم الملف المطلوب، وبعد دراسة الملف من طرف المكتب السياسي تمت المصادقة على شخصي كمترشح، فانطلقت الحملة الانتخابية التي نجحت بها على مستوى دائرة بني هندل ولاية تيسمسيلت حاليا، فتم انتخابي

كنائب بصفة شرعية في فترتين متتاليتين وفي نفس الوقت كعضو في اللجنة المركزية سنة 1980 بعد انعقاد المؤتمر الرابع في الحزب، وتم تعييني بصفتي عضو اللجنة المركزية للقيام بالنشاط السياسي داخل الحزب وعُيِّنت في عدة ولايات: الجلفة، بشار، البليدة، وهران، وأخيرا تم تعييني كسفير بدولة قطر الشقيقة، وسأواصل الحديث عن العمل السياسي والدبلوماسي بالتفصيل في الجزء الثاني بحول الله.

خاتمة

إن الزمن الذي قرر فيه القادة 22 تفجير الثورة كان ملائما جدا محليا وجهويا ودوليا، حيث شكّل عاملا أساسيا في نجاحها في نهاية الجولة بالضربة القاضية، على القوة العسكرية الفرنسية الرابعة في العالم حينذاك. كانت الثورة تمتلك قوة الحق، والاعتماد على النفس، ووضوح الرؤية والهدف، والإصرار على تحقيقه بكل الطرق والوسائل المتاحة وغير المتاحة.

وكانت تعمل باستمرار على شحن جرعات غضب الشعب الجزائري ونقمته بغرض الثأر من المحتلين والاستحواذيين، وتستعمل سماته الإيجابية ذات المردودية العالية، مثل الجرأة في ركوب المخاطر المدروسة، والشجاعة، وقوة التحمل، والروح النضالية العالية، والاستعداد غير المحدود للتضحية بالنفس والنفيس من أجل تحرير الوطن والإصرار على افتكاك استقلاله بقوة السلاح، بالإضافة إلى وعي وإدراك قادة الثورة بعناصر قوّتها وكفاءتهم في قيادة حرب متحركة شاملة طويلة الأمد ضد القوات الفرنسية عبر جبهات قتال متعددة لتشتيت وحداتها وإضعافها، واستخدام أعضاء جيش التحرير بذكاء ومهارة للتضاريس الجغرافية التي تتميز بها الأراضي الجزائرية، والتي كانت ملائمة لشن حرب عصابات ناجحة.

كما عمل قادة الثورة السياسيون والعسكريون طوال مراحل الحرب على التطوير المستمر للقواعد الاستراتيجية السياسية والعسكرية المتبناة، ومبادئ التكتيك والقتال وتكييفهما مع مخزون فنون الحرب التي طبقها القادة من الأسلاف في حروبهم وثوراتهم ضد الاحتلاليين والغزاة عبر مختلف العصور التاريخية.

تميزت الثورة المسلحة الجزائرية بخصائص تفردت بها من أهمها: الشمولية منذ بدايتها في أول نوفمبر 1954 حيث غطت عملياتها العسكرية الافتتاحية المتعددة الأشكال كامل الرقعة الجغرافية للتراب الوطني تطبيقا للمبدإ العسكري القائل بأن نجاح الضربة الأولى الصائبة في المكان والزمان تعد نصف النجاح، واحتضان الشعب لها منذ اشتعال شرارتها الابتدائية حسب تنبؤ القائد الفذ العربي بن مهيدي – رحمه الله –

تماما ومدها بالرجال المجاهدين والفدائيين والمسبلين والمرشدين والمال والمؤن ومختلف الإمدادات والمعلومات عن تحركات العدوّ وعملائه، وإيواء وإخفاء المكافحين وعلاجهم.

كما عملت قيادة الثورة على توسيع جبهات الحرب لتشمل أرض العدوّ فرنسا سنة 1958 وجبهة الجنوب الأقصى الشرقي في سنة 1960، مما أجبر القيادة العسكرية الفرنسية على بعثرة قواتها بنشر وحداتها عبر أكثر من خمسة آلاف موقع بهدف تغطية كامل مساحة التراب الوطني الذي يشبه القارة. وعبأت القيادة كافة فئات المجتمع وأقحمتها للمشاركة في الملحمة المسلحة بالمظاهرات الحاشدة المساندة والإضرابات عن العمل ومقاطعة مؤسسات العدوّ الفرنسي الاقتصادية والقضائية والرياضية.

إن أهمّ سمة للثورة الجزائرية يمكن ذكرها هي نقل الحرب الساخنة إلى تراب العدوّ فرنسا يوم 25 أوت 1958 لخلق جوّ من انعدام الأمن ودفع الحكومة الفرنسية يومئذ إلى أن تُبقي بفرنسا أكبر عدد من قواتها العسكرية، بغرض تخفيف الضغط على وحدات جيش التحرير الناشطة بداخل الجزائر والعاملة على جبهات الحدود الشرقية والغربية والجنوب الأقصى والشرقي، والضغط أيضا على المتطرفين الفرنسيين الغلاة الذين يؤمنون ويتشبثون بنظرية بقاء الجزائر فرنسية، إذ لا بد من إجبارهم على التراجع عن أوهامهم وحث حكوماتهم المتعاقبة على إيقاف الحرب الظالمة ضد الجزائريين وإطفاء لهيبها الذي انتقل إلى بلادهم.

كان المجاهدون خلال مختلف مراحل الثورة المسلحة يتعلمون من الإخفاقات أكثر من الانتصارات في ميادين القتال، ويتأقلمون مع تطور أحداث الحرب وتداعياتها بسرعة فائقة، ويبتكرون الحلول العملية الفعالة للمشاكل الطارئة. كما عملوا طوال سنوات الجمر في جميع الجبهات ومسارح العمليات على إلحاق أفدح الخسائر المادية والاقتصادية والبشرية والنفسية في صفوف القوات المعادية بتكثيف الهجومات ونصب الكمائن وتنفيذ الغارات وعمليات التخريب بقصد الرفع من فاتورة تكاليف حربهم ضد الثورة لإحراج القادة السياسيين والعسكريين وإجبارهم على التنازل أثناء المفاوضات مع وفد الحكومة المؤقتة.

وفعلا أمست خسائر الخزينة الفرنسية في السنوات الأخيرة من الحرب تبلغ نحو ثلاثة ملايير فرنك فرنسي في اليوم الواحد، وهو مبلغ ضخم حينذاك لا تستطع تحمله، فجنح السياسيون الفرنسيون للحديث عن تحقيق السلم نتيجة شل الثورة لإرادتهم وكسر شوكتهم في نهاية المباراة الساخنة، فأملت عليهم شروطها وحققت النصر المبين رغم تداول أكثر من ثلاثة ملايين مقاتل فرنسي كلاسيكي على محاربة الثوار خلال سبع

سنوات ونصف من الحرب الضروس بفضل علوّ صوت رصاص أسلحتهم على ضجيج وصخب سياسة المحتلين الفرنسيين.

في الأخير أرجو من اللّه العلي القدير أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن أكون قد وفيت الحق في تقديمه كمرجع تاريخي ينفع كل طالب للعلم وكل شغوف وفخور بتاريخ بلاده.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين.

فهرس الأسماء

أ

آيت أحمد حسين 63، 67
أندريا ألبير 26
أوصديق عمر 67، 69، 73، 130
أوعمران عمر 20، 61، 62، 63، 66، 67، 69
أوليفي لونغ 106
إبراهيمي عبد الحميد 96
اسطمبولي مصطفى 73
الباريكي عبد القادر 89، 90
الباسطي محمد 37
البجاوي محمد 64
التاغن 37
الثعالبي الطيب 64، 66، 67، 69، 71
الجيجلي صالح 27، 28، 29
الحاج خمار 40، 41
الحاج لخضر عبيد 68، 69، 70
الحاج محند ولد 120
الحبيب 55
الحفناوي رمضانية 41
الزبيري الطاهر 10، 71، 119، 120، 130، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139
الساسي الصادق 44
السعيد عبيد 94، 112، 133، 134، 137، 141
السوفي صالح 94، 111
السويسي عبد الكريم 70
الشيخ خير الدين 71
الصغير مصطفاي 107
الطيب رضا 96
الطيبي العربي 72
العدلاني قدور 70
العسكري عمار 12، 31
العمودي عبد القادر 19
العموري محمد 75
العيساني شويشي 41، 43
الفرملي محمد 32
القبايلي أحمد 38
الكبلوتي حمايدية 29
المدني أحمد توفيق 64، 66، 73
الهاشمي 126، 134، 144
الوردي قتّال 12
الونشي صالح 64

ب

باجي مختار 12، 20، 31
باشا قدور 17
بالعريضي علي 58
بتشين محمد 97، 129، 143
بحري بلقاسم 48
براكتية الشريف 95، 99
برجيلات عبد الله 52

برلايف 22
بروال إبراهيم 129
بريجنيف يونيد 130
بشايرية علاوة 26، 27، 36، 39، 41
بشيشي محمد الصالح 95
بقة عبد النور 96
بلخير العربي 85
بلعشار يسليمان 40
بلعيد عبد السلام 110
بلهوشات عبد الله 78، 141
بلوزداد عثمان 19
بلوصيف رابح 71
بن الصيد يوسف 129
بن بلة أحمد 11، 20، 21، 63، 67، 70، 73، 74، 113، 116، 119، 120، 121، 128، 130، 131
بن بولعيد مصطفى 19، 20، 21، 22، 63، 85
بن تفتيفة محمد 110
بن جامع عمار 96
بن جديد الشاذلى 41، 82، 83، 84، 88، 89، 94
بن حدو بوحجر 67، 69، 70
بن حومانة رابح 83
بن رجم العربي 71
بن سالم عبد الرحمن 41، 111
بن صغير أحمد 29
بن طوبال عبد الله 61، 70
بن طوبال لخضر 19، 64، 65، 66، 67، 68، 73، 74
بن عباس محمد الصالح 120
بن عبد المومن 130، 131
بن عودة عمار بن مصطفى 20، 65، 67، 69، 71، 75، 107
بن قدادرة 72
بن محمد محمد 95
بن مهيدي العربي 19، 20، 21، 61، 63، 64، 147
بن نوّي مصطفى 68
بن يحيى محمد الصديق 64، 105، 106
بن يوسف بن خدة 63، 65، 67، 68، 70، 73، 74
بوبنيدر صالح 71
بوبير يوسف 40، 41، 89، 95
بوترعة عبد الله 95
بوتفليقة عبد العزيز 112، 133
بوتلة عبد الله 43
بوثلجة العاتي 26
بوحارة عبد الرزاق 95
بوحجة علي 95
بوخضير علي 95
بوداوود عمار 67، 69
بودربالة الطاهر 71
بودماغ مسعود 129
بودوفيتش 83
بورجيس مونوري 81
بورقعة لخضر 71
بورقيبة الحبيب 45، 78
بوزادة حمو 94
بوزينة محمد 46، 55، 58
بوسماحة محمد 71
بوشعيب احمد 19
بوصوف الحفيظ 77
بوصوف عبد الحفيظ 19، 64، 66، 67، 68، 70، 73، 74، 75، 93، 111
بوضياف محمد 19، 20، 21، 63، 67، 70، 73، 74، 114، 116

بوطرفة فاضل 95
بوعجاج زبير 19
بوعشة علي 32
بوعلي السعيد 19
بوعيزم مختار 68، 71، 113
بوغانم محمد 96
بوغلاز عمارة 31، 32، 33، 34، 35، 36، 39، 40، 65، 76
بولحروف الطيب 106
بولحروف يوسف 72، 134
بومدين حميدو 110
بومدين هواري 65، 68، 70، 75، 93، 94، 99، 112، 120، 121، 128، 130، 131، 132، 133، 134، 137، 138، 140، 142، 143، 144
بومعراف السبتي 42
بومنجل أحمد 67، 69، 71، 105، 106
بونعامة الجيلالي 16، 17، 18
بيجار (الكولونال) 58
بيطاط رابح 19، 20، 21، 63، 67، 70، 73، 74، 116
بيوض إبراهيم 110

ت

ترخوش أحمد 89، 91، 95
تمام عبد الملك 64

ج

جبار الطيب 41، 42، 48
جبار عمر 12، 47
جبران مبروك 42
جوكس لوي 106، 107
جوليانو سالم 25، 29، 30، 32، 41، 44، 46

ح

حاردي إبراهيم 129
حامد الموسطاش 32
حباشي عبد السلام 19
حدادي عبد النور 59
حسين 70
حشيشي زين العابدين 96
حصار عبد القادر 110
حماي قاسي 69
حمي محمد 68
حميمي فدال 72
حواسنية العياشي 129، 130، 132، 134، 137
حواسنية موسى 42، 134
حيدوش 91

خ

خطيب يوسف 71
خليل حبيب 96
خوجة علي 123، 127
خير الدين محمد 68، 69
خيضر محمد 11، 20، 21، 63، 66، 70، 73، 74، 105

د

دباغين محمد لمين 63، 66، 73
دحلب سعد 64، 65، 66، 67، 68، 70، 74، 106، 107، 112
دراجي الطيب 129
دراية أحمد 42
دريس محرز 55
دريش إلياس 20
دهيلس الصادق 75

دوايسية محمد الطاهر 42، 47
دولوس برونو 106
ديدوش مراد 19، 20، 21، 85
ديغول 50، 79، 80، 93، 105، 106، 107، 117

ذ

ذيب مخلوف 95

ر

رامول أحمد 36، 37
رامول إبراهيم 37
رامول رمضان 37
رمضان بن عبد الملك 20
روينة محمد 70

ز

زراري عز الدين 93
زرغيني محمد 51، 130، 131، 137
زروال اليمين 96، 129
زغداني عبد العزيز 133
زغلامي نور الدين 129
زواغي عمار 32، 43، 44، 49، 50، 52، 89
زيغود يوسف 20، 22، 61، 63، 85
زيلر 106

س

سالان 106
سراي أحمد 32، 60، 90
سرباح محمد 17
سعادات أحمد 25
سعيداني الطاهر 26، 29، 40
سلمون محمد 26، 29، 32، 41، 44، 56، 58
سليماني سليمان 70
سويداني بوجمعة 19
سيرين محمد لخضر 42

ش

شابو عبد القادر 85، 88، 94، 98، 99، 111، 132، 142، 143
شتوف عبد الرزاق 110
شريف عبد المجيد 129
شريف محمود 66
شعباني (القائد) 70، 120
شكاي عمار 95
شلوفي مصطفى 94
شيخ امحمد 110

ص

صحراوي نور الدين 88
صخري عمر 70
صديقي الطيب 72

ط

طراد الشابي 58، 59

ع

عابد 16
عبان رمضان 61، 63، 65، 66، 92
عبد الغني محمد بن أحمد 94
عبد الله 55
عبد الوهاب (البروفيسور) 38
عبود علي 42
عبيد السعيد 94، 112، 133، 134، 136، 137، 141، 151
عدلاني عمر 69
عطايلية محمد 95
عقون أحمد 85، 96

علاق محمد 88، 94
علي بالعريضي 58
عمار 12، 45، 69، 70، 71، 96، 134
عمارة بوغلاز 75
عمورة بلقاسم 32، 41
عميرات بغدادي 29، 39
عميروش 89، 126
عواشرية محمد 12
عيسات إيدير 63

ف

فارس عبد الرحمن 110
فرحات عباس 63، 65، 66، 67، 69، 70، 72، 73، 74، 77، 93، 111، 112، 116

ق

قابور محمد 17
قاديري حسين 68
قارة عبد القادر 5، 15، 32، 41، 89، 95، 129
قارة معمر 96، 134، 135
قاضي محمد 71
قدوش أحمد 55، 90
قسطل ساعد 96
قنايزية عبد المالك 96، 102
قنز محمود 94، 112
قوجيل صالح 78
قورس جورج 105

ك

كافي علي 69، 76
كحل الرأس عبد المجيد 71
كحلول محمد 17
كركب مختار 95، 96، 127، 143
كريم بلقاسم 20، 21، 63، 65، 66، 68، 70، 73، 74، 75، 77، 93، 106، 107، 111، 112، 116
كلبي حسين 32، 37
كلود شايي 106
كمال عبد الرحيم 96
كومين بيار 105
كونيق شارل 110

ل

لطرش عبد الحميد 137، 144
لطرش يوسف 42
لعبوب أحمد 126
لعبوب الزبير 30
لعبوب عبد الرحمان 30
لعبوب عبد القادر 126
لعبوب محمد 30، 126
لعروسي خليفة 133
لعموري محمد 65
لكحل مصطفى 78
لمين بن يحيى 129

م

مازوز رساع 41، 56، 57، 87، 88، 89
ماسو 105
مالك رضا 106، 107
مباركي الجيلالي 28، 29، 31
مجيد 55
محساس أحمد 64، 138
محفوظ سماعيل 71
محمدي سعيد 12، 64، 67، 74، 75، 76، 78، 82، 84، 85، 86، 87، 88، 93
محمود الشريف 73، 75، 77
محيوز أحسن 72

مداوي محمد الطاهر 85، 96
مدغري أحمد 72، 144
مديان توفيق 103
مديوني رشيد 96، 137
مرابط صالح 129
مرزوفي محمد 19
مزهودي إبراهيم 64، 66
مساعدية عيساني 78
مستغانمي أحمد 72
مشاطي محمد 19
مصطفاوي شوقي 110
معاوي سليمان 100
معنصر عثمان 47
مقران أكلي محند ولحاج 72
ملاح الشريف 42
ملاح عمار 71، 134، 137
ملايكة جلول 124
منجلي علي 67، 68، 71، 93، 112، 114
مهري عبد الحميد 64، 66، 67، 69، 70، 73، 74
موريس أندري 81
موسى مراد 70
مولاي ابراهيم 71
مولي غي 105
مومني الصديق 129
ميقال أحمد 17
مينوني جان 110

ن

نزار خالد 59، 83، 86، 89، 91، 95، 103، 127، 136، 140
نعمان محمد 96
نواورة أحمد 76

هـ

هارون علي 69، 71
هباز أحمد 125
هلال محمد 32
هواري بومدين 113
هوفمان سليمان 85، 94، 112، 121، 137

و

ورتي لخضر 41
وعزان عدة 17
ولد الحسين عبد القادر 37

ي

يازوران محمد سعيد 67، 69، 70
يحياوي محمد الصالح 71، 133، 136
يزيد محمد 63، 66، 67، 68، 70، 73، 74، 105، 107
يعلاوي مصطفى 116، 117

أنجز طبعه في أكتوبر 2019
على مطابع ع. ڤرفي – بـاتنــة – الجزائر

عبد القادر قارة - القاعدة الشرقية - 1957

اعمر زواغي وعبد القادر قارة - 1958

من اليمين إلى اليسار - الوقوف : الفاضل بوطرفة، عبد القادر قارة، محمد عطايلية، شاذلي بن جديد، محمد عبد الرحمن بن سالم، اعمر شمام (المدعو شكاي جلول)، عبد النور بقة، محمد شبيرة - الجلوس : محمد بوتلة، عبد الرزاق بوحارة، عبد القادر عبد اللّاوي، موسى سكوم

من اليمين إلى اليسار : نوار بن محفوظ، عبد القادر قارة - 1959

من اليمين إلى اليسار : إبراهيم الفرملي ، صالح الورجنيني، سالم جوليانو، عاشور، خالد نزار، شاذلي بن جديد، عبد القادر قارة، عبد الله بوتلّة، عبد المجيد برجب - 1959

الكتيبة الأولى، من اليمين إلى اليسار : محمد سلمون، صالح العنابي، بلقاسم عمورة، عبد القادر قارة

الفصيلة الثالثة، الفيلق الثاني، الكتيبة الأولى، القاعدة الشرقية - 1956

عبد القادر قارة مع صالح الجيجلي (المدعو الكبلوتي) ببوثلجة

صالح الجيجلي (المدعو الكبلوتي) الثاني من اليمين، مع أقاربه

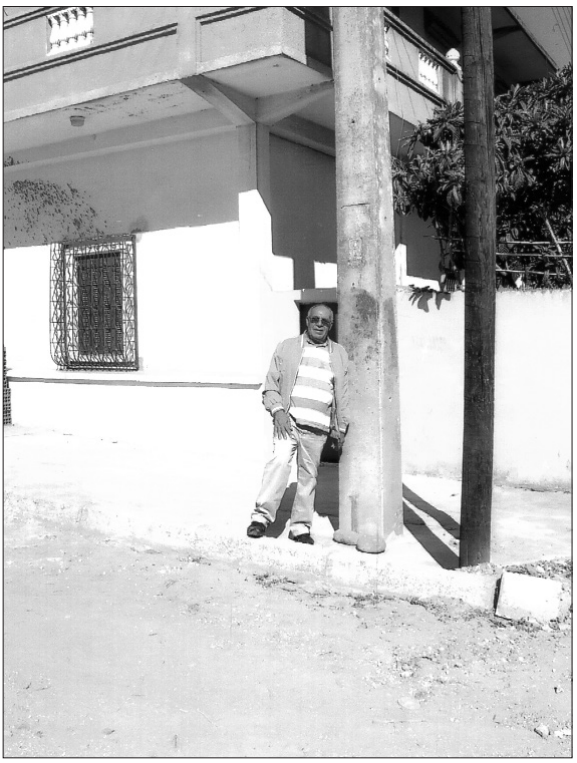

عبد القادر قارة ببوثلجة أمام المنزل الذي أوى فصيلته

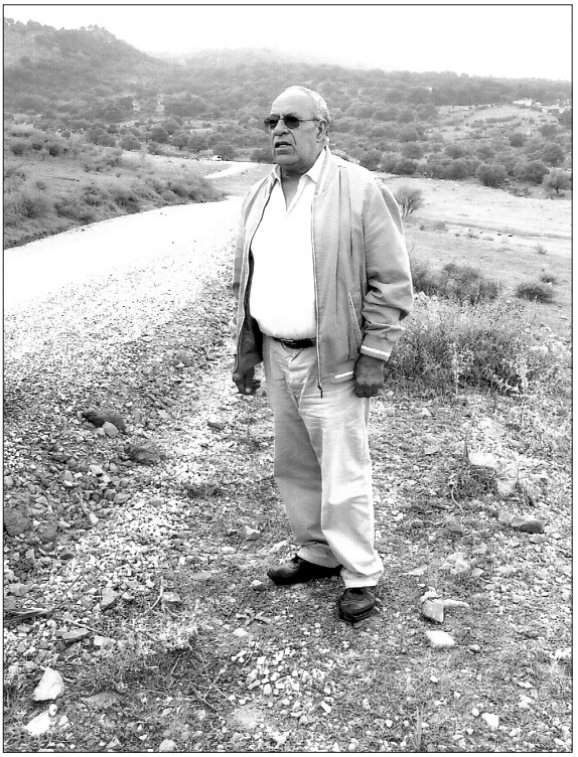

عبد القادر قارة في منطقة البلوط

عبد القادر قارة وهو محاط بالجبال التي شهدت معركة البلوط سنة 1959

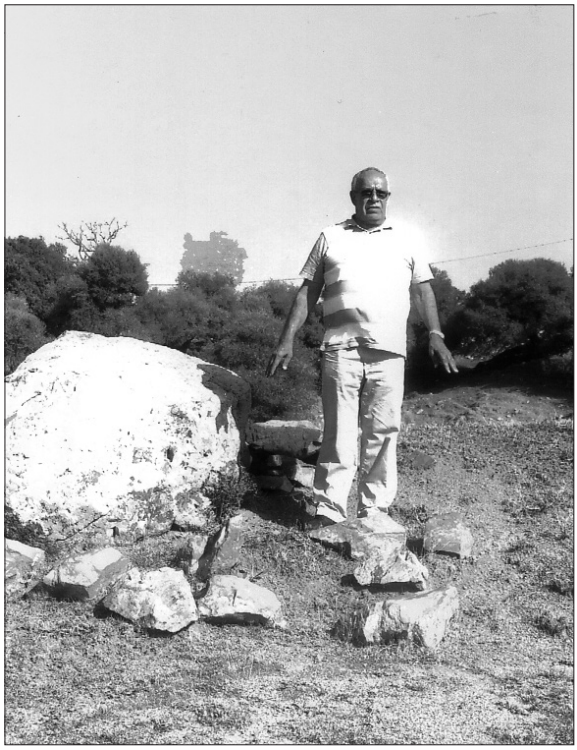

عبد القادر قارة في منطقة بقوس، جنوب الطارف

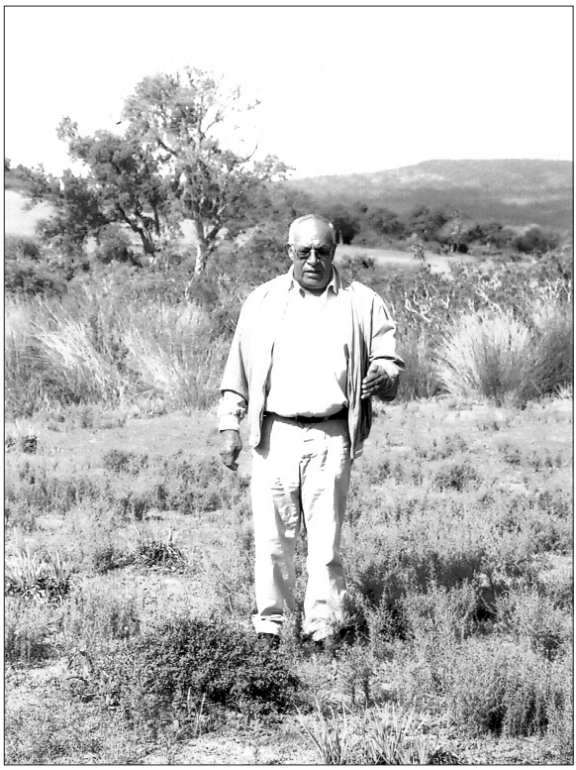

عبد القادر قارة بخنقة عون

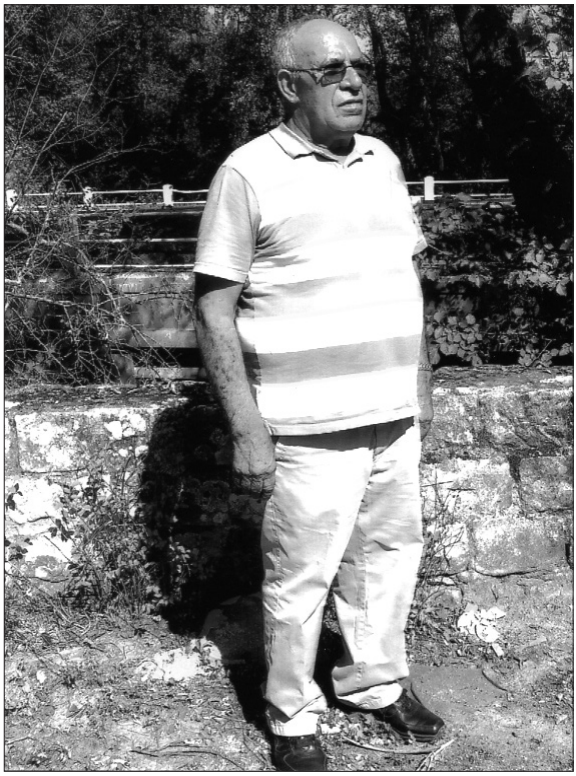

عبد القادر قارة أمام جسر خنقة عرجون

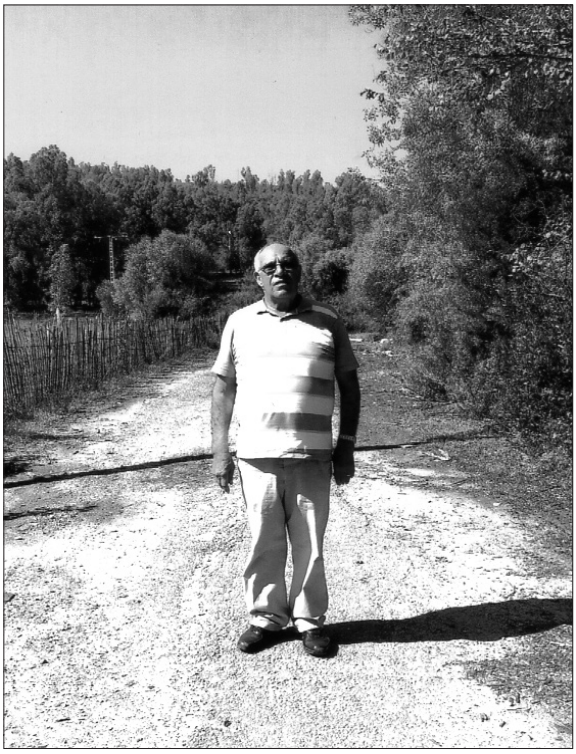

عبد القادر قارة في منطقة خنقة عرجون

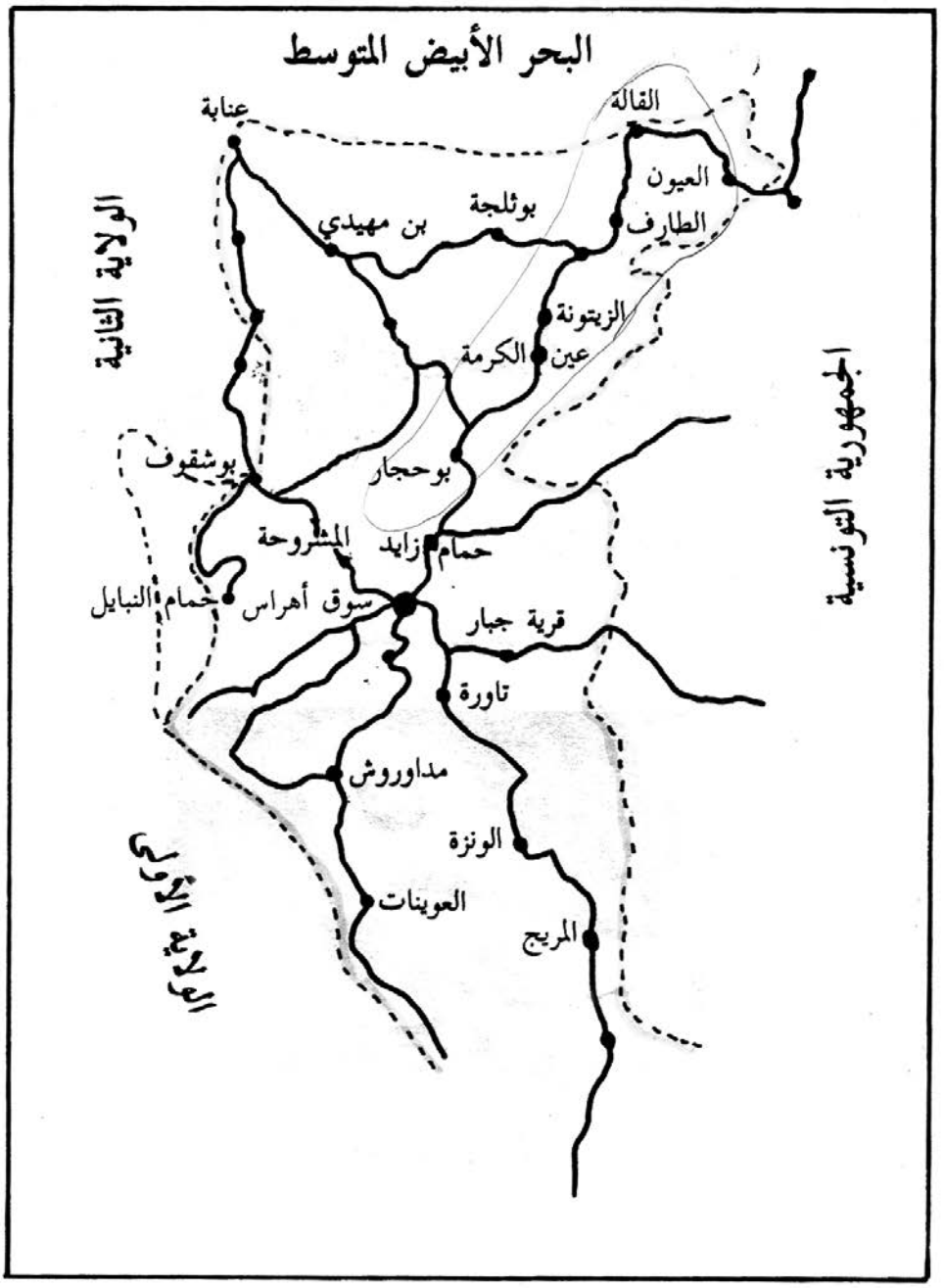

خريطة القاعدة الشرقية

جزء من الطائرة الفرنسية التي تم إسقاطها بالمرادية، عين الكرمة سنة 1958،
وهيكل هذه الطائرة موجود حاليا بمتحف عين الكرمة

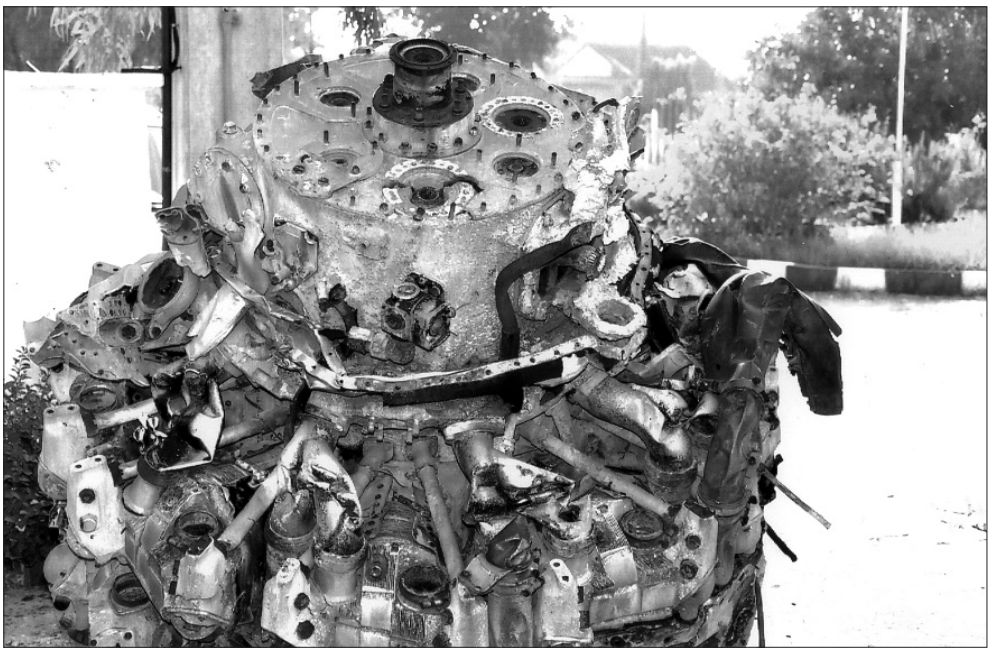

أجزاء من الطائرة المحترقة في عين كبيرة

حطام الطائرة الفرنسية T6

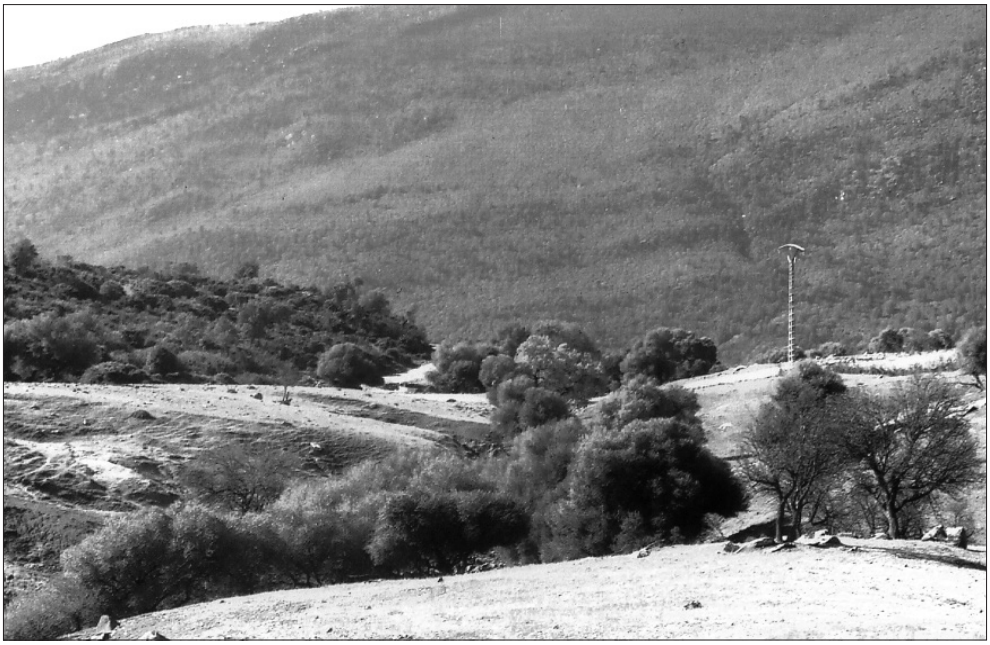

الحقل الذي وقع فيه اشتباك خنثة عون

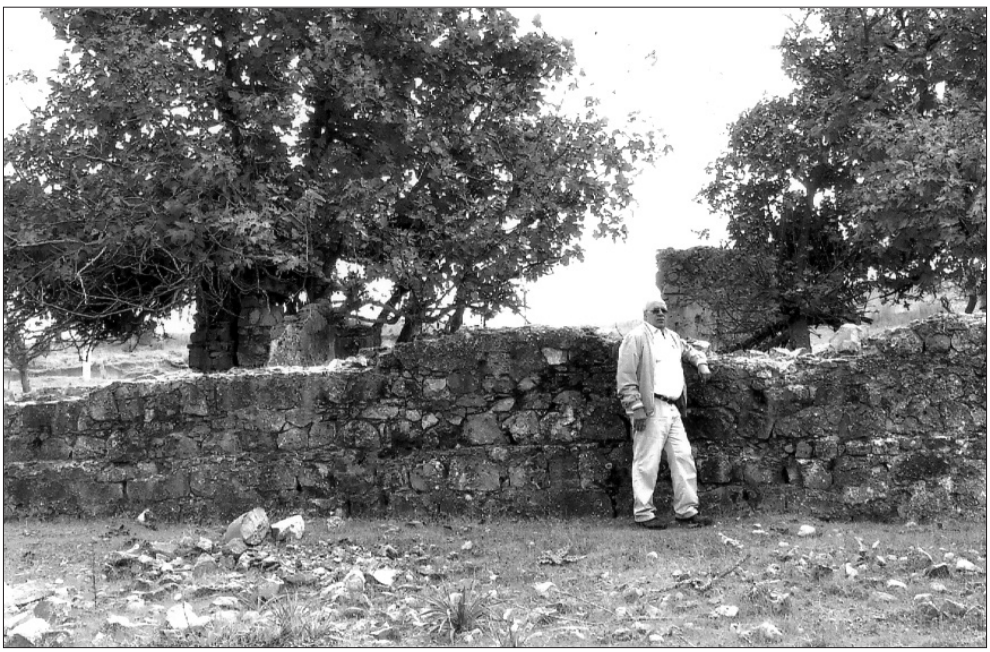

بقايا معركة خنثة عون

بقايا ثكنة القوارد

آثار مدرسة بخنقة عون

خنقة عون

نصب تذكاري سجلت عليه أسماء الذين استشهدوا في كمين فرنسي أثناء عبور خط شال

نصب تذكاري تخليدا لروح الشهيد قارة عبد القادر بن الهاشمي